جمعية تونس الفتاة ومؤسسة كونراد أديناور

إعلام التوحش والقتل الملون

دراسة تحليلية في الخطاب الإعلامي للحركات الجهادية :

تنظيم الدولة الإسلامية نموذجا

أنيس عكروتي

الاهـــداء

إلى والديّ الذّان زرعا فيّ حبّ الحياة ؛

إلى أيقونتي التي نفخت فيّ روح المقاومة ؛

إلى كل أعضاء أسرة «تونس الفتاة» الذي آمنوا بهذا المشروع وساندوه ؛

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا المؤلَّف ولم يدّخر جهدا في تشجيعي ؛

« الرصاصة لا تنطلق دائما من فوهة بندقية فحتى عدسة الكاميرا بإمكانها إطلاق الرّصاص، رصاص يتجاوز الجسد ليخترق العقل والوجدان...

فالتزاوج بين الثورة التكنولوجية المعولمة والأدبيّات الجهادية المتجددة أنتج صورة موغلة في التوحش (على مستوى المحتوى) ومسايرة للعولمة الرقمية (على المستوى الفنّي)..

المؤلف

مقدمة لا بدّ منها

ساعات قبل واقعة الحادي عشر من شهر سبتمبر من سنة 2001، عشت لحظات روتينية لم تختلف عن المشهد اليومي. أفقت صباح الثلاثاء (يوم الأحداث) متثاقلا وقد غلبني الملل. لم يخبرني حدسي حينها بحدوث أمر غريب في الساعات القليلة القادمة. كنت وقتها مقيما بمدينة القيروان (وسط الجمهورية التونسية)، «محطة أو قاعدة الجند» التي أسسها «الفاتح أو الغازي» عقبة بن نافع سنة 50 بعد الهجرة المحمدية. كانت مدينة حديثة صالحة لاستقرار المسلمين المهاجرين وفي الآن نفسه نقطة انطلاق للحملات الدعوية المسلحة.

لم تكن هذه التفاصيل تجول بخاطري فلم أكن أستشعر هذا الإرث الحضاري داخل ثنايا المدينة بمعمارها الحديث البارد وطقسها الصيفي الحارّ إضافة إلى الكآبة المرسومة على الجدران وفي ملامح أغلب السكان.

بعد أن طالعت بعض المجلات التي جلبتها من مقر سكناي بضواحي العاصمة التونسية، جلست برفقة العائلة مشاهدا التلفاز وبصفة خاصة «قناة الجزيرة الفضائية».

كانت وقتها في أوجّ لمعانها الاعلامي بفضل امكانيات ضخمة وتقنيات متطورة ومراسلين وشبكات في كل بلد تقريبا. وكانت المصدر الإخباري الأول (دون منافسة في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا) الذي نتابعه يوميّا.

كنت شغوفا جدا (ولازلت) بمتابعة أخبار العالم لحظة بلحظة ونادرا جدا أن ينتهي اليوم دون أن أشاهد نشرة الأخبار أكثر من مرة.

يومها وفي جزء آخر من العالم أفاق سكان مدينة نيويورك الأمريكية (ومدن أخرى كانت شاهدة على الهجمات) وانطلق الآلاف منهم نحو أماكن العمل

في حين كان تسعة عشر رجلا (منفذي عمليات 11 سبتمبر) يتأهبون استعدادا للحظة الصفر. كانوا هؤلاء كذلك يتوجهون نحو أماكن عملهم، كلّ حسب بغيته.

حسب الرسالة الصوتية لمنسق العمليات رمزي بن الشيبة ذكر أنها «كانت لحظات عصيبة جدا فأنت تدخل معركة كبيرة عسكرية غير تقليدية وتواجه بفتية أقوى دولة وسط جنودها ومراكز نفوذها وعتادها.»

أحد هؤلاء الفتية وهو محمد عطا (منفذ عملية تفجير الطائرة الأولى) لم تكن تفصله عن بلوغ جنّة الفردوس (حسب اعتقاده) سوى بعض الدقائق.

لم أكن أستذكر الوقت المحلي حينها فكل ساعات العالم كانت معدلة على توقيت مدينة نيويورك الأمريكية.

كانت تشير الساعة إلى الثامنة وست وأربعين دقيقة حين ارتطمت طائرة بالبرج الشمالي لمركز التجارة العالمية، كان الاصطدام مدويا، ذهلت وظننت في البداية أنني بصدد مشاهدة مقطع سينمائي مشتغل عليه بتقنيات عالية الجودة أو حادث من حوادث الطائرات المرعبة. لم أستفق بعد من الذهول (كما لم يستفق منها غيري من شهود العيان ومتابعي التلفاز أو حتى عناصر القيادة المركزية للقاعدة أنفسهم) ففاجآني مروان الشحي (أحد منفذي العمليات) عبر المشهد نفسه وهو يصطدم بالبرج التوأم. دقة التنفيذ جعلتني أعتقد أنني أمام إعادة للمشهد الأول.

تتالت العمليات المماثلة وتعددت الانفجارات ومعها انفجرت داخلي عدة تساؤلات حول ما الذي يحدث وما حيثياته وأسبابه وتداعياته.

فيما يهدأ الرماد ويطبق الصمت على ما ذابت عظامهم في الحديد و الحجارة، ما ستكون تداعيات «غزوة منهاتن» (كما سماها أسامة بن لادن خلال اصدار نشرته مؤسسة السحاب للانتاج الاعلامي و تبنى من خلاله مسؤولية تنظيم القاعدة على الأحداث) على العالم ؟ وما الذي يدفع فتية في عمر الزهور

بعضهم تسلقوا أعلى درجات التعليم وبعضهم ينحدر من عائلات ثرية، نحو التهلكة أو إلى جنة الفردوس (كما يعتقدون هم) ؟

هذه التساؤلات كانت تخالجني وقتها ولم أكن أملك لها أجوبة حقيقية.

في الحقيقة لم تكن هذه الهجمات سوى تجسيدا لرؤية فيسلوف القاعدة أبو مصعب السوري «اضرب رأس الأفعى، نعم اضرب رأس الأفعى، رأس الأفعى هو اسرائيل وأمريكا في المنطقة. اضرب رأس الأفعى وسيسقط الذئب للتو وللحظة.» وكما تبناها أسامة بن لادن زعيم التنظيم حينها اذ قال عن القاعدة أنها «تميزت في تركيزها على العدو الأكبر الخارجي قبل الداخلي وإن كان الأخير أغلظ كفراً إلا أن الأول أوضح كفراً كما أنه أعظم ضرراً في هذه المرحلة، فأمريكا هي رأس الكفر فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان.»

اثر «ضرب رأس الأفعى» في جحرها دون أن تنفث سمومها، تفجرت (ولازالت) عيون من الدماء من كل مكان.

مثلما تدوي في آذاننا زخات الرصاص وتشاهد أعيننا حمم القاذفات وتلمع في السماء صواريخ الطائرات، هناك جنود خفاء يحملون الكاميرا ويخوضون حربا إعلامية و افتراضية بشراسة عملا بتوصيات منظري التيار الجهادي وخاصة المعاصرين. ونستحضر هنا مثلا قول أبو حمزة المهاجر «إن معارك المجاهدين مع أعدائهم تدور اليوم على محورين هاميّن : الأول هو المحور العسكري، والثاني هو محور مجابهة الإعلام الشيطاني الذي مسخ هويّة الأمّة وحرّف عقيدتها وقيمها وأرسى دعائم التبعية و الهزائم النفسية ، فإنّ حمم قذائف الإعلام أكثر فتكا وأشد خطرا على الأمة ورجالها من لهيب حمم قذائف الطائرات، ولذا ينبغي على المجاهدين الذين وفقهم الله لكسر شوكة أعدائهم عسكريا أن يناضلوا على جبهة أخرى هي جبهة الإعلام.»

شرعيا يتم تأصيل «الجهاد الإعلامي» بما يسمّى بجهاد اللسان، فقد ورد عن أنس أن النبيّ قال : جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم.»

هذا «الجهاد الإعلامي» أو «الإعلام الجهادي» بات يشكّل محورا هاما في الاستاتيجية الشاملة للتنظيمات الجهادية، ناقلا لعنف خطابها ومصوّرا له.

اخترنا من خلال هذه الدراسة أن نسلّط الضوء على تنظيم «الدولة الإسلامية» باعتبارها صاحب النقلة النوعية غير التقليدية في المجال الإعلامي الالكتروني.

تنظيم مزج بين التوحش كتكتيك استراتيجي في فكر الحركات الجهادية والخطاب المرتكز على إطار فكري أكثرا نضجا من التجارب السابقة والتقنية المعولمة التي أعاد تشكيل هذا الخطاب ونقلتها للعالم عبر صورة دموية على مستوى الشكل وعالية الجودة على مستوى الجمالية.

إنّها باختصار «جماليّة العنف» أو ما سمّيناه في عنوان الدراسة بـ «القتل الملوّن»..

هذا القتل بأشكاله الأكثر بشاعة يندرج في إطار ممارسة العنف الذي لم ينقطع وجوده على مرّ التاريخ الإنساني...

لذلك انطلقنا من مفهوم العنف وعلاقته بالطبيعة البشرية ومفاهيمه من المنظور السيكولوجي والسوسيولوجي والبيولوجي الجيني والفلسفي والسياسي...

ثم نظرنا في العنف بخصوصيته الثقافية العربية من قبل ظهور الإإسلام ومن بعده..

في المبحث الثاني، حاولنا الغوص في الأدبيات النظرية الجهادية وتاريخية التيار الجهادي من خلال استعراض بعض المفاهيم المؤسسة لفكر الجهاديين ونماذج من أبرز التنظيمات الجهادية.

أما في المبحث الثالث، فقد اقتربنا أكثر من ثنائية «الجهاد» و«الإعلام» لنبحث في المسارات والتجارب التي مرّ بها «الإعلام الجهادي» منذ فترة «الجهاد الأفغاني» إلى التنظيم الأكثر توحشا «تنظيم الدولة الإسلامية»...

وفي المبحث الرابع، تطرّقنا لملامح الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية بأهدافها ووسائلها ومؤسساتها..

خامسا وأخيرا، اعتمدنا على نماذج مختلفة من عدة مواد إعلامية للنظر في مطابقتها للخطاب الرسمي للتنظيم الذي تعبّر عنه الخطابات الرسمية للقيادات الهيكلية لـ «دولة»...

نريد التنويه أنّنا اخترنا عدم ايراد روابط مرجعية لإصدارات التنظيم المعني بالدرس، وذلك لتفادي أي مساهمة منا في القيام بدعاية مجانية للتنظيم الجهادي.

فالهدف الرئيسي لهذا العمل هو تفكيك البنية الخطابية للتنظيمات الجهادية من خلال واجهاتها الإعلامية، وفي تفكيك الخطاب فهم أعمق للظاهرة السلفية الجهادية وخاصة هذا التيار الحديث الذي يوصفه باحثون بالـ «ما بعد جهادي»...

إذ أنّ عناصره نشأ أغلبهم على ممارسة ألعاب الفيديو (العنيفة في قسم كبير منها) والإبحار عبر الشبكة العنكبوتية والوسائط الاتصالية التواصلية التكنولوجية الحديثة.. ومن خلالهم نهلوا المهارات التي يوظفها التنظيم لنقل رسائله لكل أنحاء العالم وبشكل سينمائي جلب انتباه الجميع..

ختاما، نقول أنّ هذه الظاهرة مركّبة جدّا ومستقبلا ربما نشهد أشكال جديدة من «الإرهاب» والذي ربما ستكون أكثر توحشا وغير معترفة بالأطر المكانية والزمنية التقليدية...

ربما المجال لم يسمح بالاتيان على عدة تفاصيل هامّة لكن هذا البحث سيكون بداية لمشروع أكبر حول الظاهرة السلفية الجهادية بكل جوانبها وخاصة مستقبلها...

الفصل الأول :
العنف والعنف المقدّس

«**العنف مولّد التاريخ.**»
(كارل ماركس)

«وكلم قابيل هابيل أخاه، وحدث إذ كان في الحقل أن قابيل قام علي هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقابيل : أين هابيل أخيك ؟ فقال : لا أعلم، أحارس أنا لأخي ؟ فقال : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إليَّ من الأرض.»
[8 – 10] سفر التكوين العهد القديم

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائكَة إِنّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدّسُ لَكَّ قَالَ إِنّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ 30» (البقرة، الآية : 30) القرآن

تعريف العنف وأشكاله : مؤسسة مؤمنون بلا حدود

المبحث الأوّل :
العنف خاصيّة إنسانيّة ؟

اعتاد الفرد منّا وفي كل بقعة من بقاع العالم على مشاهد حلقات متتالية من مسلسل لن ينتهي. مسلسل جوهره القتل والدمار اليوميين، أحيانا يتسارع النسق وأحيانا أخرى يتباطؤ. ولكن لا تكاد تخلو نشرة إخبارية من تعداد لقتلى وجرحى من هنا وهناك. تختلف التسميات بين شهداء وقتلى، بين دم «مقدّس» سال دفاعا عن هاجس ما ودم «مدنّس» أسيل أيضا من الأجل الدفاع عن ذات الهاجس.

الجميع تقريبا يدين العنف ولكنّه لا يمانع في ايجاد مبررات لتوظيفه فنجد العنف المقنّن والعنف المشرعن والعنف المقدّس والعنف الثوري وأشكال أخرى.

هل العنف يشكل جانبا طبيعيا ملازما للذات الإنسانية، أم أن ظروفا سياسية وتاريخية هي التي تتحكم في وتيرة هذه الظاهرة ؟

أمام مشهد طوفان العنف والحروب التي ملأت العالم و«حفلات الشواء» المرافقة بإكستاز التوحش ومسارح الموت الملّون، يبقى سؤال المستقبل الإنساني هاجسا يحرّك الضمير العالمي، إذا تبقّى لهذه البشرية من ضمير حيّ.

قبل الغوض في ظاهرة الأصوليات الدينية التي انتشرت بشكل كبير (وبشكلها الأكثر توحشا) وفي التطرق للعنف كظاهرة اجتماعية تتعلق بالأفراد والمجموعات والدول والحضارات والثقافات، من المهم تناول العنف كجزء من تركيبة الإنسان وكظاهرة سيكولوجية مرتبطة بأبعاد هذا الكائن.

علاقة العنف بالانسان بدأت منذ ظهوره الأول على سطح الأرض وهذا الأمر نجد له أثرا واضحا سواء في نظرة المفاضلة التي تعامل بها الانسان مع عناصر الطبيعة أو في على المستوى الانساني الانساني.

فمن خلال دراسة قام بها مختصون من جامعة مدريد الإسبانية متمثلة في إحصاءيات لحالات وفاة أجداد الإنسان القدماء وتوصلوا إلى واقع أن القساوة ناتجة عن التطور والارتقاء.

وقد حلل العلماء الإسبانيون المعطيات حول أعداد ونسب الوفيات في 137 فصيلة من فصائل الثدييات ودرسوا أكثر من 4 ملايين حالة وفاة بين الحيوانات القديمة والأناس القدماء. واتضح للباحثين أن 0.3% فقط من الثدييات تموت نتيجة لنزاعاتها مع أمثالها علما أن هذا المؤشر يزداد عند الرئيسيات إلى 1.8% ليبلغ 2% عند الإنسان القديم. وقد مات أجداد كل القرود نتيجة العنف في 2.3% من الحالات علما بأن قيمة هذا المؤشر كانت تنخفض حتى تقلصت مع تعمق الزمن على امتداد محور الارتقاء.

ومع هذا تعددت الوفيات الناتجة عن العنف مع تطور الحضارة بشكل فجائي حيث بلغت نسبة هذه الوفيات 30% في العصر الحديدي والعالم القديم. ويعلل المختصون هذا الواقع بتغير الوسط الطبيعي الذي بدأ يعيش فيه الإنسان.

وإن كان الإنسان في البداية يسعى إلى توظيف عناصر الطبيعة لصالحه ضمانا للبقاء، فإنّه مع تقدم الزمن وتزايد عدد سكّان الكرة الأرضية بنسق سريع إلى جانب قلة الموارد الطبيعية، تم تطوير العمل الزراعي وتدجين الحيوانات.

علاقة الإنسان بالطبيعة في هذه المرحلة كانت بمثابة مصدر الإلهام للشعراء فهو لم يكتشف بعد أكثر خفاياها وكان معجبا ومندهشا من ظواهرها الغريبة وتعدد صورها.

هذا الرابط لم يكن يحمل أي نزعة واضحة للتسلط والاستغلال الفاحش مثلما ما سيحصل في فترة لاحقة (خصوصا بداية من القرن السادس عشر ميلادي).

في هذا الصدد يقول الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (1872-1970) «لقد كان العلم في بدايته راجعا إلى الناس الذين أحبوا الطبيعة. كانوا يسرحون بأبصارهم في جمال النجوم، والبحر، والريح والجبل. وكان من أثر حبهم إياها أن علقت بها أفكارهم. فرغبوا في فهمها أدق مما يتيحه مجرد التأمل الخارجي».[1]

هنا يؤكد راسل على نظرة الانبهار التي كان ينظر بها اليونانيون القدامى وخاصة المفكرين والفلاسفة خاصة (مثل طاليس، هيرقليطس على سبيل اذكر) إلى الطبيعة.

ولذلك كان تعاملهم معها معرفيا عقليا مجرّدا قصد تفسير الظواهر دون أن تكون هناك أي نيّة للاستغلال والسيطرة المطلقة.

من قوة وعاطفة وعقل الفلاسفة اليونانيين الكبار ستظهر حركة العلم الحديث كلها. هذه الحركة حولت الإنسان من عاشق للطبيعة ومحب لها إلى طاغية جبار مسيطر عليها.

ويضيف راسل في خاتمة كتابه «النظرة العلميّة» لقد كان الانسان إلى حد الآن مروضا بخضوعه للطبيعة. فلما حرر نفسه من هذا الخضوع، بدت عليه نقائص العبد الذي صار سيّدا».[2]

المنعرج الحاد في العلاقة بين الطرفين بدأ بداية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي حيث شهدنا ظهور أطروحات جديدة تقرّ بضرورة السيطرة والتملّك

---

[1] برتراند راسل، النظرة العلمية، تعريب عثمان نوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1956، ص : 251.

[2] برتراند راسل، النظرة العلمية، تعريب عثمان نوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1956، ص : 247.

«وشكلت أفكار الفيلسوفين فرنسيس بيكون (1562 ـ 1626) ورونيه ديكارت (1596 ـ 1650) المجال النظري الذي تطور داخله هذا التصور. يرى كل واحد من هذين الفيلسوفين أن التحكم في الطبيعة والسيطرة عليها، يمر أولا عبر معرفتها، أي معرفة القوانين الفيزيائية المتحكمة في حدوث وجريان وتكرار مختلف الظواهر وصياغتها في مبادئ ونظريات. ثم تحويلها بعد ذلك لصالح الإنسان بواسطة التقنيات والأدوات.»[3]

وبهذا سعى الإنسان إلى استنزاف كل الموارد الطبيعية خدمة لنفسه وتعزيزا لنفوذه، هذا التحول دفعه كذلك إلى تملّك سلوكيات عنيفة تجاه الإنسان نفسه.

في هذا الإطار يقول ديكارت : «إن هذه المبادئ (مبادئ علم الطبيعة أو الفيزياء) أبانت لي أنه يمكن الوصول إلى معارف عظيمة النفع في الحياة... إذا عرفنا بواسطتها ما للنار، والماء، والهواء، والكواكب، والسماوات، وسائر الأجسام الأخرى التي تحيط بنا من قوة وأفعال، معرفة متميزة كما نعرف آلات صناعنا، استطعنا أن نستعملها بالطريقة نفسها في جميع ما تصلح له من الأعمال، وأن نجعل أنفسنا بذلك سادة الطبيعة ومالكيها»[4]

وعبر هذه المقارنة البسيطة بين اليونانيين القدامى وانسان العصر الحديث بإمكاننا فهم مظاهر هذا التحول في العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

الطبيعة عند اليونان	الطبيعة في العلم الحديث
تأمل الطبيعة	تسخير الطبيعة
معرفة الطبيعة	الانسجام مع الطبيعة
الإنصات إلى الطبيعة	السيطرة على الطبيعة
احترام ومحبة الطبيعة	استخراج خيرات الطبيعة

[3] مقال علاقة الإنسان بالطبيعة : وجهة نظر فلسفية بقلم عبد الكبير الطالب، أستاذ الفلسفة بثانوية الحسن الثاني نشر بموقع ميلدت بريس بتاريخ

[4] رونيه ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا، بيروت 1970، ص : 196.

حديثا ومع التطور الكبير الذي عرفته التقنية، سيتم تغيير وجه العالم وتيسير سبل التواصل بين أطرافه وبين الناس فيما بعضهم البعض، إلى جانب تعدد الاكتشافات العلمية وتحقيق الوفرة على مستوى الغذاء واللباس والأدوية والصناعات المتنوعة...

«ولكن هذا العلم بنفس الوقت أحدث خللا في نظام الطبيعة، وسبب التلوث البيئي للعديد من الأنهار والبحار والأجواء بفعل الآثار المدمرة للمواد الكيميائية والمبيدات الحشرية التي تسمم الأغذية وتلوث المياه والهواء، أو بفعل انبعاث الكبريت من المحطات الكبرى لتوليد الطاقة...»[5]

فحسب البيانات التي كشفتها مؤسسة ايكو اكسپرتس[6] تصدرت دول مجلس التعاون الخليجي قائمة أكثر الدول تلوثاً في العالم، وجاءت سبع دول عربية ضمن أكثر عشر دول تلوثاً فيما حلت الصين خارج قائمة العشر الأوائل.

التلوث البيئي والتغير المناخي والاحتباس الحراري تعد اليوم أبرز الظواهر الطبيعية التي تؤرق العالم وتزداد خطورتها على استمرار الحياة بالأرض من يوم إلى آخر.

هذا العنف المتوحش الذي يمارسه الإنسان على البيئة المحيطة به، يدق به آخر مسمار في نعشه.

فبقتله لكل ما يحيط به من نبات وحيوان وعناصر طبيعية وبيئية، هو يقتل الحياة ويقتل بذلك نفسه.

---

[5] محمد سبيلا، «الثورات العلمية التقنية الكبرى وتخومها الفلسفية والأخلاقية»، مدارات فلسفية عدد 16، 2008، ص : 51.

[6] تقرير مؤسسة ايكو اكسپرتس بعنوان «الدولة الأكثر تلوثا في العالم» الصادر يوم 27 جانفي 2017، الرابط :
https://blog.theecoexperts.co.uk/most-toxic-countries?__ga=1.9054387.702319549.1486161397

هذا ما دفع المنظمات البيئية والصحية في العالم إلى إطلاق صيحة فزع عالية تحذيرا مما تعترضه الحياة على الأرض من مخاطر.

فأثناء البحث اعترضتني فقرة توعوية بموقع جمعية الأمم للبيئة «هل تعلم ؟ ينتهي المطاف بنحو 13 مليون طن من البلاستيك في المحيطات كل عام. دعونا نعمل على التغلب على التلوث البلاستيكي. قم بتسجيل نشاطك المعني بيوم ـ البيئة ـ العالمي.»[7]

فهل نستطيع فعلا أن نحد من تدخلنا في البيئة على النحو الذي يحفظ حقوقنا وحقوق باقي الكائنات أم أن مسعانا هذا سيصطدم بمصالح الراغبين في الربح والسيطرة على الآخرين ؟ إلى أي حد سيبقى هذا المسعى سجين الإتفاقيات والبروتوكولات بين دول العالم ؟

هذا العنف الممارس من قبل الإنسان على الطبيعة تجاوز هذا الحد ليصبح مسلطا من الإنسان على الإنسان، ليس دفاعا عن حقه في البقاء فقط مثلما كانت غريزة الإنسان البدائي بل توسيعا لدائرة نفوذه.

بالرجوع إلى ميثولوجيا الأديان الإبراهمية أو إلى الدراسات الاركيولوجية والاحيائية التي تناولت سلوكيات العنف لدى الإنسان البدائي، نستخلص أن شرارة العنف انطلقت منذ ظهور الإنسان على سطح الأرض.

فقد ورد في النص القرآني نوعا من الجدال بين الملائكة والله حول تهديد الإنسان للحياة على اعتباره «مفسدا وسافكا للدماء» «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ 30» (البقرة، الآية: 30).

هنا تستشرف الملائكة مستقبل الحياة على الأرض وكأنها تريد أن تجزم بالنزعة الشريرة لدى الكائن البشري وهوسه بالتسلط وممارسة العنف

[7] موقع جمعية الأمم المتحدة للبيئة

«سفك الدماء». ويمكن اعتبارها أول موقف حاول إسقاط فكرة مركزية الإنسان في العالم.

الرد الإلهي كان مقتضبا و«أظهر حكمة بعيدة يستعصي على الملائكة فهمها، مما يبين وجود نظرتين لمستقبل الأرض قبل خلق الإنسان ؛ حيث تنطلق نظرة الملائكة من افتراض وقوع تغير في نمط الحياة على الأرض بمجرد إضافة نوع جديد إلى الأنواع الموجودة سالفًا، وكذا افتراض يمكن أن يبين لنا وجود تجربة مسبقة خلق بموجبها مخلوق قبل الإنسان وصدر عنه فساد، وكلا الفرضيتين، لم ترد بخصوصهما معطيات كافية لإثباتهما أو نفيهما. ويمكن أن نضيف في هذا المعرض نظرة «الله» التي تعالت على نظرة الملائكة على مستوى الاستشراف الزمني.»[8]

حدس الملائكة لم يخطئ فقد سُفكت الدماء سريعا، حين قتل قابيل أخاه هابيل. وورد ذكر هذا الأمر في سفر التكوين،

وكلم قايين هابيل أخاه، وحدث إذ كان في الحقل أن قايين قام علي هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقايين : أين هابيل أخيك ؟ فقال : لا أعلم، أحارس أنا لأخي ؟ فقال : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إليَّ من الأرض.»[9]

وكذلك بصيغة مشابهة بالنص القرآني ، «وَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ آدَمَ بِالْحَقّ إِذْ قَرّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبّلَ مِنْ أَحَدهمَا وَلَمْ يُتَقَبّلْ مِنَ لْآخَر قَالَ لَأَقْتُلَنّكَ قَالَ إِنّمَا يَتَقَبّلُ للّهُ مِنَ الْمُتّقِينَ(27) لَئِن بَسَطتَ إِلَىّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنّى أَخَافُ للّهَ رَبّ لْعَـٰلَمِينَ(28) إِنّى أُرِيدُ أَن تَبُواْ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ لنّارِ وَذَلِكَ جَزَآءُ لظّـٰلِمِينَ(29) فَطَوّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ لْخَـٰسِرِينَ(30)»[10]

---

[8] مقال ابراهيم نزار باحث مغربي، متخصِّص في الفلسفة. صدر في موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود بعنوان «العنف خاصية إنسانية».

[9] [8 – 10] سفر التكوين العهد القديم.

[10] المائدة، الآيات : 30، 29، 28، 27

هذه الحادثة تجسد بداية ثقافة الصراع الإنساني الإنساني. فملكة التفكير التي تميز بها الإنسان عن الحيوان وسائر الكائنات والتي منحته الأفضلية عليها، تم تغييبها والاستعاضة عنها بقانون الغاب والبقاء للأقوى.

فأمام تعدد الجوانب المؤسسة للعمل العنفي بين القائل بأن هذا السلوك فطري في الإنسان منذ بداية ظهوره وبين الذي يفسرها كممارسة تاريخية وسياسية تظهر ضمن سياقات وظروف تساعد على تنمية الظاهرة وتسمح بظهورها، لا يمكن الجزم بأن العنف ممارسة جاءت من خارج الذات الإنسانية، كما يصعب أيضًا إرجاعها إلى الفطرة، فنقول : إن العنف فطرة إنسانية.

ومع توسع دائرة العنف واتخاذه أشكال أكثر عدوانية (ظاهرة الإرهاب الجهادي مثالا واقعا) وأكثر تنظما، وجب الاعتناء بدارسة العنف من منظور سيكولوجي ــ سوسيولوجي أكثر منه بيولوجي جيني (على رغم أهميته يبدو قاصرا على تفسير إشكاليات العنف ودوافعه خصوصا أن الظاهرة أصبحت مركبة ومرّت بنسق سريع من العنف الفردي إلى عنف الجماعات والكيانات والدول...).

العنف وبأشكاله المتعددة (ومنها الشكل الارهابي المتوحش الذي سيتم التركيز عليه خلال الفصول القادمة للكتاب على اعتبار راهنيته) هو ظاهرة اجتماعية مركّبة ذو أبعاد وجوانب متعددة لهذا تعددت واختلفت التعاريف (حد التناقض أحيانا) المقدمة من عدد المفكرين والمنظرين.

في سوسيولجيا العنف :

في هذا الصدد يقترح الباحث ابراهيم الحيدري في كتابه «سوسيولوجيا العنف والإرهاب» تعريفا اجرائيا للعنف بأنه «الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص والجماعات وتدمير

الممتلكات، ويتضمن ذلك أساليب العقاب والاغتصاب والاعتداأت المختلفة والتدخل في حريات الآخرين».[11]

من خلال بحثه في الظاهرة قدم المؤلف نظريات عديدة في تفسير الظاهرة. أولا، المدرسة البيولوجية التي تحلل الظاهرة من خلال الغرائز البيولوجية التي تدفع الإنسان إلى القيام بسلوكات عنيفة.

يعدّ تشارلز داروين (1809 – 1882) من أبرز العلماء الذين تبنوا هذا المفهوم ورأوا أن السلوك العدواني العنيف ينبع من غريزة بيولوجية متأصلة في الإنسان «غريزة العدوان».

وهناك من ينفي المسؤولية الأحادية للجانب الغرائزي ويعوز السلوك العنيف إلى ما يسمّى ب «دافع العدوان».

الفرق بينهما أن نظرية الدافع العدواني لا تختزل الأسباب في الغزيزة فقط (والغريزة تنمو بصفة تلقائية غير متأثرة بالمحيط الخارجي) بل تؤكد على وجود «مؤثر خارجي» مثل العامل المحفز في الكيمياء

وهو الذي يثير الغرائز ويدفع نحو ممارسة سلوك عدواني.

في ذات الإطار، يفسر الطبيب وعالم الجريمة الإيطالي تشيزري لومبروزو (1835 – 1909) العنف بوجود عوامل وراثية تقف وراء هذه الظاهرة.

أثناء دراسته للعمليات الإجرامية وسلوكات الأشخاص المجرمين توصّل إلى صياغة نظرية سماها بنظرية الرجل المجرم. استنتج لومبروزو أن

[11] إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، ص 19.

المجرم إنسان بدائي يتميز بملامح خاصة توفرت فيه عن طريق الوراثة، وأنه مطبوع على الإجرام، أي أنه مجرم على الفطرة.[12]

وهنا نتساءل، هل فعلا يولد الإرهابي إرهابيا ؟؟ . . .

إضافة إلى ذلك أكد عدد من الباحثين على تأثير الخصائص المورفولوجية للفرد والهورمونات والغدد والكروموزومات في تنمي ظاهرة العنف عند الإنسان.

«أما بالنسبة لكونراد لورنز (1903 – 1989)، وهو متخصص في السلوك الحيواني، فهو يرى بان العدوان الإنساني ينبع بالأساس من غريزة النزال والتي يشاطر فيها غيره من الحيوانات. وقد أكد أن غريزة العدوان في الإنسان والحيوان تخدم غرضين أساسيين : الأول هو تحفز الصنف الحيواني على الانتشار والهجرة وذلك بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من مصادر المحيط، وهذا يتضح من مسالك العنف التي تبديها الحيوانات نحو بعض أفرادها ودفعها للهجرة من مناطقها التي تعيش فيها إلى مناطق أخرى، أما الوظيفة الثانية التي تخدمها غريزة العدوان فهي ضمان بقاء الأقوى والأصلح مما يضمن إقصاء الأضعف من البقاء ودوام الأقوى بالتكاثر. أما الجديد والمثير في نظريته هو أن طاقة العدوان قابلة للتجمع مع مرور الزمن إذا لم تصرف في حينها، وبان العنف والعدوان ينشا بصورة تلقائية ومتواصلة وبسرعة ثابتة، وبان إطلاق العدوان ينجم عن تفاعل عاملين أولهما مقدار الطاقة العدوانية المتجمعة، وثانيهما توفر العامل المطلق في المحيط وقوة هذا العامل. ورغم الانتقادات الموجه لهذه النظرية من حيث كون أساسياتها استخلصت من عالم الحيوان إلا

[12] César Lombroso، L'homme criminel، Parisn Ancienne Librairie Germer Baillère، 1887، p. 270. Version électronique disponible en ligne : http://classiques.uqac.ca/classiques/lombroso__cesare/homme__criminel__1887/homme__criminel.pdf

إن بإمكان المرء أن يلتمس الكثير من مظاهرها في سياقات السلوك الإنساني.»[13]

الجانب النفسي :

يقول فرويد في كتابه «قلق في الحضارة» : «إنّ الشعور بالذنب هو السبب الرئيس لتطوّر الحضارة.»[14]

تساءل «فرويد» أسئلة بسيطة وجوهرية؛ من أين يأتي كل هذا الدمار والعداء الذي يحيط بنا، هل الإنسان محكوم بأفكاره أم بغرائزه ؟ هل الإنسان في علاقته بالآخرين محب للخير والتسامح أم مدفوع إلى الشر والاعتداء ؟

كانت وقتها المجتمعات الاوروبية تعيش على وقع الصراعات الدموية وانتشار مدارس نظرية عنيفة كالفاشية والنازية وغيرها.

وكانت وقتها أغلب المقاربات، تتناول الأمر من زوايا معرفية أو اجتماعية أو حتى أيديولوجية وسياسية، كان فرويد منشغلا بالبحث داخل مساحة الإنسان نفسه.

يرى فرويد أن الإنسان ليس هو «ذلك الكائن الطيب السَمح الظمآن إلى الحب، الذي يدعي أنه لا يهاجم إلا دفاعا عن نفسه، فهذه الصورة الجميلة عن الإنسان لا توجد إلا في الكتب والأشعار والمُثل والأحلام ؛ أما في الحقيقة فالإنسان هو كائن يختزن قدرًا كبيرًا من العنف في تكوينه النفسي وفي كوامنه الغريزية، فكل إنسان ميال إلى استغلال الآخر والتفوق عليه والاعتداء عليه، لإشباع حاجته العضوية والنفسية، فالإنسان مدفوع

[13] عامر صالح، العنف : بين ماهيته السوسيولوجية وجذوره السيكولوجية والتربوية، موقع الحوار المتمدن العدد : 3647، صدر بتاريخ 23 فيفري 2012

[14] قلق في الحضارة، فرويد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة.

عضويا إلى إشباع حاجته من العدوان كما هو مدفوع إلى إشباع حاجته من الجنس.»[15]

يؤكد مؤسس مدرسة التحليل النفسي أن «هناك غريزتين متناقضتين تفسر السلوك الإنساني، أولهما غريزة آيروس أو غريزة الحياة، ورأى بأن لهذه الغريزة طاقتها والتي أطلق عليها مصطلح اللبيدو، وبأن هذه الغريزة تتوجه نحو التكاثر والإبقاء على الحياة، والغريزة الأخرى هي غريزة ثاناتوس، أو غريزة الموت، ورأى أن هذه الغريزة لها طاقتها، وبان هذه الطاقة تتجه نحو الدمار وإنهاء الحياة، وتحقق هذه الغريزة الهدف الأقوى في النفس الإنسانية وهي الرجوع إلى حالة ما قبل الحياة، إلا أن هذه الغريزة إذا ما أحبطت فأن لطاقتها أن تتوجه نحو الغير بدلا من توجهها نحو الذات، وعلى الرغم من المخارج التنفسية لهذه الغريزة كحالات الغضب أو النشاطات التنافسية، إلا انه رأى أن هذه الحلول مؤقتة ولا تجدي نفعا، إلا بالعودة إلى ما قبل الحياة أي الموت، ورأى أن التعاون والتضاد بين هاتين الغريزتين هو الذي يحدث ظواهر الحياة والتي يضع الموت نهاية لها.»

العنف والإرهاب :

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}[16]

رهبَ يُرهب، إرهابًا، فهو مُرهِب، والمفعول مُرهَب.

أرهب فلانًا : خوَّفه وأفزعه.

---

[15] دارات الحداثة، د. محمد علي سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر

[16] الأنفال : 60

هل الارهاب الذي يشهده العالم بوتيرة متسارعة، من السهل أن نجد له تعريفا مقترنا بفعل التخويف وبث الرعب والرهبة ؟

يقول دوهام (1861 – 1916) : «إنّ أحداث الحاضر تصنع أو توصف أو يخبر عنها بنظريّات لغويّة صنعت في الماضي، فلا يمكن فهم الحاضر ما لم نفهم نظريّاتنا اللّغويّة التي أنتجته في ماضينا».

ويقول (جيروم كيغان)، وهو محق في ذلك : «يتحدد معنى أية جملة بالنسبة إلى المتحدث والسامع وفقاً للأمور الفعلية التي يتحدثان عنها، في ضوء شبكة الأفكار التي تصدر عنها الجملة» و(كيغان) هنا يستلهم بذلك بعض المآثر الفكرية للفيلسوف (لودفيك فتغنشتاين) الذي يقول إن معاني معظم العبارات التي يتم تداولها بين الناس هي معانٍ مبهمة.

وعلى الرغم من وجود الأمثلة الكثيرة على الأحداث الإرهابية تاريخياً، إلا أن الإرهاب بشكله الحديث ظهر في منتصف القرن التاسع عشر، وتعود كلمة إرهاب الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية المعتمدة بدورها على أصل لاتيني وتعني (تخويف) وترجع تاريخياً إلى عام (1795) عندما استخدمت لوصف أعمال ما يسمّى جماعة اليعاقبة بقيادة (ماكسيمليان روبسبير) بعد الثورة الفرنسية، إذ أشاع هؤلاء استخدام هذه الكلمة للتعريف على أنفسهم، وقد وصفت تلك الفترة (1789 – 1799) بفترة (الرهبة أو الرعب). أما المعنى (الإنجليزي)، فإنه قد شاع عندما استخدمه الفيلسوف السياسيّ المحافظ (إدموند بيرك) الذي كان من أشد معارضي الثورة الفرنسية بشكل عامّ، والإرهاب بشكل خاصّ.

تعريف الارهاب كظاهرة اجتماعية وثقافية متشعبة الجوانب لا يمكن إلباسها هذا الاختزال اللغوي أو ربطها بعقيدة أو فكرة معيّنة، إذ أن التاريخ الإنساني لا يكاد يخلو في كل حقباته من سرديات الحروب والعنف التأسيسي.

فكم من حضارة بُنيت على أنقاض حضارة أخرى وانتصرت بفضل «السيف» ودُوّنت مآثر المنتصرين بأحرف من ذهب.

وما يراه البعض «إرهابا» يراه البعض عملا مشروعا، وما يراه البعض «حربا على الإرهاب» يعتبره الآخر «إرهابا» قال ناعوم تشومسكي : «القتل الغاشم للمدنيين الأبرياء هو إرهاب، وليس حربا على الإرهاب.»

فالإرهابي في نظر جماعة محارب من أجل الحرية والاستقلال والكرامة، وفي نظر آخرين، قاتل بربري متوحش، يجب ملاحقته والقضاء عليه بأية طريقة.

هنا نستخلص نسبية المفهوم وخضوعه لرؤى جيوسياسية وايديولوجية مختلفة ومتضاربة المصالح.

ففكل ديانة سماويّة كانت أو أرضيّة، بل في الأديان التوحيديّة بالذات، ما يبيح القتل، كما يوجد ما يمنعه.

ولأن «الإرهابي» هو مفهوم متغيّر قابل للتطويع، فمثلما تم استقبال الأصوليين الأفغان في البيت الأبيض ودعمهم هم و«المجاهدين العرب» بالمال والسلاح لقتال «امبراطورية الشر والكفر» (الاتحاد السوفياتي) من قبل حرّس الايمان وحماة العقيدة، تمّ شن الحرب على هؤلاء أنفسهم تحت عنوان «الحرب الدولية على الإرهاب».

وقتها كانت منظمة التحرير الفلسطينية مثلا على لائحة المنظمات الإرهابيّة !!

«لكي نفهم الإرهاب اليوم، علينا أولا أن نخترع لغة سياسية جديدة لإدراك لحظة العبور من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.»[17]

[17] طوني نغري، حوار مع نغري، بيار اندري بوتونغ وآني شوفالاي، 2004.

من هو الإرهابي اليوم ؟ هل عدو محلي أم هو عابر للقارات ؟ هل هو «ذئب منفرد» يعيش حالة من الغربة والانفصال الروحي أم هو أصبح عدوا عضويا مندمجا ؟

«ففي مجتمع السياسة العضوية، لا تكتفي السلطة بإنتاج أو بتوفير النظام السياسي بل هي تصبح مشاركة ومنخرطة في التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.. وفي الحياة كلّها. هنا يمكن أن نلاحظ لحظة العبور من المجتمع المنضبط إلى المجتمع المراقب بتعبير ميشال فوكو.

كما أشار إلى ذلك مطاع الصفدي في تقديمه لكتاب (المراقبة والعقاب) لـفوكو، حين قال إنّ : «ولادة المجتمع الانضباطي الشامل تحققت تلقائيا، عندما تغلغلت شبكات التنظيم في كل مجال فردي ومؤسسي. وأصبح هاجس التنظيم يبرر كل أساليب الإخضاع والإشراف والإصلاح والتوجيه... إذ يغدو كل فرد رقيبا على ذاته وغيره، حسوبا لأتفه التصرفات، مقيّما إيّاها بما تستحقّ أو لا تستحقّ، تحت طائلة طبقيات لا تنتهي من القيم والاعتبارات والعادات.»[18]

بيد أن تعامل السياسيين مع الإرهاب كظاهرة متجددة تجاوزت الأطر الزمانية والمكانية، لا يتجاوز مفهوم الحروب الكلاسيكية، عندما أعلن «جورج بوش الإبن» بداية الحرب على الإرهاب سنة 2001 عن طريق بداية غزو أفغانستان كان عاجزا تحديد مفهوم العدو فمن قام بعمليات 11 سبتمبر هم شباب عرب غير أفغان فيهم من لا يزر أفغانستان أصلا، هم شباب متعلم في جامعات أمريكية وألمانية وفرنسية، هم أبناء العولمة وصانعو الإرهاب المعولم.

الإرهاب اليوم تسلل إلى الكمبيوترات مع الميكروبات والفيروست والبكتيريا والجميع يعرف هذا، الارهاب يعيش اليوم في المجال الافتراضي وتمكن

[18] فوكو، ميشال، المراقبة والعقاب، ترجمة علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990 م، ص 37.

من تأسيس ايديولوجيا عنكبوتية عجزت منظومات الأمن الالكتروني عن مجابهتها.

في هذا الإطار قال الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا «ففي يوم من الأيام سيقال إن 11 سبتمبر كانت من الماضي الجميل. كانت آخر حروب المرئية والمشهدية.»[19]

ما يهمنا في هذه الدراسة بصفة خاصة هو العنف الديني المقدس الذي تمارسه حركات جهادية، هذه الحركات اتخذت من «الإرهاب» المتعدد الأبعاد آلية لبناء «دولة الخلافة الإسلامية».

فهل أن وجود نصوص دينية إسلامية تشرّع لممارسة العنف يرسخ فكرة تلازم الإسلام والإرهاب أم أن «العالم دون إسلام» (كتاب «غراهام فوللر) سيكون كذلك دمويا وصداميا بين الشرق والغرب ؟ وهل أن ثقافة العنف متجذرة في البيئة العربية حتى من قبل أن يظهر الإسلام ؟

العنف والفلسفة :

يعتبر العنف خيبة أمل الإنسانية، حيث حول الانسجام إلى صراع والقرابة إلى غرابة واللقاء إلى قطيعة كارثية تهدد الإنسانية. يقترن العنف اليوم أكثر من ذي قبل بتنامي ظاهرة الإرهاب والتعصب للموروث الديني وهو مايجعل التفكير الفلسفي مدعوا لترسيخ الحوار الايتيقي بين الأفراد والثقافات والأديان دحرا لكل أشكال العنف ونفيا لصراع الحضارات وتأصيلا للحضارة الواحدة وهي الحضارة الإنسانية إذ يتطلب السعي لذلك فنا في التواصل الايتيقي والديالكتيكي الذي يمكن أن يشكل سلاحا مقاوما للخلاص من العنف. فهوبز يؤكد عدوانية الانسان المتأصلة فيه و«هو المولع بالحرية» و«المنقاد انقيادا أعمى بغريزة الدفاع عن البقاء وضمان الوجود»

[19] دريدا، جاك، حوار مع صحيفة لوموند ديبلوماتيك في فيفري 2004 حول الإرهاب.

تعريف الإرهاب وأهدافه : مؤسسة مؤمنون بلا حدود

(الكوناتيس Conatus). ان هذه النزعة التدميرية المتأتية من العمق تنعكس بالضرورة على ميدان العلاقات البينذاتية حيث تتعين في ساحة الممارسة في اشكال عدة من التسلط والاكراه الذي تمارسه الذوات بشكل متبادل فيكون العنف خيبة الإنسانية وهو عنف اما ان يتخذ بعدا رمزيا يتجسد في نظرات الاحتقار والتعالي التي تترجم نوازع الكره والحقد . . او ان يتخذ بعدا ماديا حيث الاغتيال الجسدي والتصفية المباشرة . . وفي كلتا الحالتين يكشف الأمر عن اختلال أنطولوجي مدمر ؛ اختلال ذات ترفض انسانيتها فينعكس ذلك على علاقتها بكل ماهو آخر حيث يقول سارتر : «الآخرون هم الجحيم. .» و«إما انا او الآخر علينا ان نختار . .» حيث يشكل ذلك صدمة حقيقية في عمق الحالم بالكوني بذلك يكون التواصل حوار متبادل كمقدمة للتفاهم واللهم وإرساء ضرب من الوفاق الكوني الإنساني، إذ تنخرط ممارساتنا العقائدية التي تحقق تواصلنا مع المطلق وترسي ضربا من اللقاء مع الآخر حيث إرساء قيم التسامح والاعتدال ونبذ العنف والتعصب والكراهية وبالتالي يكشف لنا المقدس عن وجهه الإنساني إذ يمثل خروجا عن دائرة العنف بتحقيق روح التآزر لدى الجماعة فيوطد العلاقات بين الأفراد عبر تحويل وجهة العنف وامتصاصه. يقول روني جيرار : «ان الدين يسعى دوما إلى تلطيف العنف ومنعه». التواصل إذن هو رد مباشر على خيبة الأمل التي تصيبنا جراء ممارسة العنف . . إنه أملنا و خلاصنا . . سعادة ممكنة في عالم يسوده السلام. لكن لابد من لغة التواصل والحوار ان تكون مبنية على اساس مبادئ ايتيقية تسمح باللقاء بينذاتي وبينثقافي وبتحديد العنف ومحاصرة دائرة انتشاره من خلال الإيمان بايتيقا النقاش و آدابه كما ذهب لذلك هابرماس، حيث نؤمن بتجذير دلالة الحوار في عمقه السقراطي، أين يكون البشر مجموعة ذوات عاقلة تمتلك ضميرا أخلاقيا وإرادة تسمح لها بالمشاركة في إنتاج الحقيقة. يقول فولتار : «أختلف معك في الرأي و لكني مستعد لإراقة آخر قطرة من دمي لتبلغ رأيك.» لذلك

يجب علينا تحمل مسؤوليتنا في توظيف وساءطنا ورموزنا التي هي في الاصل محايدة، فإذا غلبنا منطق المصلحة او العقل الأداتي كان التواصل خيبة وتعزيزا للعنف. وإذا تحررنا من اهواءنا واحتكمنا إلى ضرورة عقلية كان بوسعنا الاهتداء للفضيلة والحق والعقل وكان بإمكاننا ان نحلم بعالم اجمل تتنافس فيه الذوات لا لأجل الاقتتال بل لأجل التضحية والتنازل في سبيل الحق والخير والسلام

العنف والسياسة :

ان تاريخ البشرية الذي يمتد حوالي 3400 سنة لم يعرف خلاله الا 250 عاما من السلم الدائمة اذ يقول عبد الرحمان ابن خلدون بهذا الصدد : «ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ ان برأها الله واصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض...» فالقوة في العلاقات الدولية هي التي ولدت النزاعات والحروب، الحرب فعل عنيف تقوم به الدولة كجزء من الشأن العام لذلك يتم اتخاذ قرار خوض الحرب او انهاءها في اطار آليات التداول والمشاركة الديمقراطية ولأن جوهر سلطة الدولة هو العنف يتم صرفه وفق قوانين للحفاظ على النظام الاجتماعي والأمن العام من خلال ضمان توازن المصالح والقوى. ان دولة القانون الحديثة وباحتكارها للعنف نجحت في الحد منه اذ لم يعد ممارسة عشوائية بل وقع تصريفه من خلال سلطات الدولة ومؤسساتها. اذ يقول weber : «لقد اتبعت المجموعات السياسية المتنوعة بدءا بالمجموعات القائمة على روابط القرابة العنف المادي كسبيل للوصول للحكم و على خلاف ذلك يجب اعتبار الدولة المعاصرة مجموعة انسانية استطاعت ان تحقق ما طالت به من حق الاستئثار بالعنف المشروع في اطار اقليم محدد يعتبر من خاصيات الدولة، ان عصرنا على خلاف العصور الماضية يتميز بأنه لا يبيح للمجموعات لا للافراد اللجوء الى العنف إلا بمقدار ما تسمح به الدولة وهكذا تصبح الدولة

المصدر الوحيد الذي يستمد منه الحق في العنف[20] العنف لا ينفصل عن السياسة وهو وسيلة رامية للاخضاع والسيطرة لذلك فإن العنف هو مشكل سياسي ومشكل أخلاقي يتطلب سياسة عقلانية وأخلاقية لممارسته، تقول حنة أرندت : «ان ممارسة العنف، مثل كل فعل آخر، من شأنها أن تغير العالم ولكن التبدل الأكثر رجحانا سيكون تبدلا في اتجاه عالم أكثر عنفا.»[21]) وتضيف في سياق آخر ان السياسة الحقيقية تتمثل في تكريس علاقات سلمية بين مواطنين أحرار ومتساوين.

[20] (Max Weber : Le savant et la politique, Plon, Paris, page 113.)

[21] في العنف، صفحة 73

المبحث الثاني :
العنف في الثقافة العربية قبل الإسلام

يحدد المعجم العربي القديم مادة عنف الثلاثية تحديدا لغويا فيقول عنها : (العُنْفُ، مُثَلّثَةَ العَيْنِ : ضِدُّ الرِّفْقِ. عَنُفَ، ككَرُمَ، عليه، به، وأعْنَفْتُه أنا، ـ وعَنّفْتُه تَعْنِيفاً. ـ والعَنِيفُ : مَن لا رِفْقَ له بِرُكوبِ الخَيْلِ، والشديدُ من القولِ والسيرِ. وكان ذلك مِنّا عُنْفَةً، بالضم وبضمتين، واعْتِنَافاً، أي : ائْتِنَافاً. وعُنْفُوانُ الشيءِ، بالضم، وعُنْفُوَّهُ، مُشددةً : أوّلُه، أو أوّلُ بَهْجَتِه.ـ وهم يَخْرُجُونَ عُنْفُوَاناً عَنْفاً عَنْفاً، بالفتح : أوّلاً فأوّلاً. والعَنَفَةُ، مُحرّكَةً : الذي يَضْرِبُهُ الماءُ فَيُديرُ الرّحَى، وما بَيْنَ خَطّي الزّرْعِ. واعْتَنَفَ الأَمْرَ : أخَذَهُ بعُنْفٍ، وابْتَدَأَهُ، وائْتَنَفَهُ، وجَهِلَهُ، أو أتاهُ ولم يَكُنْ له به علمٌ. والطعامَ، والأَرْضَ : كَرِهَهُمَا، والأَرْضُ : لم توافِقْني. وابِلٌ مُعْتَنِفَةٌ : لا توافِقُهَا. واعْتَنَ فَ المَجْلِسَ : تَحَوّلَ عنه، والمَراعِيَ : رَعَى أُنُفَهَا. وطريقٌ مُعْتَنَفٌ : وهو ما يصبّ في خانة القسوة والشّدة والحاق غيرُ قاصدٍ. (وعَنّفَه : لامَه بعُنْفٍ وشِدّةٍ). الضّرر بالنّفس أو بالغير سواء بإلحاق الأذى النفسي أو الجسدي ومهما كانت الوسائل بما في ذلك وسيلة الكلام وبقية نظم العلامة.[1]

هو عمرو بن عامر بن جِذْل الطعان، واسمه علقمة بن فِراس الكنانيَ، وهو الذّي يقول يصف بني ضبّة :

نِعْم الفوارس يوم جيش محرق ◆◆◆ لحقوا وهم يدعون : يا لضرار !

ولأن الشعر عند العرب القدامى وخاصة في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام (وقد سميت بالجاهلية إلا أنني لا أتفق مع هذه التسمية التي أراها

[1] الفيروزبادي (مجد الدين بن يعقوب) : القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1999، ص : 756. مادة عنف.

مجحفة في حق فترة مهمة من التاريخ العربي، فترة عرفت حركة أدبية وشعرية جديرة بالبحث والتقدير. فكما هناك «جاهلية الدين» هناك بالقياس ذاته «جاهلية التديّن») كان هو الوسيلة المعتمدة للتدوين والتأريخ (قبل أن يظهر الإسلام وتستبدل بالنصوص الدينيّة من قرآن وسنّة محمّديّة)، تم تركيز البحث على الأشعار التي تؤسس للعنف سواء كان لفظيّا أو توصيفا لتفاصيل الحروب والمناوشات.

فقد كانت البيئة العربية وقتها بيئة صعبة المعاش نظرا للمناخ الصحرواي الجاف وقلة مصادر الغذاء والمياه، إضافة إلى الحضور القوي للعصبية القبلية في التركيبة الاجتماعية للانسان العربي.

لهذا شهدت المنطقة عدة حروب ومعارك تتمحور أسبابها أساسا حول الكلأ والماء.

هذه البيئة المتصلة بالبداوة كانت مسرحا للعنف في عدة صور.

إنه تاريخ العنف، تاريخ السيف والرمح والقوس والقناة والخنجر، تاريخ الدم والسب والشتم والهجاء أيضا. قد تحيل إلى ذلك مدونات السّير ومدونات الرواية الأدبية على حد سواء ومدونات الشعر العربي الحماسي. ومهما غلبت الغنائية والذاتية والخيال المتعلق بالصورة على الشعر العربي إلا أن ذلك لا يلغي عنه الحقيقة التاريخية والموضوعية في سرد ملاحم العرب وحروبها تحديدا، ولا يلغي عنه الصدق في سرد تفاصيل العنف عند العرب في ظل الحياة بداوة والحياة القبلية والجاهلية، قد يبالغ هذا الشاعر، وقد يضيف ولكن الفارق لن يكون كبيرا بين إحصائيات السكان واحصائيات القتلى والجرحى. لقد حفل التاريخ العربي قبل الإسلام بالعنف، ليس لأن النظام لم يكموجودا وليس لأن فضائل الحكمة والإنسانية والرحمة لم تكن موجودة، وانما للاضطراب الحاصل في هذه القيم وفي غيرها مما يشكله مبدأ المروءة. ثم إن النظام القبلي السائد آنذاك كان مبنيا على العصبية حتى قال دريد بن الصمة :

وما أنا إلا من غزية إن غوت +++ غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهنا تتجلى العصبية القبلية. .

هذه العصبية كان دافعا لوقوع عدة حروب منها من لم تكن أسبابها ظاهرة، فالعربيّ وقتها كان يقدّس الحرب (وهذا ما يفسّر الحضور المكثّف للحروب في الشعر العربيّ «الجاهلي») الحرب عامل بقاء، وعنصر أساسي من مقومات الحياة.

من أشكال العصبية القبلية وحياة البداوة، ظاهرة الأخذ بالثأر. هذه الظاهرة التي سيطرت على عقل

البدويّ، الذي لا يرتاح ولا يغمض له جفن قبل الأخذ بثأره، وتعظم المصيبة عندما لا يكتفي

الرجل بالثأر من القاتل فحسب، وإنما يصمم على إبادة القبيلة.[2]

هذا على مستوى الجانب الاجتماعي، أما اقتصاديا، فالصراع على الكلأ والماء كان من مميزات الواقع اليومي المعيش. «فإذا أخلفت السماء وأمحلت الأرض، أكل بعضهم بعضا.»[3]

وهذا يبين لنا سبب تتبع البدوي مساقط الغيث، ورحيله وراء الماء، فالأرض الخصبة الموفرة بالماء والعشب كانت مطمعاً لكل قوي، وذلك بسبب غياب السلطة التي تحكم أهل البادية، فالقوي يأكل الضعيف، ويسلبه وينهب أملاكه.

---

[2] ضناوي، سعدي : أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993 ص 141.

[3] خفاجي، د. محمد عبد المنعم: الشعر الجاهلي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973 ص 91 – 92.

إضافة إلى ذلك، نذكر أسبابا أخرى لقيام الحروب، كالنهضة لحماية الجار، والعصبية القبلية، والنفرة من العار، والاعتزاز بالقرابة الواشجة، والمفاخرة، والمنافرة، والإباء، والشمم...[4]

تتعددت أشكال الحروب ويمكن تلخيصها في أربعة أشكال رئيسية وهي : النزال، المناوشات، الغارات والالتحامات.

وما وصل إلينا عن هذه الحروب والغزوات الجاهلية يدل على اهتمام الجاهلي بها، وقد حفلت كتب التاريخ بكثير من المعارك التي قام الجاهليون بها، وهذه الحروب والغزوات أطلق عليها اسم الأيام.

فالأيام هي اسم لتلك الحروب التي وقعت بين القبائل العربية الجاهلية للأسباب التي تمذكرها «وقد سميت الأيام وعرفت بأسماء الأماكن التي وقعت فيها هذه المعارك كيوم كلاب وشعب جبلة، وآراب، وجدود، وأعشاش، أو بأسماء الأشخاص أو الحوادث البارزة فيها، كيوم البسوس، ويوم حليمة، ويوم داحس والغبراء».[5]

مظاهر العنف تم لتأريخ لها من خلال نصوص نثرية قصصية أو شعرية. وما يلاحظ على تركيز معنى العنف بين التعليق النثري والسرد القصصي من جهة وبين الشعر المعبر عن الحادثة من أي طرف كان، هو خفة حدة العنف في الألفاظ الشعرية وقوة شحنتها الدلالية في مجال العنف في النثر، والسبب في ذلك يرجع إلى الضوابط الشكلية التي يتطلبها الشعر من أوزان وقواف مما يحتم تغيير اللفظة بأخرى وما إلى ذلك مما يقتضيه التضييق الوزني وتضييق التزام القافية.

من خلال دراسة لمؤلَّف « أيام العرب»، نجد عدة أمثلة للعنف اللفظي.

---

[4] خفاجي : الشعر الجاهلي، ص 90 – 92.

[5] القيسي، نوري حمودي : الفروسية في الشعر الجاهلي، ط2، مكتبة النهضة العربية، 1984، ص 96.

ففي يوم «البردان «(نسبة إلى منطقة» غيل البردان وهي منطقة جغرافية تاريخية اشتهرت بوقوعها على طريق الحج بين صنعاء ومكة المكرمة)، دار حوار بين أم أنس بنت عوف بن ملحم الشيباني وهي أم الحارث بن حجر وسابيها الحارث بن مندلة، وهو ملك من ملوك سليح بالشام وابن الهبولة مفاده أن أم أنس قالت له عن زوجها حجر آكل المرار : «إني لأرى ذات ودك، وسوء درك، فإني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافيره مشافير بعير آكل مرار، قد أخذ برقبته (فسمي آكل المرار بذلك)».»[6]

المرأة هنا أهانت زوجها لإرضاه سابيها حين عايرته بالسواد وشبهت مشافره بمشافر البعير الذي يأكل المرار وهو شجر مرّ.

اخترنا هنا مثلا واحدا ولكن الأمثلة عديدة ولا يكاد العنف اللفظي يغيب على أي موقعة قتالية.

بالنسبة للشعر (الهجاء والحماسة أساسا)، فقد وردت في «أيام العرب» عدة أبيات شعرية تحتوي على منسوب كبير من العنف.

الهجاء والذي يعتبر في ذاته شكلا من أشكال العنف. لغة: الذم، والهجاء عند الزمخشري مأخوذة من هجاء الحروف. والمرأة تهجو زوجها إذا عددت عيوبه، وللمادة معان أخرى هي أقرب لأن تكون أصلا للمعنى الأدبي : فالهجاة والهاجة : الضّفضع. وهجو يومنا : اشتد حره. وهجي : انكشف، وقد يكون المعنى الأدبي مأخوذا من كل هذه الأصول.[7]

---

[6] أبو عبيدة : أيام العرب قبل الإسلام، ملتقطات من الكتب والمخطوطات، القسم الأول 10 دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية، عادل جاسم البياتي، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد العراق، د ط، 1976، ص 387 – 388.

[7] راجع الزمخشري (جار الله محمود بن عمر) : أساس البلاغة، دار صادر بيروت لبنان، د 19 ط، 1979، ص : 437

أما الحماسة فهي «باب من أبواب الشعر العربي القديم، وقد كان الشاعر العربي القديم لسان قومه في تسجيل مآثرهم، والدفاع عنهم، ونشر محامدهم، وقد وضعت، في عهد التدوين، كتب عديدة في (الحماسة) تعنى كلها باختيار عيون الشعر العربي في موضوعات يغلب عليها طابع البطولة.»[8]

وهي أيضا « ولما كان الفخر والحماسة من نتاج العاطفة الشديدة، والانفعال العميق، فقد حفلا بالمغالاة، وانطلق فيهما الخيال مضخما مهولا، وبرزت فيهما الحقائق التاريخية مجلببة بجلباب العاطفة والخيال، واشتدت فيهم الأساليب الكلامية والألفاظ والحروف اشتدادا هدارا، يرافق انفجارات النفوس واصطخابات القلوب، كما يرافق في مجالات القتال صهيل الخيول وقعقعات الأسلحة وجلبات المنون.»[9]

يقول امرؤ القيس :[10]

ألا قبح لله البراجم كلها . . . وقبح يربوعا وجدع دارما

وآثر بالمخزاة آل مجاشع . . . منون إماء يغتبئن المغارما

من خلال هذه الأمتلة وغيرها، تتبين لنا فصول من الصراع الدموي العربي بين القبائل. صراعات كانت لأسباب تافهة (نسبيا) في أغلب الأحيان.

ربما كان هذا الأمر من مستلزمات حياة البداوة ومدفوعا بقوة العصبية القبلية. عصبية قبلية كانت من مرتكزات النظام الاجتماعي السائد وقتها ولكنها لم تكن العصبية الوحيدة فقد عرفت شبه الجزيرة العربية (قبل ظهو الإسلام) حياة دينية متنوعة، وعاش فيها عبدة الأصنام (في هذه النقطة هناك باحثون

[8] محمد عزام : مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي، منشورات وزارة الثقافة السورية، 20 دمشق سورية، د ط، 1995، ص 195.

[9] حنا الفاخوري : الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 05، د ت، ص : 06.

[10] أبو عبيدة: المصدر نفسه، ص : 419.

يرون أن الأصنام لم تكن معبودة لذاتها ولكنها كانت واسطة بين الانسان والاله أو الآلهة المتعددة) والأحناف واليهود والمسيحيين واللادينيين.

فهل أنّ «العنف المقدّس» الذي نجد له أثرا في عدد من النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية، قد نهل من خصائص البيئة العربية بحياتها البدوية وتنوع دياناتها (وخاصة التوحيدية الابراهيمية) ؟

وهل الإسلام دين في جوهره ما يأسس للعنف ويدعو له أم أنّه حمّال أوجه ؟ اذ لا تخلو ديانة ما أو ثقافة ما أو حضارة ما من نصوص تشرعن العنف...

الفصل الثاني :
الحركات الجهادية المنظمة

المبحث الأول :
الخصائص الفكريّة

ماهي السلفية ؟

يقول ابن منظور في مادة سلف : «سلف يسلف سلفاً وسلوفاً : تقدّم، والسالف : المتقدم. والسلف والسليف والسلفة : الجماعة المتقدِّمون.

«فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ»[1]

والقوم السلاف : المتقدِّمون. وسلف الرجل : آباؤه المتقدِّمون، والجمع أسلاف وسلاف... والسلف أيضاً : «مَنْ تقدَّم من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنّ والفضل، وأحدهم سالفٌ. وقيل : سلف الإنسان مَنْ تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمِّي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح»[2]

وقال الشاعر :

ولاقَتْ مَناياها القُرُونُ السَّوالِفُ كذلك تَلْقاها القُرونُ الخَوالِفُ

وقال قيس بن الخطيم :

لو عَرّجُوا ساعةً نُسائِلُهُمْ رَيْثَ يُضَحّي جِمالَه السَّلَفُ

وقال طُفيل الغَنَوي يَرْثي قومه :

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السبيلِ عليهمُ وصَرْفُ المَنايا بالرِّجال تَقَلَّبُ

أَراد أَنهم تقدّمونا وقصدُ سَبيلِنا عليهم ؛ أَي نموت كما ماتوا فنكون سَلَفاً لمن بعدنا كما كانوا سلفاً لنا.

---

[1] (56) سورة الزخرف.

[2] ابن منظور، لسان العرب 6 : 330 ـ 331، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988 م.

السلفية مفهوم يصعب تأطيره ضمن تعريف محدّد نظرا لتعدد المدارس الفقهية والتحولات التي عرفها الخطاب الإسلامي السلفي المعاصر.

يعرّف السلفيّون السلفية بأنها «فهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وهم النبي محمد والصحابة والتابعون وتابعو التابعين باعتباره يمثل نهج الإسلام والتمسك بأخذ الأحكام من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ويبتعد عن كل المدخلات الغريبة عن روح الإسلام وتعاليمه، والتمسك بما نقل عن السلف.»[3]

وذلك استنادا إلى الحديث النبوي : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعد ذلك أناس يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ويكون فيهم الكذب.»[4]

ويعرّف الشيخ أحمد السكندري في كتابه «السلفية، قواعد وأصول» السلف بأنهم : «الصحابة، والتابعون، وتابعوهم من أهل القرون الخيرية الثلاثة الأول، عدا أهل البدع، كالخوارج، والمعتزلة، والقدرية، والجهمية، وغيرهم من فرق الضلالة. والسلفيون هم الذين يعتقدون معتقد السلف الصالح رضي الله عنهم، وينتهجون منهج السَّلَف في فهم الكتاب والسنة»[5]

برزت بمصطلحها هذا على يد أحمد بن تيمية في القرن الثامن الهجري، وقام محمد بن عبد الوهاب بإحياء هذا المصطلح من جديد في منطقة نجد في القرن الثاني عشر الهجري، وقد كانت الحركة الوهّابية التي أسَّسها من أبرز ممثّلي هذه المدرسة في العصر الحديث. ومن أهمّ أعلامهم : عبد العزيز بن باز، ومحمد ناصر الدين الألباني، ومحمد بن صالح بن عثيمين، ويعقوب الباحسين.

---

[3] أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، المؤلف/مصطفى بن محمد بن مصطفى، مكتبة صيد الفوائد، 2003.

[4] البخاري (2652)، ومسلم (2533) عَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعود.

[5] أحمد فريد السكندري، السلفية أصول وقواعد : 4 – 5.

وبذلك نستطيع القول بأن الخطاب الإسلامي السلفي يرجع إلى بنية تجد جذورها في المدرسة السلفية الحنبلية وفي فتاوي ابن تيمية وقام محمد بن عبد الوهاب باحياءها في البيئة النجديّة.

في تلك المرحلة (محمد بن عبد الوهاب والسلفية النجدية) لم تبدأ بوادر الانقسامات بعد، ولكن مع صعود التيار الجهادي في مصر تغيّر الأمر.

أثناء البحث، تبادلت الحديث مع عدة أصدقاء حول الظاهرة السلفية، واستخلصت أن السلفي عندهم واحد فلا فرق بينهم مختلف التيارات والحركات ما دامت تشترك في الجوهر والأهداف.

لكن في حقيقة الأمر فإن هذا «الباراديم» النمطي المعتاد ليس واقعيا بالنظر إلى الصراع القائم بين السلفية التقليدية والسلفية الجهادية (أو الجهادية التي صُبغَت بطابع سلفي أثناء التلاقح بين «المجاهدين» العرب في أفغانستان).

«الجهاديون» الأوائل تخرجوا من السجون المصرية إثر هزيمة 1967، وقتها شهدت مصر موجة من التدين.

وتم الإعلان عن موت القومية العربية كما عنونت بالخط العريض جريدة الشرق الأوسط، وذلك في السادس من شهر جوان.

هذا النفسي الديني المتصاعد امتد حتى إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر ممّا جعل صحف حزب البعث تهاجمه في أكثر من مّرة.

انتشرت آنذاك عدة جماعات دعوية على المنهج السلفي النجدي وكثر الاهتمام بكتب ابن تيمية وابن القيم وابن كثير.

وكانت أشهر الجماعات هي «الجماعة الإسلامية» التي أسسّها الشيخ الأزهري «عمر عبد الرحمن» (1938 – 2017) وهو حاصل على شهادة الدكتوراة في التفسير (حول موضوع : «موقف القرآن من خصومه كما تصوره سورة التوبة»).

نشطت الجماعة في المجال الدعوي تحت إطار «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

كما عرفت الساحة ظهور « تنظيم الجهاد» تحت قيادة «أيمن الظواهري» (1951 – الآن) والذي نهل خصوصا من أفكار سيد قطب وخاصة كتابي «في ظلال القرآن» و«معالم في الطريق».

رأوا أن هذه الأفكار لا يمكن تطبيقها إلا باستعمال العنف المقدّس «الجهاد» ومن هنا تم اقتباس إسم التنظيم (تنظيم الجهاد أو تنظيم الجهاد الإسلامي).

وبالنظر إلى مسار التيار الجهادي في مصر يبدو أنه تبلور على أفكار محددة، مثل ما جاء في كتاب (الفريضة الغائبة) لمحمد عبد السلام فرج (وهو مهندس كهربائي، تم إعدامه وعمره 24 عاما !) والكتاب بسيط يرتكز على الحاكمية، لكنه أثار قضايا مهمة، كحكم الطائفة الممتنعة، وفتوى (ماردين)، وقضية (الياسق)، وطرح مسألة: هل قتال العدو القريب (النظام الحاكم) أولى أم قتال العدو البعيد (أمريكا) ؟، وانتهى إلى أن الحل بحمل السلاح، ويمكن اعتباره أول من وظّف حديث (جئتكم بالذبح).

ومع قدوم التجربة الجهادية الأفغانية تراكمت عند التيار الجهادي بمصر إضافات فقهية وحركية.

قبل ذلك وخلال بدايات القرن العشرين، تأسست حركة «الإخوان المسلمين» (سنة 1928 تحديدا) وقدمت نفسها على أنها حركة إسلامية إصلاحية وبديلة عن النظم والإيديولوجيات المنتشرة آنذاك (شيوعية ورأسمالية أساسا).

اعتبرت أن الحل السحري لأزمات «الأمّة» هو في الرجوع إلى مبادئ الإسلام وتطبيقها على الأرض سواء على المستوى المجتمعي أو على مستوى التشريعات.

«فالعالم كلّه حائر مضطرب، وكلّ ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه، ولا دواء له إلاّ بالإسلام. فالإسلام رسالة عالمية فيها حلٌّ لجميع المشاكل والويلات التي كانت الحضارة الرأسمالية والاشتراكية وراءها. إنه قادرٌ على الوقوف في وجه هذه الموجة الطاغية من المادّة التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة الإسلام، وهداية القرآن.»[6]

في سنة 1939، تجاوز التنظيم المنحى الدعوي الإصلاحي السلمي وأسّس جناحا عسكريا سمّاه بـ «النظام الخاصّ».

بيد أنّ السلاح لم يكن موجهّا إلى الداخل المصري بل إلى القوات الاوروبية الاستعماريّة في وقت تشهد فيه أغلب البلدان العربية صراعات متأججة بين المقاومة المحلية وقوّات المستعمر.

ومع تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين، أصبحت هذه المنطقة تحضى باهتمام التنظيم.

إذ شارك الجناح العكسري قوات الجيش المصري في حرب 1948، كان قد ساهم بعدد من المتطوعين وسُمِح له بامتلاك السلاح ومراكز التدريب والإعداد.

وفي هذا المجال يقول محمد مهدي عاكف، الذي كان مرشداً للجماعة: «إن مشاركة الجماعة في حرب فلسطين كان لها الدور الأساس في قرار حلّ الجماعة. فبعد هزيمة الجيوش العربية قرَّر القصر الحاكم في مصر حلَّ جماعة الإخوان المسلمين، واعتقال جميع الإخوان. وقام الجيش المصري باعتقال مجاهدي الإخوان من فلسطين حتّى مصر، وذلك بتدبير من سفراء إنجلترا وأميركا وفرنسا، الذين طلبوا ذلك من النقراشي حين اجتمعوا به في مدينة فايد بمحافظة الإسماعيلية، بحَسَب ما كشفت عنه المحاكمات لاحقاً،

[6] حسن البنّا، مجموعة رسائل الامام الشهيد : 176، 191، 312، مؤسسة الرسالة، دون تاريخ.

واتّهموا الجماعة وقتها بحرق محلاّت اليهود الكبيرة، مثل : «شيكوريل»، على الرغم من أن هذه الأحداث تورَّط فيها الاحتلال ؛ لتأليب القصر على جماعة الإخوان المسلمين.»[7]

إثر اغتيال حسن البنّا (1906 – 1949) استغلّت «حركة الضباط الأحرار» حالة الارتباك في الصفوف الإخوانية وقامت بعمليات اعتقالات واسعة في صفوف عناصر التنظيم بداية من سنة 1954 وانتهاءً باعدام سيد قطب ومجموعته في سنة 1966.

وإن كان حسن البنّا هو مؤسس الجماعة فإنّ سيّد قطب يُعدّ أهم شخصيّة في تاريخ التنظيم وفي تاريخ الحركات الإسلامية والجهادية منها خصوصا.

قطب وبعد مسيرة أدبية هامّة، سافر إلى الولايات المتّحدة الأمريكية وإثر عودته إلى مصر حدث المنعرج الأخطر في حياة الشخص وفي المسار الذي عرفته الحركات الإسلامية في مصر.

أعترف أن شخصية سيّد قطب أرهقتني خلال البحث فكأنني أمام نماذج متعددة من «سيد قطب» وليس أمام «سيد قطب» فوجدت الكاتب المتميّز بأسلوبه الجذّاب وحسّه الفنّي ووجدت «المصلح الإجتماعي» المختلف عن التيّار الإصلاحي السائد وقتها ووجدت شخصا راديكاليّا لا يرى أمامه إلا ثنائية « الإسلام والجاهليّة «.

هذه الراديكالية والعنف الخطابي (خصوصا في كتابي «معالم في الطريق» و«في ظلال القرآن») وظفتها الحركات الجهادية فيما بعد وجعلت منها وقودا للشحن الصدامي مع أجهزة الدولة.

قطب رأى أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع مادّي استهلاكي تغيب عنه القيم الحضاريّة.

[7] مهدي عاكف، مقابلة في برنامج مراجعات ؛ فرغ مضمونها موقع الإسلام أون لاين.

ويقول : إنه «لا بُدَّ من قيادة للبشرية جديدة... إن قيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشَكَتْ على الزوال .. لا لأن الحضارة الغربية قد أفلسَتْ مادّياً، أو ضعفت من ناحية القوة الاقتصادية والعسكرية...، ولكنْ لأن النظام الغربي قد انتهى دوره ؛ لأنه لم يعد يملك رصيداً من القِيَم يسمح له بالقيادة.»[8]

ويقول كذلك عن المعكسر الشرقي الاشتراكي المنافس لليبرالية الغربية : «...فالنظريات الاجتماعية، وفي مقدّمتها الماركسية، التي اجتذبت في أوّل عهدها عدداً كبيراً في الشرق، وفي الغرب نفسه ؛ باعتبارها مذهباً يحمل طابع العقيدة، قد تراجعت هي الأخرى تراجعاً واضحاً من ناحية الفكرة، حتى لتكاد تنحصر الآن في الدولة وأنظمتها التي تبتعد بُعْداً كبيراً عن أصول المذهب... وهي على العموم تناهض طبيعة الفطرة البشرية ومقتضياتها، ولا تنمو إلاّ في بيئةٍ محطّمة، أو في بيئة ألفت النظام الدكتاتوري فترات طويلة...»[9]

أي أنّ يرى أن الإسلام هو منهج قيمي قادر على تخليص البشريّة من الأزمات التي تعيشها حين يقول : «إن الحلّ يكمن في الإسلام ؛ لأنه لا بُدَّ من قيادة تمتلك القِيَم التي تجعلها تحرص على الاستفادة من الإبداع المادي الذي أنتجته العبقرية الأوروبية، و«تزود البشرية بقيم جديدة جدّة كاملة ـ بالقياس إلى ما عرفته البشرية ـ، وبمنهج أصيل وإيجابي وواقعي في الوقت ذاته. والإسلام وحده هو الذي يملك تلك القيم، وهذا المنهج.»[10]

وبذلك تتلخص أفكار سيّد قطب أساسا (وأفكار الحركات الجهادية عموما) في إستنهاض المنهج السلفي النجدي من خلال فكرة «التوحيد» (مع محمد بن عبد الوهاب وقبله ابن تيميّة) ومزجها برؤية «أبو الأعلى المودودي»

[8] سيد قطب، معالم في الطريق : 4.
[9] المصدر السابق : 3.
[10] المصدر السابق : 4.

لمسألة الحاكميّة و«العنف المقدّس» المتمثل في «الجهاد» كوسيلة للرد على العنف (عنف السلطة) بعنف آخر.

لا ننسى أن راديكالية سيد قطب نمت أثناء فترة السجن المتسمة بالعزلة والممارسات القمعية.

لقد طغى في وسائل الإعلام مصطلح «السلفية الجهادية» للتدليل على التيار الجهادي العالمي، إلاّ أن أصحابه لا يرَوْنه دقيقاً، خصوصاً أن ترويجه ينطوي على حصر له في أطرٍ ضيِّقة، وهم وإنْ كانوا يعترفون بأن الوهابية تمثِّل أحد المصادر الشرعية والتاريخية للفكر الجهادي العالمي، إلاّ أنّها ليست المصدر الوحيد له.

وبناءً عليه «ليست السَّلَفية الوهابية الجهادية هي التيار الجهادي العالمي، ولا هي المخوَّلة التحدُّث باسمه. كما أن التيار الجهادي أوسع، في مرجعياته ومكوّناته، من أيّ مرجعية منفصلة.

هذا التمازج بين «السلفيّة» و«التيّار الجهادي العالمي» يعود بشكل كبير إلى عدد هام من السعوديين والخليجيين عموما المنتمين إلى «المجاهدين العرب» خلال فترة «الجهاد الأفغاني الأوّل» (أهمهم أسامة بن لادن رجل الأعمال السعودي).

وكانت قيادة المملكة العربية السعودية وقتها تقدم لهم دعما ماليا ولوجسيتيا واسعا.

السعوديين كانوا متأثرين بمنهج «محمد بن عبد الوهاب» في التوحيد خاصة وبالمنهج السلفي النجدي ذو الجذور الحنبلية عموما.

«الاسترشاد بالدعوة السَّلَفية الوهّابية كمنهجٍ علمي وعملي، والنظر إلى كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهّاب كأحد المَراجع الرئيسة للتيار الجهادي العالمي، ومن بعده رسائل أئمّة الدعوة النجدية، وخاصّة الدرر السنيّة. فبعد

الجهاد الأفغاني أضحى التراث الوهّابي مصدراً رئيساً أُضيف إلى مصادر التراث المعرفي الجهادي، ممثّلاً بفتاوى ابن تيمية وتلاميذه، وسيّد قطب، ومحمد قطب، وعبد الله عزّام.»[11]

وبعد هجمات 11 سبتمبر 2001، تزايد الاهتمام بالتراث السلفي وانتقل «التيار الجهادي العالمي» إلى «التيار السلفي الجهادي» كما نعرفه الآن.

هو بايجاز تحقيق « التوحيد» عبر «الجهاد». التوحيد كقيمة والجهاد كوسيلة.

إثر هذا التحديد النسبي لمفهوم «السلفية الجهادية» (أقول نسبيا لأن المكتبة السلفية الجهادية غزيرة على مستوى الانتاج ومتجددة عى مستوى المضمون. إذ أن الحركية الي يتميز بها «التيار الجهادي العالمي» ارتقت بالمنهج السلفي التقليدي إلى منهج أكثر معاصرة ومواكبة للواقع المعيش)، سنتبين معا أبرز الخصائص الفكرية التي تأسس عليها هذا التيّار الإسلامي.

التوحيد :

التوحيد هو الاعتقاد بوحدانيّة الله يعني أن الله واحد، مثلما يعني عند المسلم الاقرار بما نص عليه الركن الأوّل من الشهادة «لا إله إلا الله» وتسمّى في المدوّنة الفقهية بكلمة التوحيد، مثلما تسمّى سورة الإخلاص بسورة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

(انظر تفسير الطبرسي).

[11] أكرم حجازي، مدخل إلى السلفية الجهادية ومشروعها الجهادي (نموذج العراق) : 6 – 7.

وان لم ترد عبارة «التوحيد» في القرآن، لكنّها حضرت بصيغتها الفعلية في أكثر من موضع.

وورد الله خلال ثلاث عشر مرّة بإنّه «إله واحد» وفي تسع وعشرين مناسبة بصيغة «لا إله إلّا هو» وكان التوحيد في غالبه مناقضا للشرك.

وهو ما تجلى في «المنهج الإصلاحي المجدد» لمحمد بن عبد الوهاب الذي يتخلص في احياء مفهوم «التوحيد» و«التصدي لمظاهر الشرك».

يرى ابن القيم أن القرآن بكل تفاصيله يحمل في طياته مفهوم التوحيد حتى وان لم تُذكر بصريح العبارة. يقول: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآنَ إما خبَرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العِلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلعِ كل ما يُعبَد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطَّلبي، وإما أمر أو نهي وإلزامَ بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوقُ التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعَل بهم في الدنيا، وما يُكرِمهم به في الآخرة، فهو جزاءُ توحيده، وإما خبر عن أهل الشِّرك، وما فعَل بهم في الدنيا من النَّكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمن خرَج عن حُكم التوحيد؛ فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقِه وجزائه، وفي شأن الشِّركِ وأهله وجزائهم.»[12]

ويقول عبد الرحمن بن ناصر السعدي (1889 – 1956) وهو من شيوخ السلفية النجدية: «ومن كليات القرآن أنه يدعو إلى توحيد الله ومعرفته، بذكر أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله الدالة على تفرُّده بالوحدانية، وأوصاف الكمال، وإلى أنه الحقُّ، وعبادته هي الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبين نقص كل ما عُبِد من دون الله من جميع الوجوه.»[13]

[12] مدارج السالكين: (450/3).

[13] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

هذا المفهوم المجّرد للتوحيد يعتبر أمرا بديهيا عند المسلم وركنا من أركان الايمان (عند المسلمين ومقتني الأديان التوحيدية عموما).

غير أنّ حركات الإسلام السياسي قامت بإعادة إنتاج المفهوم ونقله من الجانب النظري إلى الجانب العملي على مستوى الممارسة السياسية.

ممّا حمّل «التوحيد» أعباء سياسية هائلة مكنّته من التطوّر والخروج من سجن النصّ ولكن كان لهذا الأمر تداعيات وخيمة على التماسك المجتمعي. وأصبح العنف وسيلة لتحقيق «التوحيد».

قداسة التوحيد عند المسلم مكّن هذه الحركات من توظيفه لصالحها.

هذا التوظيف تجلّى في منهج «محمد بن عبد الوهاب» (1703 – 1791) حين قاد حركة في بدايتها كانت دعوية ترتكز على الإحياء المجتمعي لمسألة التوحيد ومحاربة ما تعتبره «مظاهرالشرك والبدع».

تعتبر «الحركة الوهابيّة» أحد أهم راوافد الإسلام الحركي المعاصر وارتبطت بمنظومتين متوازيتين : منظومة عقائدية فقهية ومنظومة سياسية سلطوية. هذا التوازي أفرز ما يمكن تسميته «دولة الأمير والشيخ»[14]

محمد بن عبد الوهاب كان فقيها حنبليا سلفيا ولا يعتبر نفسه مجرّدا عالما دينيا بل يرى أنّه إمام مجدّد عليه مسؤولية تغيير الأوضاع المجتمعية في شبه الجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي عموما.

كان يعتقد وقتها أن المسلمين هم مسلمون بالإسم فقط وأنهم ارتدّوا إلى «جاهلية جديدة» جاهلية ربطها أساسا بزيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء، وهي ممارسات كانت منتشرة في ذلك الوقت.

[14] د.عبيد خليفي، الجهاد لدى الحركات الإسلامية المعاصرة من جماعة الإخوان إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ص 246.

وكان يعتبرها مظهرا من مظاهر الشرك وترك التوحيد ولذا سعى إلى نشر دعوته في صفوف القبائل عبر استمالة شيوخ العشائر.

إلا أن لقاءه بالأمير «محمد بن سعود» (1697 – 1765) أمير منطقة الدرعية سيكون مفصليّا في ذلك الوقت.

يقول مؤرخ الوهابية ابن بشر النجدي : « فلما وصل الشيخ إلى بلد الدرعية نزل عند عبد الله بن عبد الرحمان بن سويلم. . . فسار إليه محمد بن سعود، ودخل عليه في بيت ابن سويلم، فرحّب به، وقال : أبشر ببلاد خير من بلادك، وبالعزّ والمنعة، فقال له الشيخ : وأنا أبشّرك بالعزّ و التمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلّهم، فمن تمسّك بها، وعمل بها ونصرها ملك بها العباد والبلاد، وأنت ترى نجد كلّها و أقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والإختلاف والقتال لبعضهم بعض، فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك.»[15]

من هنا تأسست الدولة السعودية الأولى وهي متواصلة إلى حدود الساعة في آل سعود « ذريتك من بعدك».

فمحمد بن عبد الوهاب أيقن أن حركته الدينية الإصلاحية في حاجة إلى دولة قويّة تُطبّق أحكام الشريعة الإسلامية كما يراها محمد بن عبد الوهاب استنادا إلى الفقه الحنبلي السلفي، في مقابل ذلك، يحتاج الأمير الدرعي إلى شرعية دينية كـمحرّك يؤسس من خلاله دولته.

وهذا الأمر تواصل حتى في الدولة السعودية المعاصرة التي تستمد دائما مشروعيتها من شيوخ دين يوصون الناس بوجوب طاعة وليّ الأمر ويحرّمون الخروج عنه.

[15] ابن بشر النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبد الرحمان آل الشيخ، ط4 دار الملك عبد العزيز، الرياض ـ السعودية، سنة 1988، ص 41.

وهذا أحد الاختلافات بين السلفية التقليدية النجدية والسلفية الجهادية. فالتقليديون (يُعرفون كذلك بالسلفيين العلميين نسبة إلى «العلوم الشرعية») يتهمون الجهاديين فأنهم ليسوا على السلف في شيء وأنهم على منهج «الخوارج». في المقابل يعتبر الجهاديون أن مخالفيهم ليسوا سوى «علماء سلطان» وأن هذا التحالف القائم بينهم وبين السلطة الحاكمة هو تذكرة شراء صمتهم عن قول الحق.

محمد بن عبد الوهاب أيقن أن الدين يحتاج إلى عصبية قبلية حتى تتحول الفكرة من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

وكان محمد بن سعود يحتاج للشرعية الدينية حتى يتمكن من السيطرة على القبائل المجاورة وتوحيد المجال النجدي والحجازي.

وهذا ما حصل فعلا فتأسست الدولة السعودية عبر جهاد السيف أو جهاد الدولة.

وبذلك تحول التوحيد الديني إلى توحيد سياسي أسس للدولة، بفضل البيعة المشتركين بين الشيخ والأمير، قاد محمد بن عبد الوهاب حملة واسعة لتطبيق الحدود والتصدي لكل»مظاهر الشرك والبدع والخرافات».

وسلك سلوك النبيّ محمد ﷺ : دعوة وهجرة وجهاد وفتح...

محمدا الذي نزع منه الشيخ، كل قصص الخوارق والقدسية المبالغ فيها، واعتبره نبيا حاملا لرسالة إلهية.

وفي هذه الرسالة يكمن الإعجاز...

تلخيصا لما ذكر أعلاه فإن ابن عبد الوهاب لم يكن مجددا بمعنى «الإصلاح أو التجديد الديني» ولكنه قام باحياء أسس المدرسة الفقهية الحنبلية ومدونة ابن تيمية (وهو تلميذ ابن حنبل)، مسقطا إيّاها على البيئة المجتمعية السائدة في نجد والحجاز ومعظم العالم الإسلامي.

بيئة اعتبرها «شركية» ويجب أن يُطبّق الإسلام (منطلقا من ركن التوحيد) لاخراجها من «جاهليّتها».

هذا التطبيق وجد في السيف وسيلة، وهذا ما ستوظفه فيما بعد الحركات الجهادية المعاصرة «جهاد لتحقيق التوحيد».

«ويمثل المودودي الأساس الأوّل لإنعاش مفهوم التوحيد وتحويله إلى آلة إيديولوجيّة جبّارة عمّقت تداوله السياسي وشحنته بحمولة تكفيريّة بالتأكيد على الحاكمية أساساً شاملا في العقيدة والفكر والسياسة والمجتمع، معتبرًا أنّ الألوهية تشتمل على معاين الحكم والملك أيضاً.»[16]

وبذلك توسّع مفهوم التوحيد ليصبح حاضرا في المجال السياسي الحكمي ومن هنا تمّت صياغة رؤية جديدة لثنائية «التوحيد والحاكمية».

الحاكمية :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) آية 44 سورة المائدة.

الحاكمية لغةً مشتقة من مادة الفعل (حكم)، والفعل «حكم» ومشتقاته ورد في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، ولذلك تشكلت منه معانٍ متعددة، منها ما يفيد : التشريع والتحريم كقوله تعالى : (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) سورة يوسف، الآية 40. أو ما يعني القضاء والفصل بين المتنازعين، ومنه قول الله تعالى : (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) سورة النساء، من الآية 58. ومنها ما يعني القضاء والقدر كقوله تعالى : (إِنْ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكّلْ الْمُتَوَكّلُونَ) سورة يوسف، الآية 67. ومنها ما يفيد معنى العلم والفقه والنبوّة ؛ ومنه قوله تعالى : (يَا يَحْيَى خُذِ

[16] المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب: محمد سياق، دار القلم، الكويت، ط 5، 1971، ص 32.

الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ) سورة مريم، الآية 12. أو ما يعني المنع والرد كقولنا «حكمت الدابة»، أو ما يفيد الإتقان والإحكام.

أوّل من رفع شعار الحاكمية بالمعنى الذي يجعلها نقيضًا لأيّ حكم بشريء هم الخوارج القدماء إذ قالوا : «لا حكم إلّا لله» مكفرين بهذا منً ارتضى التحكيم البشري في قضية سياسية، حينها، ردّ عليهم عليّ بن أبي طالب، بلسان الإسلام ووسطيته : «إنّها كلمة كلمة حقّ يراد بها باطل . . نعم، إنّه لا حكم إلّا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلّا لله . . وإنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر».

إثر تلك الحادثة، دخل مفهوم الحاكمية طيّ التاريخ إلى أن أحياه «أبو الأعلى المودودي» بصياغة جديدة معاصرة.

كان المودودي من تلاميذ المدرسة الإصلاحية في الهند وأسّس «الحاكمية المعاصرة» استنادا على فعل «حَكَمَ» في القرآن.

قديما، لم يكن «الحكم» متصلا بالممارسة السياسية والدولة بل كان مرتبطا بحكم أو تحكيم «العقل» للتمييز بين الصواب والخطأ، بين الخير والشرّ . . .

الحاكمية المعاصرة تدعو إلى تطبيق «المنهج الإلهي» (ثنائية إسلام / جاهليّة) في تدبير شؤون الحكم وقضايا النّاس.

كما قال المودودي عن التجديد الديني : «طتطهير الإسلام من أدناس الجاهليّة، وجلاء ديباجته حتّى يشرق كالشّمس ليس دونها غمام.»[17]

ما يقصده من الجاهليّة هو غياب المنهج الالهي في الحكم والتشريع.

[17] المودودي، أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، دار الفكر الحديث، لبنان، ط2، 1967 م، ص 166.

وكما قال سيّ قطب في تعريفه للحاكمية : «إفراد الله سبحانه بالألوهية، والربوبية، والقوامة، والسلطان ؛ إفراده بها اعتقاداً في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة.»[18]

تمسك سيد قطب بمفهوم الحاكمية لم يكن دينياً بالأساس، ولكنه كان سياسياً بالدرجة الأولى. فلقد كان العنف الممارس آنذاك من طرف السلطة الحاكمة في مصر، يحتاج حسب رأيه إلى عنف مضادّ وأكثر شراسة.

لذلك فمن المهم النظر في الملابسات التاريخية التي جعلت هذا المفهوم يحتل هذه الأهمية عند المودودي ومن بعده سيّد قطب.

فالمودودي عاش في بيئة يمثل فيها المسلمون أقليّة وسط المجتمع الهندي ذو الأغلبية الهندوسية. كان الخوف من الإبادة والشعور بالمظلومية (خطاب المظلومية نجد له صدى في الخطاب الإسلامي الحركي سواء عند الإسلام السياسي الشيعي أو السنّي)، هاجسا يؤرق المسلمين.

المودودي كان يعتقد أن تشكيل حكومة ذات أغلبية هندوسية عبر صناديق الاقتراع سيطمس الهويّة الثقافية لعدد هام من المسلمين آنذاك. أمّا عندما قسّمت الهند وأقام في باكستان مارس العمل السياسي ورشّح نفسه في الانتخابات.

سيد قطب كذلك انتقل في مسيرته من الأديب والناقد الأدبي و«المصلح الاجتماعي» إلى الرجل الأخطر في أدبيّات التيّار الجهادي حين تم توظيف المنحى الراديكالي الذي عرفته شخصيّة قطب أثناء قضائه لمدّة في السجون المصريّة قبل أن يُعدَم سنة 1966. أعدموا جسده لكنّهم عجزوا عن اعدام أفكاره، أفكاره شكّلت المرجعية الفكرية للحركات الجهادية المنظمة.

وبالعودة إلى مفهوم الحاكمية بين الإلهي والبشري، فإن الاستناد إلى عدد من الآيات القرآنية المقترنة بمفهوم «الحكم» لا يُمكن اعتباره حجة

[18] سيد قطب : معالم في الطريق، ص 48

قوية نظرا لأن «الحكم» يعني في جوهره تحكيم العقل لحسم النزاعات والخلافات.

فحتى الخلاف بين «الخوارج» و«علي بن أبي طالب» في موقعة صفّين لم يكن ذو طابع ديني بل كان سياسيا بتوظيف لمعجم ديني قرآني. والقرآن على اعتبار قدسيّته عند المسلمين فالحجاج عبره يتنزل كذلك في القداسة.

هنا انتقل «المودودي» من «الحكم» البشري إلى «الحاكمية» الالهيّة.

فالاعتراف بالحاكمية الالهية يؤدي بالضرورة إلى تقويض العقل البشري ومنعه من أي جهد على مستوى إدارة شؤن الناس وتشريع الأحكام.

وبذلك تأسست أربعة أركان متلازمة : «الحاكميّة»، «الطاعة للحاكميّة»، «خضوع النظام السياسي لسلطة الحاكميّة»، «مكافأة السلطة العليا لمن أطاع أو تمرّد على سلطان الحاكميّة»[19]

الحاكمية لخّصها سيّد قطب في أربعة معانٍ أساسيّة:

أولاً : إنه ليس لأحد من البشر نصيب من الحاكمية، فإنّ الحاكم الحقيقي هو الله، والسلطة الحقيقية مختصة لذاته تعالى وحده، والذين من دونه يأتمرون بأمره ويحتكمون إليه.

ثانياً : ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع، فالتشريع أمر إلهي خالص.

ثالثاً : إنّ الدولة الإسلامية لا يُؤسّس بنيانها إلا على ذلك القانون الإلهي، أمّا الدولة التي تستند إلى القوانين الوضعية فلا تستحق طاعة الناس الذين يحكمونها بشرع غير شرع الله.

[19] أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة ، م س ، ص 120.

رابعاً : إنّ قيام مملكة الله في الأرض تتطلب إزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية.

أي أن العقل البشري لا يملك أي صلاحيّات في الاجتهاد والتشريع، ولا بد من الالتزام بـ «حكم الله».

«فقد اتسع مفهوم السياسة، بحيث يمكنه ببساطة أن يستوعب جميع الأنشطة من عبادات ومعاملات وجهاد، في إطار مفهوم سياسي لله والدين... فالله يصبح حاكماً، ومطلبه الأول هو إقامة الدولة الإسلامية. ويصبح كل مكون من مكونات الدين خاضعاً لهذه الرؤية السياسية، ومن ثم يصبح هدف إقامة الدولة حاضراً حضوراً تلقائياً في كل ركعة، ومناقشة ورياضة، وجمعية، ونظرة دون تشتت أو اضطراب.»[20]

سيّد قطب قام بإحياء حاكمية المودودي وأضفى عليها بعدا حركيّا رابطا إيّاها بالجهاد كوسيلة سامية وفعّالة لتحقيق التوحيد والحاكميّة.

وفي هذا الإطار يرى الباحث صالح زهر الدين إلى القول بأنّ سيد قطب «لا ينقل فقط نظرية المودودي، بل يمتصها ويحولها ويعيد بناءها في استراتيجية نظرية جديدة، بعد أن عرّبها بمعنى أنّه قدمها واستوردها للعرب».

فتجربة السجن التي عرفها سيد قطب (وخلالها كتب معظم أجزاء كتابه «الدموي»، «معالم في الطريق») عمّقت الاعتقاد عنده بثنائية الإسلام / الجاهليّة (مثلما كان المودودي يرى نفسه كـعنصر ديني أقلّي، في الدول ذات الطابع العنصري الاستبدادي تجد الأقليّت صعوبة كبيرة في الاندماج وهو ما يدفعها في عدة أحيان إلى التقوقع على نفسها و نبذ الآخر).

[20] شريف يونس : سيد قطب والأصولية الإسلامية، القاهرة، دار طيبة، 1995، ص 210.

التقوقع والانغلاق على النفس وتكوين مجتمعات مصغّرة داخل المجتمع «الجاهلي» سمّاها سيّد قطب بـ «العزلة الشعوريّة» حيث يقول : «ليس لنا أن نجاري الجاهلية في شيء من تصوراتها، ولا في شيء من أوضاعها، ولا في شيء من تقاليدها، مهما اشتد ضغطها علينا.»

ويضيف : «حين نعتزل الناس، لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً، أو أطيب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً، أو أذكى منهم عقلاً، لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً، اخترنا لأنفسنا أيسر السبل، وأقلها مؤونة.»

«يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهّار» (39) سورة يوسف.

هذه الآية التي كثيرا ما يستشهد بها «الجهاديون» خلال خوضهم لتجربة السجن، يستحضرون من خلالها نظرية «العزلة الشعورية»، السجن هنا أخرجوه من دلالته السالبة للحريّة و جعلوا منه إطارا مناسبا للانعزال عن مظاهر «الجاهليّة» التي يعرفها المجتمع (الملاحظ أن عدة قيادات و عناصر جهاديّة «تكوّنت» و«تخرّجت» من زنازين السجون لعلّ أبرزهم أيمن الظواهري و أبو مصعب الزرقاوي...).

هذا «الاغتراب» أو («التغريبة») ترجمه قلم «الأديب السابق» سيّد قطب وعبّر عنه «فنيّا» بقصيدة «غرباء» :

غرباء ولغير الله لا نحني الجباه
غرباء وارتضيناها شعارا في الحياة
ان تسال عنا فإنا لا نبالي بالطغاة
نحن جند الله دوما دربنا درب الاباة
لا نبالي بالقيود سوف نمضي للخلود
فلنجاهد ونناضل ونقاتل من جديد
غرباء هكذا الأحرار في دنيا العبيد

كم تذاكرنا زمانا يوم كنا سعداء
بكتاب الله نتلوه صباحا ومساء
غرباء ولغير الله لا نحني الجباه
غرباء وارتضيناها شعارا للحياة

وأدّاها «أحمد النجار» في المحكمة المصرية أثناء صدور الحكم عليه بالإعدام خلال ما يعرف بمحاكمة القرن أو محاكمة الغرباء سنة 1993 (يُذكر أن السعودي سعد الغامدي هو أول من وضع للقصيد لحنا سنة 1987).

قبل ذلك، أسس الفلسطيني عبد الله عزّام ما أسماه مكتب الخدمات في أفغانستان في العام 1984 لاستقدام «المجاهدين العرب» بدعم باكستاني سعودي أميركي، ووضع الحجر الأساس في مخيال جهادي جديد يدور حول التغريبة (أو التشريقة) العربية في وديان أفغانستان والشيشان لاحقاً.

استخلاصا لما ورد سابقا، يمكن القول أن حاكمية المودودي نشأت من اهتمامه بمفهوم التوحيد الديني (على اعتبار تكوينها في العقيدة والفقه) في حين أن سيّد قطب (الذي لم يكن مختصا في «العلوم الدينية») انطلق من الحاكمية الدينية ليؤسس لحاكمية سياسية أضفى عليها «الجهاد» ديناميكية.

ومن هنا بني حجر الأساس للتيار الجهادي العالمي ومن ثم التيار السلفي الجهادي.

الجهاد :

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة : 193).

(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) (التوبة : 36).

(لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) (البقرة : 286).

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) (الأنفال : 60).

(فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (التوبة : 5).

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله) (الأنفال : 39).

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة : 29).

قال الرسول : «أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله[21]».

وقال : «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله».[22]

هذه أمثلة عن آيات قرآنية ونصوص من السيرة المحمديّة يتم الاستناد عليها من طرف الحركات الإسلامية الجهادية لتشريع ممارسة العنف بحق المخالفين.

يحتلّ «الجهاد» الأهميّة الكبرى في فكر هذه الجماعات ويقدّمونهم في المرتبة حتى على فرائض أخرى.

الجهاد من الجهد لغةً، و«الجَهْدُ والجُهْدُ : الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَك؛ وقيل: الجَهْد المشقّة، والجُهْد الطاقة. الليث : الجَهْدُ ما جَهَد الإنسان من مرض أو أَمْر شاق، فهو مجهود ؛ قال : والجُهْد لغةً بهذا المعنى.... وجاهَدَ العدوَّ

[21] «صحيح البخاري».
[22] «صحيح مسلم».

مُجاهَدة وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله. وفي الحديث : لا هِجْرة بعد الفتح ولكنْ جهاد ونيَّةٌ ؛ الجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، والمراد بالنية إخلاص العمل لله أي إنه لم يبْقَ بعد فتح مكة هجرة ؛ لأنها قد صارت دار إسلام، وإنما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفّار.»[23]

ويقول ابن فارس : «الجَهْدُ والجُهْدُ : الطاقةُ. وقرئ : والذين لا يَجِدون إلاّ جَهْدَهُمْ وجُهْدَهُمْ. قال الفرّاء : الجُهْدُ بالضمّ الطاقةُ. والجَهْدُ بالفتح من قولك : اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي ابلُغ غايتك.

ولا يقال اجْهَدْ جُهْدَكَ. والجَهْدُ المشقَّةُ. يقال : جَهَدَ دابته وأَجْهَدَها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجَهَدَ الرجل في كذا أي جَدَّ فيه وبالغ.» (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة جهد. مرجع).

مثلما ورد في الآية 79 من سورة التوبة : (وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ) (الأنفال : 72) وأيضا : (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (التوبة : 20).

نجد هنا تقديم المساهمة المالية على المساهمة بالنفس من أجل إحداث التغيير الاجتماعي أثناء فترة الدعوة المكيّة.

نشير إلى أن التفسير اللغوي للجهاد يعتبر قاصرا عن تحديد ماهيّته ولذا فيجب الانطلاق من النص القرآني واحاطته بالملابسات التاريخية التي ظهر فيها اللفظ («الجهاد»)، فللجهاد في القرآن تاريخ.

[23] ابن منظور، لسان العرب، مادة الجهاد.

لهذا إنطلقت خلال دراسة مفهوم الجهاد من المفهوم القرآني وصولا إلى التطبيق البشري لهذا المفهوم.

فـلفظ الجهاد في القرآن اقترن بثلاثة أشياء : «النفس»، «المال» و«سبيل الله».

تاريخيّا، ظهر لفظ الجهاد في القرآن لأول مرّة خلال الفترة المكية الثانية والثالثة، وقتها اشتد التضييق والاضطهاد بحق محمّد وأصحابه في مكّة.

ولذلك فكانت الرسالة موجهّة نحو مزيد من التضحية بالمال والنفس لنيل النصر في الدنيا والخلاص في الآخرة.

«المال» ثم «النفس» في «سبيل الله» والسبيل كما جاء في سورة الأنعام هو الصراط المستقيم ؛ (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام : 153].

هذا السبيل الالهي تحول في مرحلة تاريخية متقدمة إلى سبيل دنيوي صرف متعلّق بالغنيمة.

هذا في المرحلة المكيّة أمّا في المرحلة المدنيّة وفي السنة الثانية للهجرة صدر الأمر بالقتال والنفير.

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللّهِ كَثِيرا وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَوةَ وَآتَوُاْ الزَّكَوةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّهِ عَقِبَةُ الأُمُورِ) (الحج : 39 – 41).

نتحول هنا من المعجم القيمي المتعلق ببذل الجهد والتضحية طلبا للفوز الأخروي إلى المعجم الحربي العسكري.

وهو البعد الجهادي الذي سيسود بعد ذلك وكما نشهده اليوم من عنف تمارسه الحركات الجهادية المسلحة.

عنف هجومي أخذ زمام المبادرة بديلا عن العنف الدفاعي (للتصدي لما يسمّى بالصّد عن سبيل الله).

ونشير هنا إلى ابن تيمية كان قد وسّع إطار الجهاد والمستهدف من الجهاد مستندا إلى أحاديث منسوبة إلى محمّدا نجد فيها وضع الجهاد في مرتبة علويّة فوق كل الفرائض الدينيّة.

«عن أبي هريرة أَنَّ رسول الله سُئِلَ : أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : «إِيمَانٌ بِالله وَرَسُولِه» قِيْلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : «حَجٌّ مَبْرُورٌ». متفق عليه.»

الجهاد هنا سابق للحج والحج كما نعرف هو من أركان الإسلام.

ابن تيمية الذي يعدّ من أهم المراجع الفكريّة للتيار السلفي الجهادي حاليّا، يرى أنّ الجهاد واجب ضد «المشركين» وغير المؤمنين بعقيدة التوحيد وبرسالة محمّد وغير الملتزمين بعقيدة وفقة أهل السنة والجماعة (هذا يشمل عدة طوائف إسلاميّة منها الشيعة والخوارج والقرامطة...) وما سمّاهم بـ «أهل البدع» وهو يقصد المتصوّفة.

مع لحظة ابن تيمية دخلنا مرحلة تعنيف مفهوم الجهاد والتي قادتنا شيئا فشيئا إلى موجة من التكفير المستمر لكل المخالفين حتى داخل إطار « أهل السنّة والجماعة «.

يعني أن «الجهاد» تمّ اختزاله من طرف الفقهاء (ومن أبرزهم ابن تيمية) في القتال والغنائم.

وهو المفهوم السائد في عصرنا لذلك فإنّ هذه المسلّمة يجب إعادة قراءتها انطلاقا من تحليل وفهم النص القرآني وأطره الزمانية والمكانية.

من بين الفقهاء كذلك نذكر رأي «الشافعي» في المسألة وهو الذي قسم الجهاد حسب المرحلة الزمانية إلى «جهاد المال والنفس» ثم «الهجرة» (التي اعتبرها أحد الجهادين نظرا لصعوبة فراق الأهل والبيت، الهجرة ستنعرض لها بشكل لافت خلال تناول الخطاب الاعلامي للحركات الجهادية) وأخيرا «القتال».

نشير كذلك أن لحظة الشافعي كانت لحظة انتصار الدولة الاسلامية وتوسعها حيث امتدت جغرافيا من حدود الصين إلى حدود فرنسا.

لهذا فقد أصبح الجهاد عقيدة الدولة وعاملا هاما في تحديد العلاقات مع الجوار (علاقة التضامن بين الفقيه والسلطان كما رأينها في التحالف بين ابن سعود وابن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية).

الجهاد خرج من ربطه بالدولة وأصبح عملا فرديا ومن ثم جماعيا في أطر بدأت سريّة (النواة الأولى لحركة الجهاد المصرية) ثم علنيّة كما نشهدها الآن.

هذه السياقات التاريخية أدت إلى ظهور الحركات الجهادية، انطلاقا من رأي الفقهاء في أن الجهاد هو القتال.

فحتى الآيات المسمّاة بآيات السيف لم يرد فيها لفظ «السيف» ولم يرد بتاتا في القرآن !!

(فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة التوبة، الآية 5).

قال عنها ابن تيميّة : «فلما أتى الله بأمره الذي وعده من ظهور الدين، وعز المؤمنين أمر رسوله بالبراءة إلى المعاهدين، وبقتال المشركين كافة، وبقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.»

وفي هذا المجال يقول عبد القادر بن عبد العزيز في كتابه المعروف «رسالة العمدة في إعداد العدّة» : «الجهاد في سبيل الله لمَنْ عاند وأبَى قبول دعوة الإسلام» (عبد القادر بن عبد العزيز، رسالة العمدة في إعداد العدة : 286 ؛ موقع منبر التوحيد والجهاد) ويستشهد ابن عبد العزيز بآية السيف : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (التوبة : 5). ويستحضر حديثاً مرويّاً عن مسلم يقول فيه : «قال الله تعالى لنبيِّه : إنّما بعثتُك لأبتليك، وأبتلي بك... إلى قوله: استخرجهم كما أخرجوك، واغْزُهم يُغْزَ بك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله : وقاتل بمَنْ أطاعك مَنْ عصاك.» [24]

وينقل حديثاً آخر عن ابن عمر ذكر فيه : «قال رسول الله: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله تعالى.» [25]

ويخلص ابن عبد العزيز إلى الاستنتاج بأن الرسول مأمورٌ بقتال الناس كافّة ما لم يؤمنوا بالله حقّ الإيمان. كما يؤكّد ابن عبد العزيز على حتمية هلاك الكافرين. (يقول ابن عبد العزيز : «قد كان الله تعالى يتكفَّل بإهلاك الكافرين به وبرسله، من لدن نوح إلى موسى، ثمّ شرع سبحانه الجهاد في شريعة موسى بعد نجاة بني إسرائيل وهلاك فرعون، فقال تعالى : (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلاَنِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة : 21 – 24). فهذه بداية شرع القتال

[24] المصدر نفسه.

[25] المصدر نفسه.

في سبيل الله تعالى. وقال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُوْلَى) (القصص : 43). قال ابن كثير : قوله تعالى : (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُوْلَى) يعني أنه بعد إنزال التوراة لم يُعَذّب أمّة بعامّة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين، كما قال تعالى : (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) (الحاقة : 9 – 10).

وقال القرطبي: قوله تعالى: (وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ) (التوبة : 111) إخبارٌ من الله تعالى أن هذا كان في هذه الكتب، وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى». (عبد القادر بن عبد العزيز، رسالة العمدة في إعداد العدة : 287 – 286).

الولاء والبراء :

الولاء والبراء هو من أهم المرتكزات الفكرية للتيّار السلفي الجهادي وهو شبيه في تركيبته بعدد من الثنائيات الأخرى مثل «دار الإسلام ودار الحرب» (دار الإسلام هي «كل أرض تقوم فيها عقيدته وتعمل فيها شريعته، ودار الكفر هي كل أرض تحارب المسلم في عقيدته وتصدّه عن دينه) و«الإسلام والجاهليّة»...

هذا ما يبين المنحى الفكري الراديكالي لهذه الجماعات فلا نجد حضورا للّون الرمادي فإمّا أبيض أو أسود.

الولاء لغة : المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء، والدنو منه، أو اتخاذ مولى.

البراء لغة : البعد، والتنزه، والتخلص، والعداوة.

وشرعاً : الولاء يعني النصرة والمحبة والإكرام والاحترام لأهل الإيمان والعقيدة، والبراء، هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار لأهل الكفر والشرك والمشركين.

مفهوم الجهاد عند حسن البنّا : المصدر مؤسسة مؤمنون بلا حدود

واعتبر عدد من الفقهاء هذا المبدأ، من شروط الايمان وذلك بالاستناد أساسا إلى الآية : (ترى كثيرًا مّنهم يتولّون الّذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط اللّه عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنّبيّ وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولـكنّ كثيرًا مّنهم فاسقون). (المائدة، الآية 80)

يرى ابن القيّم في تفسير الآية : «فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وُجد الشرط وُجد المشروط = بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال : (ولو كانوا يؤمنون بالله والنّبيّ وما أنزل إليه ما اتّخذوهم أولياء)، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه.

كما أوضح ابن القيم أن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي ألا يحب المرء إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحبّ ما أحبّه الله، ويبغض ما أبغضه الله.

ويقول : «الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه».

قسمت عدد من التيارات السلفية الأفراد بحسب عقيدة والولاء والبراء إلى ثلاثة أقسام:

– **القسم الأول** : من يحبّ محبّةً خالصة لا معاداة معها: وهم المؤمنون الخلّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدّمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنّه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها، ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج.

– **القسم الثاني** : من يبغض ويعادى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبّة ولا موالاة معهما : وهم الكفار الخلّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين.

– **القسم الثالث** : من يحبّ من وجهٍ ويبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبّة والعداوة : وهم عصاة المؤمنين يحبّون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك، ومحبّتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم بل ينكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفّوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يبغضون بغضاً خالصاً، ويتبرّأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك.

يلخص ابن تيمية مذهب أهل السنة والجماعة فيما يخص عقيدة الولاء والبراء، في عدد من النقاط هي :

– الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعادة وفقاً لما أنزله الله في كتابه وسنة نبيه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان.

– من كان فيه إيمان وفجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقول الخوارج والمعتزلة.

– لا يجوز جعل الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحون بمنزلة الفاسق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع أن الولاء القلبي وكذلك العداوة يجب أن تكون كاملة.

يقول ابن تيمية: «فأما حب القلب وبغضه، وإرادته وكراهته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل».

ويقول محمد بن عبد الوهاب : «فالله. الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره. أسه ورأسه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكمء ولو كانوا بعيدينء واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال، ما على منهم، أو قال، ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهمء ولو كانوا إخوانه وأولادهء فالله. الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا».

هذه الرؤية المغالية تلقفها «سيد قطب» وربطها بالتوحيد والحاكمية. حيث يقول في الولاء والبراء : «إنه لا يجتمع في قلبٍ واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه الذين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون. ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه، إذا هو والى من لا يرتضي أن يحكم كتاب الله في الحياة، سواء كانت الموالاة بمودة القلب، أو بنصره، أو باستنصاره (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء). (سورة آل عمران، الآية 28)

قبله أفرد مؤسس جماعة الإخوان حسن البنا، مساحات واسعة في رسائله لعقيدة الولاء والبراء، ففي رسالة التعاليم في ركن «التجرّد» يقول: «أريد بالتجرّد : أن تتخلّص لفكرتك ممّا سواها من المبادئ والأشخاص، لأنّها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً)

(البقرة : 138). (قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتّى تؤمنوا بالله وحده) (الممتحنة : 4)، والناس عند الأخ الصّادق واحدٌ من ستة أصناف : مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمّي معاهد، أو محايد، أو محارب، ولكلٍّ حكمه في ميزان الإسلام، وفي حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات، ويكون الولاء والعداء» (رسالة التعليم).

كذلك نجد للمفهوم حضورا في أدبيّات تنظيم القاعدة، أوضح الظواهري في كتابه أن تاريخ الأمة الإسلامية شهد صراعاً محتدماً بين قوى الكفر والطغيان والأمة المسلمة، الأمر الذي كشف عن الحاجة الماسة لإدراك خطورة عقيدة الولاء والبراء في الإسلام، ومدى التفريط والتقصير فيها، فضلاً عن مدى الخداع الذي يمارسه أعداء الإسلام بطمس معالم هذا الركن.

وكفّر الظواهري في هذا الكتاب كل المتعاونين مع جيوش الدول العربية التي لا تطبق الشريعة، فضلاً عن تكفير كل العاملين أجهزة الأمن والقضاء، ومن يفرضون الدساتير العلمانية ويحكمون بالقوانين الوضعية ويتسابقون في سياسة التطبيع مع إسرائيل.

المبحث الثاني :
أهم الحركات الجهاديّة

1. جماعة الجهاد المصرية :

تعرف الجماعة بعدة مسميات : الجهاد الإسلامي، والجهاد الإسلامي المصري، والجهاد، وجماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية.

وكما تدّل التسمية فإنّ الجهاد مقدّم على بقيّة «الفرائض» ودونه لا يمكن تطبيق «شرع الله» على الأرض.

هذا لا يعني أنّ الجماعة مقتصرة في نشاطها على الجانب المسلّح فقط بل كانت كذلك تقوم بمهمة دعوية وتحريضية لضم مزيد من المصريين إلى صفوفها.

أول مجموعة «جهادية» مصرية تشكلت في منتصف الستينات من القرن الماضي، على يد عدد من شباب الثانويات، من أبرزهم نبيل البرعي، وعلوي مصطفى، وإسماعيل طنطاوي.

كان العمل يتم في إطار خلايا سريّة ويعتمد على الانتقائية لتشكيل سلاسل عنقودية.

توسعت نشاط التنظيم وضم شبابا من عدة محافظات كالاسكندرية والجيزة... كان من أبرزهم أيمن الظواهري.

هذا النشاط توجّه التنظيم بعملية نوعية، فقد أقدم خالد الاسلامبولي (والذي كان ملازما أولا بالجيش المصري) على تصويب الرصاص نحو الرئيس المصري أنور السادات خلال احتفال عسكري بمناسبة احياء ذكرى حرب 6 أكتوبر 1973.

قبل ذلك خططت الجماعة للقيام بانقلاب عسكري على الحكومة المصرية (عُرف إعلاميا بعملية الكلية الفنية العسكرية) وجندت لذلك عدة شبان مصريين منتمين للجيش المصري، لكن استعجال بعض قادة الجهاد وخشيتهم من انكشاف التنظيم وضربه، جعلهم يفضلون خيارا آخر تمثل في اغتيال السادات.

إثر ذلك، جوبه نشاط الجماعة باعتقالات أمنية في صفوفها حيث تم الزج بأغلب قيادتها في السجون.

لكن لم يمنع من تصاعد وتيرة العمليات التي قام بها التنظيم أو شارك في القيام بها.

من أبرز العمليّات :

مهاجمة حارس قنصلية أجنبية بالأسكندرية عام 1977 م ومحاولة سلب سلاحه، وقد حوكم قادة وأعضاء التنظيم في ذلك الوقت في قضية عرفت إعلاميا باسم قضية تنظيم الجهاد.

إشتباك علي المغربي عضو تنظيم الجهاد بالإسكندرية عام 1977 م مع قوة من الشرطة حاولت اعتقاله وقتل في الإشتباك ضابط أمن دولة كما لقي على المغربي مصرعه.

إغتيال الرئيس أنور السادات ومجموعة من مرافقيه في العرض العسكري في 6 أكتوبر 1981 م على يد أربعة من أعضاء تنظيم الجهاد.

إلقاء قنبلة على معسكر قوات أمن القاهرة بحي الساحل بشبرا في 8 أكتوبر 1981 م.

محاولة إغتيال وزير الداخلية الأسبق اللواء حسن الألفي عبر تفجير أحد أعضاء التنظيم نفسه في موكب الوزير أمام الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وقد قتل عضو التنظيم بينما أصيب اللواء حسن الألفي وعدد من حراسه بجراح بالغة (صيف 1993 م).

محاولة إغتيال رئيس الوزراء الأسبق عاطف صدقي بتفجير موكبه بسيارة ملغومة تم تفجيرها بالتحكم عن بعد بأحد شوارع القاهرة في حي مصر الجديدة، ولم يصب رئيس الوزراء بأذى لكن أصيب بعض المارة بإصابات مختلفة (1993 م).

إغتيال الشاهد الأول في قضية محاولة إغتيال عاطف صدقي قبيل موعد إدلائه بشهادته بعدة ساعات (1993 م).

عدد من المحاولات الفاشلة لإغتيال الرئيس حسنى مبارك عبر المتفجرات في شوارع القاهرة، كانت إحداها بسيارة ملغومة امام أحد المساجد، وأخرى كانت عبر تلغيم الطريق الرئيسي الذي يمر به موكبه، وفي كل الحالات لم يتم التفجير لأن الرئيس غير مسار موكبه في اللحظات الأخيرة.

تفجير السفارة المصرية في إسلام أباد (باكستان).

الاشتراك مع منظمة القاعدة في تفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا في وقت متزامن (1998 م).

على المستوى الفكري والتنظيمي، عرف التنظيم موجة من الانشقاقات والتصدعات داخله. فبداية من سنة 1999، ومن داخل السجون المصرية قام بعض قادة التنظيم بمراجعات. لعل أبرزها ما قام به سيد إمام الشريف فألف «وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم»، لإقناع قادة وأعضاء الجهاد بالمسوغات الشرعية لوقف العمليات المسلحة في مصر والعالم، ورد عليه أيمن الظواهري، فعاد سيد إمام وألف كتابا رد فيه على كتاب الظواهري.

ترك سيد إمام الجماعة وأصبحت خيوطها في يد الظواهري، الذي كان مقيماً بالسودان ؛ مما أدى إلى تصدعها بشكل كبير، بعد أن أعلن أنه يكفر الأعوان، وفي طريقه لتكفير الإخوان.

حلل القيادى الجهادي هشام أباظة، الحالة فقال : إن السلفية الجهادية نشأت بعد ظهور القاعدة، وبدأ يخرج فكر القتال إلى التنظير الورقي، وعلى الإنترنت، وظهرت كتابات سيد إمام التكفيرية، ومنها تكفير الأعوان، والإخوان، وعدم العذر بالجهل، وهل يكون في المقدور عليه أم غير المقدور عليه.

2. جماعة الدعوة والهجرة :

جماعة الدعوة والهجرة أو كما سمّاها الإعلام بجماعة التكفير والهجرة أو كمّا سمّت نفسها بجماعة المسلحين، هي حركة جهادية مصرية نشأت في منتصف الستينات وتبلورت أفكارها داخل السجون.

تقوم أفكار هذه الجماعة أساسا على تكفير مرتكب الكبيرة الذي أصرّ عليها ولم يتب منها، تكفير الحكام لحكمهم بغير «شرع الله»، تكفير عامة الناس من الراضين بهذه الأحكام «الوضعية» المخالفة للـ «شريعة الإسلامية» وتكفير «العلماء» الذين لا يكفّرون هؤلاء الحكّام.

أما الهجرة (استنادا إلى الهجرة المحمدية من مكة إلي يثرب) فالمقصود بها هنا هجرة المجتمع «الجاهلي»، فكلّ المجتمعات الحالية في رأيهم هي مجتمعات جاهلية، والعزلة المعنية عندهم هي عزلة مكانية، وعزلة شعورية،

حيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية أسوة بالدولة التي أسسها النبي محمد في يثرب.

إثر اعتقالات 1965 وما بعدها وما تبعها من إعدام سيد قطب وبعض أتباعه في عهد جمال عبد الناصر

وتحت مظلة مبدأ التقية الذي اتخذوه للخروج من السجون، خُيرّ أتباع هذا الفكر من قبل السلطة السياسية بين المكوث في السجن أو الاعتراف بالسلطة

السياسية والتخلي عن مبدأ التكفير ومراجعة الأفكار الخاصة بالدين والحياة، فاختار بعضهم الخيار الثاني التقية[1].

إثر حلقات النقاش التي عُقدت داخل أسوار السجون، خرج بعدها أعضاء التنظيم محمّلين بعدة أفكار ورؤى استراتيجيّة.

التنظيم ورغم أن وجوده لم يعد راهنا، فإنّه يمثّل رافدا مهمّا من روافد الحراك الجهادي العالمي.

فأفكار التنظيم هي عناصر جوهرية في البنية الفكرية والتنظيمية للجماعات الجهادية الحالية، تفكير وهجرة وتسليح.

يرتبط مفهوم التكفير والهجرة بمفهوم الحاكمية أو السيادة أو الخلافة عند التكفيريين، وهي تقودنا إلى شيء مهم، وهو أن دعاة التكفير والهجرة في كل عصر يهدفون إلى غاية سياسية، قوامها التحكم والسيادة والزعامة، فشكري مصطفى كون جماعته ونصب نفسه أميرًا عليهم، أو هكذ كانوا يلقبونه، وتنظيم الدولة توالى عليها الأمراء منذ نشأته، وقد ظهرت مظاهر هذه الزعامة والسيادة في عمل تنظيمات مسلحة وكأنها دولة داخل الدولة، رغبة في السيطرة وتولي القيادة السياسية.

ومن أبرز الشخصيات هذه الجماعة :

الشيخ علي إسماعيل : كان إمام هذه الفئة من الشباب داخل المعتقل وهو أحد خريجي الأزهر وشقيق الشيخ عبد الفتاح إسماعيل أحد الستة الذين تم إعدامهم مع سيد قطب وقد صاغ الشيخ علي مبادئ العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أطر شرعية حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسنة ومن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الفترتين : المكية

[1] د.مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، طبعة السعودية، دار الندوة السعودية، ج 1، ص

والمدنية متأثراً في ذلك بأفكار الخوارج إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار التي كان ينادي بها.

ماهر عبد العزيز زناتي (أبو عبد الله) ابن شقيقة شكري مصطفى ونائبه في قيادة الجماعة بمصر وكان يشغل منصب المسؤول الإعلامي للجماعة أعدم مع شكري في قضية محمد حسين الذهبي رقم 6 لسنة 1977 م. وله كتاب الهجرة.

شكري أحمد مصطفى (أبو سعد) أحد الذين اعتقلوا عام 1965 م وكان عمره وقتئذ ثلاثة وعشرين عاماً. تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ علي عبده إسماعيل. في عام 1971 م أفرج عنه بعد أن حصل على بكالوريوس الزراعة ومن ثم بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته. ولذلك تمت مبايعته أميراً للمؤمنين وقائداً لجماعة المسلمين فعين أمراء للمحافظات والمناطق واستأجر العديد من الشقق كمقار سرية للجماعة بالقاهرة والإسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي. في سبتمبر 1973 م أمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية واللجوء إلى المغارات الواقعة بدائرة أبي قرقاص بمحافظة المنيا بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض تطبيقاً لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة. في 26 أكتوبر 1973 م اشتبه في أمرهم رجال الأمن المصري فتم إلقاء القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة في قضية عدد 618 لسنة 73 أمن دولة عليا.

3. تنظيم القاعدة :

تنظيم القاعدة أو قاعدة الجهاد هو تنظيم سلفي جهادي عالمي عام 1987 تأسس على يد عبد الله يوسف عزام على أنقاض «المجاهدين» الذين حاربوا الوجود السوفياتي في ثمانينيات القرن الماضي بأفغانستان.

وضح أسامة بن لادن أصل الكلمة خلال مقابلة مع تيسير علوني الصحفي العامل بقناة الجزيرة في أكتوبر سنة 2001، فقد قال : « ظهر اسم القاعدة منذ

فترة طويلة بمحض الصدفة، فالراحل أبو عبيدة البنشيري أسس معسكرات تدريب المجاهدين لمكافحة إرهاب روسيا. كنا نسمي معسكرات التدريب بالقاعدة، وبقي الاسم كذلك.»

وفي أبريل 2002، أصبح اسم المجموعة «قاعدة الجهاد». ووفقا لضياء رشوان، أن هذا كان «... نتيجة لعملية الدمج بين فرع الجهاد في مصر بقيادة أيمن الظواهري مع بن لادن والجماعات التي تحت سيطرته، بعد عودته إلى أفغانستان في منتصف التسعينات.»

البداية الأولى كانت من أرض أفغانستان، وقتها كان الأفغان يواجهون الوجود السوفياتي. كان «الجهاد الأفغاني» مدعوما بشكل كبير من الولايات المتحدة الأمريكية (في إطار صراع القطبين) والمملكة العربية السعودية (خشية من التمدد السوفياتي).

بحكم البيروقراطية الإدارية الامريكية في مسألة نقل الأموال، تكفلت المملكة العربية السعودية بالمهمة وأشرفت على مسالك الدعم المالي واللوجيستي.

تم جمع التبرعات ونشطت الحملات الإعلامية الداعمة للـ «جهاد الأفغاني» في عدة دول عربية وإسلاميّة.

هذا «الجهاد» لفت انتباه الشاب الأسمر ذي الأصول اليمنية وسليل عائلة غنية لها علاقات هامة بحكام المملكة العربية السعودية، توجه أسامة بن لادن وقتها إلى بيشاور الباكستانية وأسس صحبة الفلسطيني عبد الله عزام، «مكتب خدمات المجاهدين» و«معسكر مأسدة الأنصار» و«بيت الأنصار» في سنة 1984.

كانت هذه المكاتب بمثابة إدارات لاستقبال المتطوعين من العالم العربي وتقديم الدعم والمساندة لهم.

لم يتوقف هذا العمل عند حدود العمل الدعوي، لكنه نقل الأمر إلى المستوى التنظيمي والتدريبي، وشارك المركز في تطوير صيغة الجهاد الأفغانية تحت قيادة عزام، الذي تولى التوجيه والقيادة الروحية إلى جانب أسامة بن لادن، وتولى مسؤولية تمويل إمارة المجاهدين، وائل حمزة جليدان، الذي تتهمه السلطات الأمريكية بأنه وفر دعما ماليّا ولوجستيّا لتنظيم «القاعدة»، وترك دراساته العليا في إحدى الجامعات الأمريكية ليتولى النواحي الإدارية والتنظيمية.

واستمر الثلاثة في إرسال بعثات الجهاد والإغاثة إلى الولايات الأفغانية، وكانت كل بعثة إغاثية مشكَّلة من نحو 10 أفراد مهمتهم إيصال الدعم المادي، وشراء السلاح، وفتح المدارس والمستوصفات، وضمت كلُّ بعثة معلمين وأطباء؛ كثيرا ما كانوا يتحولون إلى مقاتلين، وقُتِلَ غالبيتهم في مختلف الولايات الأفغانية.

- **التمويل**

عمل مكتب الخدمات على كسب تمويله من خلال جمع التبرعات من العديد من البلدان الغربية، والولايات المتحدة؛ حيث أُنشئت فروع المكتب في أكثر من 33 مدينة أمريكية؛ من أجل دعم الجهاد الأفغاني المسلح، أغلق معظمها في أعقاب حادث الحادي عشر من سبتمبر (آيلول) 2001، فعلى سبيل المثال G لوبال Rيليف Fوونداتيون المؤسسة العالمية للإغاثة الخيرية، ومقرها بريدج فيو، بولاية إلينوي، تأسست عام 1992، وهي ثاني أكبر مؤسسة خيرية إسلامية في الولايات المتحدة كانت على علاقة بمكتب خدمات المجاهدين، كما أسهمت هذه الفروع في التجنيد المباشر؛ حيث التحق نحو 200 مهاجر من الشباب العربي، تم تدريبهم في الولايات المتحدة بحركة الجهاد الأفغاني.

وأمد «مكتب خدمات المجاهدين» قوافل المجاهدين بالتجهيزات اللازمة لإتمام عملها الجهادي المسلح، كما ساعد في ترحيلهم وتوزيعهم على جبهات القتال المختلفة، وشارك في الاعتناء بضحايا الحروب والجرحى.

امتد دور المكتب للعناية بأسر وأبناء القتلى من الجهاديين؛ حيث افتتح قسما لكفالة الأيتام والأرامل داخل أفغانستان، وبناء عدة دور للأيتام، وكان أحد الأدوار الرئيسية للمكتب عمليات الحشد الدعوي والخطابات الحماسية، التي تُسهم في رفع معنويات المسلحين الأفغان.

وأدى المكتب دورا مهمّا في تشكيل لجنة العلماء المعنية بإصدار الفتاوى التي يحتاج إليها الجهاديون للاستمرار في حربهم، وما يطرأ عليهم من إشكاليات ومسائل فقهية مختلفة.

- **القاعدة**

في ظل التعاون بين عزام وبن لادن، خلال عام 1986 تم إنشاء ستة معسكرات لتدريب وتجنيد الشباب الحالم بمغامرات الجهاد المسلح.

ليشهد عام 1988 إنشاء قاعدة معلومات، باسم «سجل القاعدة»، تشمل تفاصيل كاملة عن حركة المجاهدين العرب قدوما وذهابا والتحاقا بالجبهات، ومن طبيعة هذا السجل تبلور اسم واحد من أخطر التنظيمات الإرهابية في العالم، وهو تنظيم «القاعدة»، على أساس أن «سجل القاعدة»، تَضَمَّنَ كلَّ التركيبة المؤلفة من «بيت الأنصار»، أول محطة استقبال مؤقت للقادمين إلى الجهاد قبل توجههم للتدريب، ومن ثم الإسهام في الجهاد ومعسكرات التدريب والجبهات.

واستمر استعمال كلمة «القاعدة» من قِبَل المجموعة التي استمر ارتباطها بأسامة بن لادن، والذي تولى «مكتب الخدمات» إدارته، وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة.

وبعد مقتل عبد الله عزام 1989 مع اثنين من أولاده عن طريق لغم أرضي، أصبح «مكتب خدمات المجاهدين» تحت قيادة بن لادن، الذي صار مسيطرا على المشهد الجهادي في أفغانستان، حتى مقتله عام 2011.

بلغ عدد المتطوعين العرب وقتها قرابة 25.000، هذا العدد الكبير أزعج بعض قيادات «الجهاد الأفغاني» من الأفغان غير أنهم تفادوا الدخول في مواجهات مباشرة مع العرب ما دام هؤلاء يقدمون لهم الدعم.

ولعل أبرز المعارك التي صمد فيها المقاتلون العرب هي التي دارت قرب «جاجي» في أفريل سنة 1987.

بعد ذلك وإثر انتهاء مرحلة «الجهاد الأفغاني» غادر بن لادن أفغانستان وعاد إلى بلده مظفّرا بالنصر الذي ساهم في تحقيقه وراويا تجربته.

وقتها وكما جاء في شهادة عبد الباري عطوان (خلال مقابلته الصحفية مع أسامة بن لادن)، لم يفكر بن لادن في انشاء تنظيم جهادي بل عاد من أجل ترتيب أعماله في المملكة العربية السعودية.

المنعرج كان إثر الغزو العراقي للكويت واستنجاد حكام المملكة بالقوات العسكرية الأمريكية طلبا للحماية من أي هجوم عراقي محتمل.

وقتها انزعج بن لادن من الوجود الأمريكي على «أرض الحرمين»، و قال في أحد الإصدارات المرئية : «إن قتل الأمريكان هو من صميم الإيمان.»

ووظّف الحديث النبوي الداعي لاخراج «المشركين» من «جزيرة العرب»، «عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً) أخرجه مسلم (1767).»

لم يكن هذا الموقف مقبولا لدى الحكومة السعودية فتم التضييق على نشاطات أسامة بن لادن، وقتها غادر هذا الأخير بلده وتوجّه نحو السودان المحكوم من نظام إسلامي إخواني.

بحكم نشاطات بن لادن في مجال المقاولات، قام بإنشاء مشاريع بالاشتراك مع الحكومة السودانية.

لكنه سرعان ما حنّ إلى «العمل الجهادي» وساعد في سنة 1992 على تدريب قوات قبلية صومالية معارضة للوجود الأمريكي على أراضيهم.

في 13 نوفمبر 1995، فجّرت بناية للحرس السعودي في الرياض وقُتل 14 شخصا. بعدها بعام تقريبا، تعرض مجمع سكني للقوات الأمريكية في منطقة الخُبر.

من المرجّح أن بن لادن يقف وراء الهجومين لكن لم يتم اتهامه لا من قبل السعوديين ولا من قبل الأمريكان.

ويبقى أهم حدث في مسيرة بن لادن، هو لقاءه بالمصري أيمن الظواهري في السودان.

الظواهري صاحب الخبرة الكبيرة في «العمل الجهادي» في مصر منذ تشكيل الخلية الأولى مرورا بمرحلة السجون ثم فراره خارج مصر، أعطى زخما حركيا مهمّا للحركة الجهادية العالميّة.

الظواهري كان متأثرا بأفكار محمد عبد السلام فرج صاحب كتاب «الجهاد الفريضة الغائبة» التي تتلخص في قتال الأنظمة الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية ولكنّ هذه الرؤية تغيّرت على إثر لقاءه ببن لادن.

رأى الرجلين أن قوة هذه الأنظمة هي من قوّة «رأس الكفر العالمي» (ويعني بها أمريكا) ولهذا وجب قتال الأمريكان سواء في عقر ديارهم أو في قواعدهم المتواجدة بالبلدان العربية والإسلامية.

هذه الرؤية ازدادت وضوحا عند غادرا إلى أفغانستان إثر الضغوط الأمريكية والسعودية على السودان.

هذا التواجد تزامن مع سيطرة حركة طالبان الأفغانية على أغلب أرجاء أفغانستان وذلك سنة 1996.

هذه الحركة ورغم أنّها ليست حركة سلفية جهادية كما يظن العديدون (هي حركة تنتمي إلى الديوبندية وهي مدرسة فكرية أسسها مجموعة من علماء الهند ونمت حتى أصبحت أكبر المعاهد الدينية العربية للأحناف في الهند. ومن أعلامها المعاصرين الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي. ومن أهداف هذه المدرسة المحافظة على التعاليم الإسلامية ونشر الإسلام ومقاومة المذاهب «الهدامة» ومحاربة الثقافة الأجنبية والاهتمام بنشر اللغة العربية باعتبارها أداة فهم الشريعة. وترجح الديوبندية المذهب الحنفي في مجال الفقه والعقيدة الماتريدية في مجال الاعتقاد والطرق الجشتية والسهروردية والنقشبندية والقادرية والصوفية في مجال السلوك والاتباع)، فإنّها وفرّت اللجوء لأسامة بن لادن وجماعته مكافأة لهم على جهودهم المبذولة في قتال المجموعات المعارضة للحركة (من أبرزها «تحالف الشمال» بقيادة أحمد شاه مسعود الذي اغتالته خليّة تابعة للقاعدة يومين قبل هجمات 11 سبتمبر 2001).

في فيفري 1998 كانت البداية الفعلية لتأسيس تنظيم «القاعدة» وقتها تم تأسيس «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين». وقّع على البيان التأسيسي كل من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري ورفاعي طه (مؤسس الجماعة الإسلاميّة المصريّة) إضافة إلى جماعات جهادية باكستانية وكشميرية وبنغالية.

دعا البيان أساسا إلى قتل الأمريكيين في كل مكان ودون تفريق بين مدنيين وعسكريين.

بعد أشهر قليلة وفي أوت 1998، تمّ تفجير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكيّة في نيروبي ودار الإسلام.

وفي 12 أكتوبر 2000، هُوجمت المدمرة الأمريكية «كول» بقارب متفجر في ميناء عدن اليمنية.

ثم جاء الهجوم الأكبر يوم 11 سبتمبر 2001، هذا الهجوم أحدث انقلابا في السياسة الأمريكية وأضحى أسامة بن لادن الرجل الأخطر والمطلوب رقم 1 للحكومة الأمريكية.

رغم الهجوم الأمريكي الواسع على أفغانستان سنة 2001 وقتل أو اعتقال عدة عناصر وقيادات للقاعدة، حدثت عدة تفجيرات منسوبة إليها.

أغلب هذه العمليات لم تُنفّذ بأوامر مباشرة من المركزية القاعدية حيث تحولت القاعدة من تنظيم هيكلي يملك الأرض إلى فكرة عالمية تجاوزت الأطر المكانية.

هذه العمليات المعزولة هنا وهناك، تحولت إثر الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003، إلى وجود قويّ للقاعدة.

فكما أمات الأمريكان الوجود القاعدي في أفغانستان، قاموا باحياءه بشكل أكثر تنظما ووحشية في العراق خاصة مع إشراف الأردني أبو مصعب الزرقاوي (مؤسس تنظيم التوحيد والجهاد قبل ذلك) على تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

فقام التنظيم وقتها بشن عدة هجومات على القوات الأمريكية والقوات العراقية والمراقد الدينية الشيعية وحتى على الأسواق والأماكن العامة.

مع ارتفاع نسق العنف، تصاعد النشاط الإعلامي للقاعدة بطريقة متزامنة حيث تأسست عدة مؤسسات إعلامية (أهمهما «الفرقان» التي ورثها تنظيم «الدولة الإسلامية» بعد ذلك) وتعزز الدور الإعلامي لأقدم مؤسسة إعلامية تابعة للقاعدة و هي مؤسسة «السحاب للانتاج الإعلامي».

رغم الخلافات التي طبعت علاقة الزرقاوي بالشيخين إلا أنهم حافظوا على تماسك التنظيم خصوصا بعد مرور الاستراتيجية العسكرية من حروب

الكر والفر إلى السيطرة على مناطق بأكملها (خصوصا في محافظة الأنبار وبغداد).

إثر اغتيال الزرقاوي، تحقق حلمه وتأسست «دولة العراق الإسلامية».

ولكن مع اندلاع «الثورة السورية» تعزز الوجود الجهادي هناك وأسست القاعدة فرعا لها هناك سميّ بـ «جبهة النصرة» هذا الفرع السوري أصبح في خلاف مع الفرع العراقي.

وقتها تمرّد أبو بكر البغدادي على الظواهري وأسس «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

من هذه اللحظة بدأت الخلافات بين الحركة الجهادية الأم والحركة الجهادية الناشئة وتحول الصراع من صراع إعلامي إلى صراع فكري وعسكري.

حيث سجلّت الأحداث، عدة معارك دموية بين التنظيمين آل النصر في أغلبها إلى «الدولة الإسلامية في العراق والشام». الانتصارات المتلاحقة تُوّجت سنة 2014 بالسيطرة على محافظة الموصل العراقية وإعلان قيام دولة الخلافة الإسلامية ومبايعة البغدادي كأمير لهذه الدولة.

هذا البيعة رفضها الظواهري ورأى أنها غير شرعية وستساهم في تشتيت الحركات الجهادية.

هذا الصعود السريع لتنظيم البغدادي ساهم بشكل كبير في إضعاف تنظيم القاعدة حيث انتهى الوجود القاعدي في العراق وفكّت جبهة النصرة ارتباطها بالقاعدة وأفل نجم القاعدة في أفغانستان كما تراجع وجودها في اليمن والمملكة العربية السعودية.

ويبقى الفرع الأكثر نشاطا هو «تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» خاصة في الجزائر ومالي.

4. تنظيم الدولة الإسلاميّة :

هو التنظيم السلفي الجهادي الأقوى حاليّا رغم حداثة تأسيسه نسبيّا. تعود النواة التأسيسية الأولى إلى الحرب الأمريكية على العراق في سنة 2003.

تعود بدايات تأسيس تنظيم الدولة الإسلامية إلى أبي مصعب الزرقاوي الشاب الأردني الذي شارك في «الجهاد الأفغاني» ضد الاتحاد السوفياتي في سنة 1989 ثم عاد بعد سنوات إلى الأردن والتقى بأحد رموز السلفية الجهادية وهو أبو محمد المقدسي.

على إثر الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003، أنشأ الزرقاوي شبكة من «الجهاديين» من أبرز الشخصيات نجد : أبو حمزة المهاجر الذي تولى الاشراف على التنظيم بعد اغتيال الزرقاوي، أبو أنس الشامي وهو أردني وكان أول «شرعي» للمجموعة وعبد الله الجبوري العراقي والمكنّى بأبي عزّام.

إثر تطور الشبكة وانضمام عدة عناصر اليها، تم إطلاق إسم «جماعة التوحيد والجهاد» على التنظيم.

ثم اتفق مع قيادات تنظيم القاعدة على توحيد العمل تحت إسم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

في هذا الإطار، نشير إلى أن محللين سياسيين وباحثين في شؤون الجماعات الإسلامية يرون أن تنظيم الدولة الإسلامية هو امتداد طبيعي للقاعدة وأنه لا توجد بينهما خلافات فكرية بل أن الصراعات هي تكتيكية في إطار التوسعّ والتنافس على مجال النفوذ.

غير أنّ مقرّبين من القاعدة نفوا هذا واعتبروا أن الخلافات الفكرية بين الجانبين عميقة. في هذا المجال يقول أبو حفص الموريتاني المفتي السابق لتنظيم القاعدة أنّ « أبو مصعب الزرقاوي وجماعته كانوا معنا في أفغانستان

ولكن لم تكن هناك نيّة من القاعدة لضمّهم إلى صفوفها. بعد ذلك تمّ تبادل عدة رسائل بين الزرقاوي والظواهري وبن لادن وعطية الله الليبي، بيّنت وجود خلافات بين نهج القاعدة ونهج الزرقاوي فيما يخص استهداف الشيعة والمسيحيين في العراق وكذلك فيما يخص تصوير إعدام الرهائن بطريقة بشعة واستهداف المجموعات الجهادية الأخرى.

القاعدة كان ترى في أولوية استهداف العدو البعيد (أمريكا أساسا) والزرقاوي رأى في وجوبية ضرب العدو القريب (الأنظمة العربية والإسلامية المتحالفة مع أمريكا) وعلى اعتبار أن أمريكا (العدو البعيد) حلّت بالعراق وأصبحت في ذات الوقت العدو الأقرب والأنكى، وهو ما سهّل بيعة الزرقاوي للقاعدة.[2]

وتم تأسيس « تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين « بإشرافه المباشر وذلك يوم 8 أكتوبر سنة 2003.

مع اتسع نفوذ التنظيم في العراق أبدى الزرقاوي نيّته في تأسيس دولة إسلامية وهو الأمر الذي خالفه فيه أسامة بن لادن وأيمن الظواهري حين رأوا ضرورة الانسحاب الأمريكي ومن ثم إنشاء الدولة.

إثر تكرر الظهور الإعلامي المرئي لـفتى الزرقاء، استهدفته غارة أمريكية في 6 جوان 2006 وبالتالي إنتهت مرحلة الزرقاوي.

علّق الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن على العمليّة ووصفها بـ «أنّها ضربة قوية للقاعدة» معتبرا أنه واجه المصير الذي يستحقه بعد «العمليات الإرهابية» التي نفذها في العراق. كام اعتبر وزير الدفاع الأمريكي وقتها دونالد رامسفيلد أن مقتل الزعيم الزرقاوي هو «انتصار مهم في» الحرب

[2] الجزيرة، 10 سبتمبر 2015، برنامج الواقع العربي، من القاعدة لـ«الدولة» : هل تغيرت السلفية الجهادية ؟

على الإرهاب، لكنه عاد وقال إنه «بالنظر إلى طبيعة الشبكات الإرهابية فإن مقتل الزرقاوي لا يضع رغم أهميته نهاية لكل أعمال العنف في العراق. ولكن حلمه في إنشاء دولة قد تحقق في 15 أكتوبر 2006.

في هذا اليوم تم الإعلان عن تأسيس «دولة العراق الإسلاميّة» وحلّ تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

تم الاختيار على أبو عمر البغدادي كأمير للتنظيم بمباركة من أسامة بن لادن، هذا الأخير دعا في تسجيل صوتي بتاريخ 30 ديسمبر 2007 إلى مبايعة البغدادي. وأضاف «لا يجوز التأخر في المبايعة»، داعيا الاسلاميين «الا يستسلموا لأعذار لتعطيل الوحدة والاجتماع» والامتناع عن «التعصب للرجال او الجماعات بل إلى التعصب للحق». بيد أن محللين يعتقدون أن البغدادي كان أميرا صوريا وأن القيادة الحقيقية كانت بيد أبي حمزة المهاجر وزير الحرب.[3]

جوبه توسع نشاط التنظيم في العراق بتشكيل ميليشيات سميّت بـ«الصحوات» ودارت بين الجانبين معارك دامية.

في 19 أفريل 2010، اغتيل أبو عمر البغدادي ومساعده أبو حمزة المهاجر إثر هجوم أمريكي واسع.

أبو بكر البغدادي واسمه الكامل إبراهيم عواد إبراهيم البدري عام 1971 في سامراء، وهي مدينة عراقية تاريخية تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة في محافظة صلاح الدين، وتبعد 125 كيلومترا شمال العاصمة بغداد.

كان أغلب أفراد عائلته منتمين لحزب البعث العراقي المنحلّ ويعملون بأجهزة الأمن والجيش.

[3] ويليام مكانتس، «المؤمن : أبا بكر البغدادي زعيم الدولة الإسلامية»، موقع معهد بروكنجز، ترجمة : حمدي الكتوت، سبتمبر 2015.

تخرّج البغدادي من جامعة بغداد سنة 1996 والتحق بجامعة صدّام للدراسات الإسلاميّة، حيث درس فيها لنيل شهادة الماجيستير في تلاوة القرآن وحصل على الشهادة سنة 1999، ثم التحق ببرنامج الدكتوراة في الدراسات القرآنية.

وبالعودة إلى شهادات أصدقائه فقد حاول عمّه اقناعه بالانضمام لجماعة الإخوان المسلمين ولكنّه لم يكن مقتنعا بأفكارهم وبمواقفهم، ازداد حنقه عليهم حين تولّى طارق الهاشمي زعيم الحزب الإسلامي (مظلّة الإخوان المسلمين في العراق) منصب نائب رئيس الجمهورية.

كان متأثرا بالأفكار السلفيّة الجهادية ويعتبر الإخوان «أناسا يُنظِّرون لكن لا يعملون»[4]

يُروى عن البغدادي أثناء فترة سجنه في سجن «بوكا» أنّه كان المجاهرة بالتوحّش سيكون المنهج الذي ستتبعه الدولة الإسلامية لنشر الرعب والخوف والهلع لإرهاب الخصوم وغير الخصوم، ولإرسال رسالة مفادها أن كل من يتعاول مع أعدائها سيواجه القتل بأبشع الطرق وعليه الإستسلام، واستشهد بالآية القرآنيّة: «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ.» (آل عمران 151)

وبالحديث النبوّي الذي يقول: «نُصِرْتُ بالرعب على مسافة شهر.»[5]

أول عمل جهادي منظم خاضه البغدادي تحت لواء «جيش أهل السنة والجماعة» (الذي كان من مؤسسيها) وهي جماعة مسلحة قاتلت القوات الأمريكية وحلفاءها في شمال ووسط العراق.

---

[4] ويليام مكانتس، المرجع السابق.

[5] عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية الجذور، التوحش، المستقبل، دار الساقي، 2015، ط 2، ص 24.

في فيفري 2004 ألقي القبض على البغدادي وأودع سجن « بوكا» وُفرج عنه في 8 ديسمبر 2004.

بعد قيام دولة العراق الإسلامية سنة 2006، تم تعيينه في «لجنة التنسيق» وكان من أهم مهامها اختيار قادة المحافظات العراقية في «الدولة» والإشراف عليهم وفصل من العمل.

في سنة 2010، تولى قيادة التنظيم عقب اغتيال أبو عمر البغدادي وسنة 2014 تم تنصيبه خليفة للدولة الإسلامية، كان الظهور المرئي الأول والأخير (إلى حدود هذه اللحظة).

هذه نبذه ملخّصة عن أبرز شخصية جهادية حاليا وسنعود إلى الحديث عنها بشكل مفصّل خلال الفصول القادمة.

علاقة البغدادي مع تنظيم القاعدة (التنظيم الأمّ) بدأت في التوتر حين رفض أبو محمد الجولاني (وهو المشرف عن الفرع السوري المسمّى بـجبهة النصرة) تنفيذ تعليمات البغدادي بشن هجوم واسع على تنظيم «الجيش السوري الحرّ» وهو ما اعتبره خروجا عن الطاعة.[6]

هذا ما أدى إلى حدوث القطيعة بين الجانبين وفي شهر أفريل 2013 سمّى البغدادي تنظيمه بـ «الدولة الإسلاميّة في العراق والشام».

وردّ عليه أيمن الظواهري زعيم القاعدة وذلك في تسجيل صوتي بثّ بتاريخ 8 نوفمبر 2013، أمر فيه بإلغاء «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وأوصى باستمرار العمل بإسم «دولة العراق الإسلامية» في العراق و«جبهة النصرة لأهل الشام» في سوريا.[7]

---

[6] هيثم مزاحم، »الخلاف بين الظواهري والبغدادي قد يؤدي إلى انشقاق القاعدة، موقع المونيتور، 11 نوفمبر 2013.

[7] الظواهري يلغي تنظيم داعش...والبغدادي يرفض التنفيذ "، موقع «العربية نت»، 2014/11/09.

تجاهل البغدادي رسالة الظواهري وتوسع مجال نفوذ تنظيمه إلى أن سيطر على مدينة الموصل وأعلن في 28 جوان 2014، قيام دولة الخلافة الإسلامية بقيادة الخليفة القرشي الحسيني البغدادي.

سنتطرق لاحقا للجوانب الهيكلية والتنظيمية والعسكرية وأبرز الشخصيات (الإعلامية والميدانية والعسكرية والشرعية) خلال تحليل المواد الإعلامية للتنظيم.

أهم الفروق بين تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية
حسب موقع الجزيرة.نت

تنظيم الدولة الإسلامية : البنية الفكرية وتعقيدات الواقع
حسب موقع الجزيرة.نت

الفصل الثالث :
مسارات الإعلام الجهادي

المبحث الاول :
مرحلة الافغان العرب وعولمة الجهاد

تبلور المشروع الجهادي العالمي خلال منتصف ثمانينات القرن الماضي فلم يعد مقتصرا على التجربة المصرية المحليّة والأفكار القطبية الداعية لاسقاط الحكم القائم آنذاك واستبداله بدولة إسلامية.

كان التدخل السوفياتي في أفغانستان هو المحرّك الفعلي والدافع لتأسيس التيار الجهادي العالمي ونشأة حركة الأفغان العرب والتي أثرت فيما بعد بشكل كبير في مسار الحركات الجهادية.

دخلت القوات السوفياتية إلى أفغانستان بتاريخ 25 ديسمبر 1979 لدعم حكام كابول الشيوعيين ضد الفصائل الإسلامية المتحدة تحت عنوان «الحركة الإسلامية الأفغانية».

هذا التدخل السوفياتي المباشر كان أشبه بالاحتلال في مخيلة الشعوب العربية والمسلمة وهذا ما دفع المرجعيات الدينية في السعودية أساسا وفي دول الخليج ومصر وباكستان إلى إصدار فتوى للجهاد في أفغانستان واعتباره فرض عين على كل المسلمين.

«فالجهاد في الأفغان من أفضل الجهاد وهو جهاد شرعي، جهاد في سبيل الله، جهاد لأخبث دولة وأكفر دولة وهي الدولة الشيوعية، فينبغي للمسلمين أن يدعموا هذا الجهاد بل يجب عليهم أن يدعموا هذا الجهاد وأن يساعدوا المجاهدين بالنفس والمال ولاسيما الدول الإسلامية والأغنياء الأثرياء، يجب أن يدعموا هذا الجهاد وأن يساعدوا المجاهدين، ويجب على من تيسر له أن يجاهد بنفسه أن يشارك في هذا الخير العظيم؛ لأنه عمل صالح وجهاد لأخبث دولة وأكفر دولة، وفيه حماية لبلاد المسلمين وصيانة لبلاد

المسلمين ومساعدة للمظلومين والمنكوبين من إخواننا الأفغان المجاهدين والمهاجرين منهم.

فالواجب على جميع المسلمين.. على جميع الدول الإسلامية أن يعنوا بهذا الجهاد وأن يولوه غاية العناية وأن يدعموه بما يستطاع من مال ونفس، لكن ليس لمن أراد الجهاد وله والدان أو أحدهما أن يجاهد حتى يستأذنهما أو يستأذن الموجود منهما لقوله لما سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله، وفي لفظ قال : الصلاة على وقتها، قيل : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين، قيل : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله، فجعل الجهاد بعد الوالدين، وجاءه رجل يستأذنه في الجهاد ؟ فقال : أحي والداك ؟ قال : نعم، قال : ارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك وإلا فبرهما.

وبكل حال : فهذا الجهاد في سبيل الله له شأن عظيم، ولا أعلم في الوقت الحاضر جهاداً أفضل من الجهاد في أفغانستان ضد أعداء الله الشيوعيين، وقال عليه الصلاة والسلام : من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا.»[1]

بالتوازي مع هذا التشريع الديني للجهاد في أفغانستان، بدأت التحركات الديبلوماسية الأمريكية – السعودية – الباكستانية من أجل دعم «المجاهدين الأفغان» بالمال والسلاح والجهد الإعلامي والإغاثي.

فُتحت مراكز جمع التبرعات في أكثر من مكان ونشطت الحملات الدعائية الإعلامية للتعريف بقضية الشعب الأفغاني المنكوب.

كانت بيشاور الباكستانية هي المدينة المحورية في هذا المشروع بحكم قربها الجغرافي من أفغانستان (تبعد حوالي 76 كم عن المنطقة الحدودية الأفغانية

[1] الإمام ابن باز: كلمة صوتية حول الجهاد في أفغانستان وضرورة دعمه بالنفس والمال، بتاريخ مارس 1980، الموقع الرسمي لابن باز.

وقرابة ساعة ونصف سير عن العاصمة الباكستانية إسلام آباد) والتركيبة القبلية البشتونية المشتركة.

احتضنت المدينة وفودا إغاثية إنسانية من عدة دول عربية (المملكة العربية السعودية والكويت أساسا) لكن هذا العمل السلمي سرعان ما تحوّل إلى عمل عسكري لاستقبال واعداد وتدريب المتطوعين العرب.

اختلفت التقديرات بشأن عددهم وقال «فيلسوف تنظيم القاعدة» أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» أنهم قرابة 40 ألف نصفهم قادمين من السعودية.

مثلما ما مثلت بيشاور المدينة المحورية فإن الشيخ الفلسطيني عبد الله عزّام مثل الشخصية المحورية، عبد الله عزام

المتحصل على شهادة الدكتوراه عام 1973 (تخصص أصول الفقه) من جامعة الأزهر المصرية.

عمل عزام أستاذا في المدارس الثانوية بالأردن والضفة الغربية (كانت آنذاك تابعة للأردن)، وبعد حصوله على شهادة الماجستير تولى قسم الإعلام في وزارة الأوقاف، ومارس التدريس بالجامعة الأردنية عشر سنوات انتهت بعام 1980، وفي نفس السنة غادر إلى السعودية للتدريس في جامعة الملك عبد العزيز، وفي 1981 انتقل إلى الجامعة الإسلامية العالمية في العاصمة الباكستانية إسلام آباد.

وقتها التقى بزعيم «الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان» الشيخ عبد رب الرسول سياف، وخلال أيام انتقل مع مجموعة من المجاهدين إلى مدينة بيشاور الباكستانية على الحدود مع أفغانستان.

بدأ عزام في بيشاور استقطابَ الشباب العربي المتطوع للجهاد في أفغانستان، إضافة إلى استقبال ونقل المساعدات الصحية والغذائية لإيصالها إلى اللاجئين، وكذلك إيصال المساعدات اللوجيستية للمجاهدين في ميادين

القتال. وبجانب تلك الجهود، صارت له أنشطة متعددة في تعريف العالم الإسلامي بالأوضاع في أفغانستان، فكان يذهب من حين لآخر في جولات متواصلة لحشد الدعم الرسمي والشعبي، وشملت تلك الجولات دولا غير إسلامية مثل الولايات المتحدة الأميركية التي فُتح فيها 38 مكتبا لجمع التبرعات للأفغان، وكانت تحوَّل عن طريق حسابات في البنوك الأميركية.

عزّام لم يكن يوصف وقتها بالإرهابي وكان يتنقل بسهولة من دولة إلى دولة . . .

قام أساسا بانشاء «مكتب خدمات المجاهدين» وهو بمثابة قاعدة بيانات للمتطوعين العرب (ومنه تم اقتباس اسم تنظيم القاعدة). يتم استقبالهم في مضافات ومن ثم اعدادهم من النواحي العقائدية والعسكرية والاستخباراتية.

يقول عنه عزّام أنّ : «وظيفته هي خدمة المجاهدين الأفغان، وكان طموحه من العرب والمسلمين الوافدين على مكتب الخدمات هو اكتساب الخبرة الحربية وتشكيل نواة صلبة للـ «عُصبة المجاهدة» المنوط بها تحرير البلاد الإسلامية وخاصة فلسطين، وجعل عبد الله عزام لهذا المكتب قاعدة بيانات المجاهدين.»

إلى جانب هذه المسائل المتعلقة بالجانب الديني والعسكري، برز اسم عزّام كمؤسس للـ «جهاد الإعلامي» فقد أسس بمعية عبد رب الرسول سياف عدة منابر إعلامية سننتطرق إليها بالتفصيل.

أثناء البحث وبعد جهد مضني، تمكّنت من الحصول على كل نسخ مجلّة الجهاد التي أسسها عزام بداية من أول عدد صادر بتاريخ 28 ديسمبر 1984 إلى حدود آخر عدد صادر بتاريخ ديسمبر 1994 – جانفي 1995.

عنوان المجلة يعكس بوضوح أولوية العمل الجهادي في فكر عزّام.

كان العدد الأول متواضعا سواء على مستوى جمالية الصورة أو كذلك على مستوى كثافة وتنوع المحتوى وهذا طبيعي نظرا لعدم توفر التقنيات المتطورة وقتها. افتتح بكلمة لعبد الله عزام (أشبه بكلمة رئيس التحرير وهو ما يعكس الريادي للرجل في المجال الاعلامي) وهو الذي ليس بغريب عن هذا المجال باعتباره أشرف على قسم الإعلام بوزارة الأوقاف الأردنية.

ثم استعرضت المجلة أخبار المعارك لحظة بلحظة ومنطقة بمنطقة، احتل هذا الجانب الأغلبية الساحقة من عدد الصفحات.

وختمت بمشاركة شعرية تحريضية على الجهاد.

أشير هنا إلى شكل ومحتوى المجلة شهد تطورا كبيرا من عدد إلى آخر وهو ما يبين مواكبة إدارة التحرير والجهاز الإعلامي عموما للتطور التكنولوجي والأهمية الكبيرة التي أوليت لهذا الجانب.

لم تكن مجلة الجهاد الصوت الوحيد للجهاد الأفغاني فقد تلتها عدة صحف ومجلات أخرى سواء التي تصدر من أفغانستان أو من بلدان أخرى.

من أبرزها مجلّة البنيان المرصوص التي أنشأها القائد الأفغاني عبد رب الرسول سيّاف، بداية من سنة 1985 إلى حدود سنة 1990.

عنوان المجلة وكما هو الشأن بالنسبة لمجلة الجهاد، ينتمي إلى حقل دلالي جهادي. «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ» (سورة الصف آية 4).

ربما تم اختيار هذا العنوان كإشارة إلى ضرورة تلاحم واتحاد كافة «المجاهدين الأفغان» صفّا واحد في مواجهة العدو السوفياتي وحلفاءه، لا سيما وأن المجلة كانت ناطقة باسم «اتحاد مجاهدي أفغانستان» بزعامه سيّاف.

اللافت للانتباه أنّها ورغم تأسيسها من قيادات أفغانية، كانت ناطقة باللغة العربية، لمزيد التعريف بالجهاد الأفغاني لدى مناصريه من الشعوب العربية وربما لتوطيد العلاقات مع الأفغان العرب.

فقد كان سيّاف من أوائل المتحالفين مع عبد الله عزّام الأب الروحي للأفغان العرب والتيار الجهادي العالمي.

يقول الصحفي الكويتي يوسف عبدالرحمن و الذي يعمل بصحيفة الأنباء الكويتية و الذي واكب فترة «الجهاد الأفغاني» : « اليوم بعد اداء صلاة الفجر نزلت مكتبتي ورجعت الى اوراقي في ادراج مكتبتي واخرجت «ذخائر» اعلامية خزنتها حصيلة سنوات ذهبت فيها الى افغانستان «محررا صحافيا» احمل قلمي وكاميرتي لانقل للقراء الحقيقة واثناء الحرب الافغانية السوفييتية برز اعلام مصنوع من رحم الجهاد يقوده قادة الجهاد الافغاني ليس له علاقة بالاعلام الرسمي العربي ولا الاسلامي لانه ممول من التبرعات التي كانت ترسل من العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها لنصرة الجهاد الافغاني.»

ولعل من أبرز هذه الدوريات التي صنعت قادة الجهاد الافغاني والعرب المجاهدين :

- صوت المعركة.
- لهيب المعركة.
- البنيان المرصوص.
- الجهاد الإسلامي.
- النفير.
- الفجر.
- الموقف.
- الاعداد.
- صدى الجهاد.
- جيحون.

وكان للشيخ عبد الله عزام دور كبير في نشر سلسلة من الكتب التي تعرض الجهاد كفرض عين وتدعو له وتحبب الشباب فيه، وقد شاعت في الأمصار الاسلامية بعد أن أرسلت من بيشاور الى العالمين العربي والاسلامي وليس العكس ؟!

وكانت حينذاك الوكالة الاسلامية (البنيان) هي إحدى أكبر الوسائل المسموعة التي تجوب جبهات القتال وتنقل الاخبار أولا بأول للعالم الافغاني وتصديه البطولي للاحتلال الروسي.»

وعن تجربته مع وكالة البنيان يضيف : «زرت وكالة البنيان آخر مرة في مساء الأحد 8 يناير 1989 وصادف أن قطعت الكهرباء عن منطقة بيشاور لمدة ساعة، وهو قطع يومي لا يؤثر عادة في الأعمال المرسلة عبر الأثير، فالكل يعمل حتى في وقت انقطاع الكهرباء في صمت من أجل أن يطغى «صوت الجهاد المرسل عبر الاثير» الى كل أحرار العالم المناصرين للحرب في أفغانستان. وعلى ضوء شمعة جلسنا مجموعة من العرب نتحدث عن ضرورة «دعم الاعلام المحلي» في أفغانستان من الاعلام العربي والاسلامي الرسمي لأنه الأقدر بكوادره البشرية وإمكانياته المادية، وحتى يكون الاعلام الافغاني الناقل لكل مراحل الجهاد الافغاني قادرا على المواجهة، وبحيث تكتسب الكوادر الاعلامية العاملة في خدمة نشر ثقافة الجهاد الافغاني من تجربة الاعلام الرسمي العربي والاسلامي المنظم والذي يملك تجربة كبيرة في هذا المجال.

كان الأخ الزميل الاعلامي صلاح الدين مسؤول وكالة البنيان المرصوص يقول : انها محاولة جديدة من كوادر تحاول أن تتعلم تسابق الزمن لتنقل الاحداث باللغة البشتونية والأوردية والعربية والفارسية والطاجيك والأزيك لأهمية نشر الاخبار على الناس لتصميدهم من هذه الحرب القذرة التي يقوم بها الروس على أمة الأفغان.

وكان الاذاعة التي تطلق على نفسها (صوت اسلامي أصيل في أفغانستان) تمتلك 33 مراسلا متطوعا داخل أفغانستان وتستقي الوكالة منهم أخبار الجبهات على مدار الساعة وتبث أخبار المجاهدين والعمليات باللغة العربية والانجليزية، ولها أيضا دور آخر وهو كتابة التقارير لكل الوكالات والصحف والمجلات التي تراسل الوكالة وتطلب الاخبار.»

وعن تطور آليات العمل الإعلامي خاصة مع توافد آلاف المقاتلين من عدة دول عربية يقول : «وهناك الكثير من الصور في مخيلتي مازالت لكوادر تتعلم بشكل مضحك استخدام تصوير الفيديو يوم كانت الكاميرات (سوني وسانيو وغيرها من الاجهزة اليابانية كبيرة، وتحمل على الاكتاف لثقلها).

كما انني رأيت معامل لاستخراج الصور في غرف العمليات الطارئة المقامة عشوائيا وبامكانيات بسيطة كان هناك اهتمام غير عادي بتصوير الفيديو حينذاك وفي معركة جلال اباد التي حضرتها رأيت شبابا يصورون الحرب والمعارك دونما اي حماية وهذا كان قمة الخطر لوجود القناصة.»

وهذا تعريف موجز بأبرز المجلات الصادرة وقتها وأهم محتوياتها.

الجهاد :

أسسها عبد الله عزام و هي مجلة شهرية تهتم بأخبار «الجهاد الأفغاني»، لها جمهور عريض يتابعها في داخل وخارج افغانسان وتضم صفحاتها لقاء ات وأخبارا وتحاليلا وموضوعات ثقافية خاصة بنشر عقيدة الجهاد والمقالات الشخصية.

لبنيان المرصوص

هي كما تعرف نفسها (صوت الخط الاسلامي الاصيل في افغانستان) مجلة اسلامية شهرية جامعة يرأسها عبد رب الرسول سياف وتتضمن قضايا الجهاد واخبار المجاهدين وقضايا التقارير الاوروبية والمفاوضات التي تدور

حول افغانستان والتحقيقات الاستطلاعية واراء المجاهدين وانتصاراتهم والدراسات الاسلامية والفعاليات المرافقة لنصرة الجهاد.

الموقف :

مجلة إسلامية شهرية (صدى المسلم المجاهد الصادق في افغانستان) يرأسها المهندس قلب الدين حكمتيار وتتضمن افتتاحية واخبار الجهاد ولقاأت القادة ومراحل الانتصارات والرسائل الواردة والصادرة عن الجهاد الأفغاني ونشر الدراسات الخاصة بالفكر العسكري الاسلامي ومواقف من التاريخ الاسلامي الداعي للجهاد وصفحات خاصة لآراء المجاهدين ونشر وصاياهم مع الاهتمام بالصور من ميادين الجهاد وابراز القادة العرب ودورهم في المعركة.

صدى الجهاد :

مجلة نصف شهرية يصدرها عبد الله عزام ورئيس تحريرها محمد يوسف عباس وهي تنشر اخبار المسلمين في كل العالم وتعطي الافغان مساحة واسعة وتربطهم بانتصار المسلمين في أكثر من مكان لرفع الروح المعنوية وتعطي مساحة واسعة للمجاهدين لنشر اخبارهم وانتصاراتهم.

الإعداد :

مجلة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي الذي يرأسه الشيخ محمد عبد السلام وترفع شعار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

وتنشر في صفحاتها أخبار الانتصارات الاسلامية لرفع الروح المعنوية للمجاهدين في كل مكان من اجل نصرة الدين والرفعة والنصر والتمكين في الارض وتباع بمبلغ 30 دولارا او ما يعادلها وبرزت من خلال نشرها المذابح التي تدور في العالم الاسلامي خاصة في فلسطين.

أفغانستان :

مجلة تصور المذابح وتكتب عبارة جميلة دائما : «افغانستان . . الكفاح في سبيل استعادة الحرية» وهي تصدر من وكالة الاتصال الدولي في الولايات المتحدة بواشنطن وتضم صفحاتها موضوعات تستهدف اظهار الروس بمنتهى الوحشية وهي توزع على الإعلاميين والصحافيين للاستعانة بموضوعاتها وتحقيقاتها وصورها.

أفغانستان 2 :

مجلة شهرية تعنى بشؤون افغانستان رئيس تحريرها د. عبدالقادر بيدل وترفع شعار : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما). وتعنى بالمحتوى الداخلي لأفغانستان فهي تنشر اخبار جبهات الجهاد والقتال مع الروس.

تصدرها الجبهة الوطنية الاسلامية (محاذملي اسلامي افغانستان) وتهتم دائما بعرض الموقف العسكري على طول الجبهات وتنشر الكاريكاتير ولا تعرض الصور إلا على غلافها وتهتم بالاتفاقيات الخاصة في افغانستان وتهتم ايضا بنشر القادة المسلمين التاريخيين من امثال «القسام» وغيره من القادة المسلمين الذين رفعوا راية الجهاد وبذلوا ارواحهم في سبيلها.

وبذلك يمكن القول أن الحركة الجهادية الأفغانية وعت بأهمية الجانب الإعلامي و مرّت من إصدار المجلات و الصحف إلى إنجاز شرائط الفيديو ونقلها إلى أعين العالم.

هنا نشير إلى أن تجربة شرائط الفيديو وتأثيرها في ذلك الوقت، ساهمت بشكل كبير في قيام الثورة الإيرانية.

فقد كانت خطابات الخميني وحواراته الإعلامية مع صحفيين ومراسلين في منفاه الفرنسي، ملهمة لعدد كبير من أفراد الشعب الايراني الغاضب على حكم الشاه آنذاك.

هذه التجربة استسختها الحركات الجهادية الأفغانية و « الأفغانية العربية « لتخوض من خلالها الحرب الإعلامية.

هذه التجربة استفاد منها تنظيم القاعدة ليطور أدواته الإعلامية مستفيدا من التطور التكنولوجي السريع في حين أن «إمارة» طالبان بدأت علاقتها بالإعلام محتشمة نظرا لسطوة الجانب الفقهي المحرّم للتصوير، ثم تجاوزت هذه العقبة واقتفت أثر حليفتها «القاعدة» لتؤسس جهازا إعلاميا مواكبا للطفرة التكنولوجية.

سنحاول خلال المبحث القادم تقديم فكرة عن المحطات التي مرت بها الاستراتيجية الإعلامية لحركة طالبان إثر سيطرتها على أغلب التراب الأفغاني وتأسيسها للامارة الإسلامية بأفغانستان سنة 1996.

غلاف العدد الأول لمجلة الجهاد بتاريخ 28 ديسمبر 1984

غلاف العدد الأخير من مجلّة الجهاد (ديسمبر 1994 – جانفي 1995)

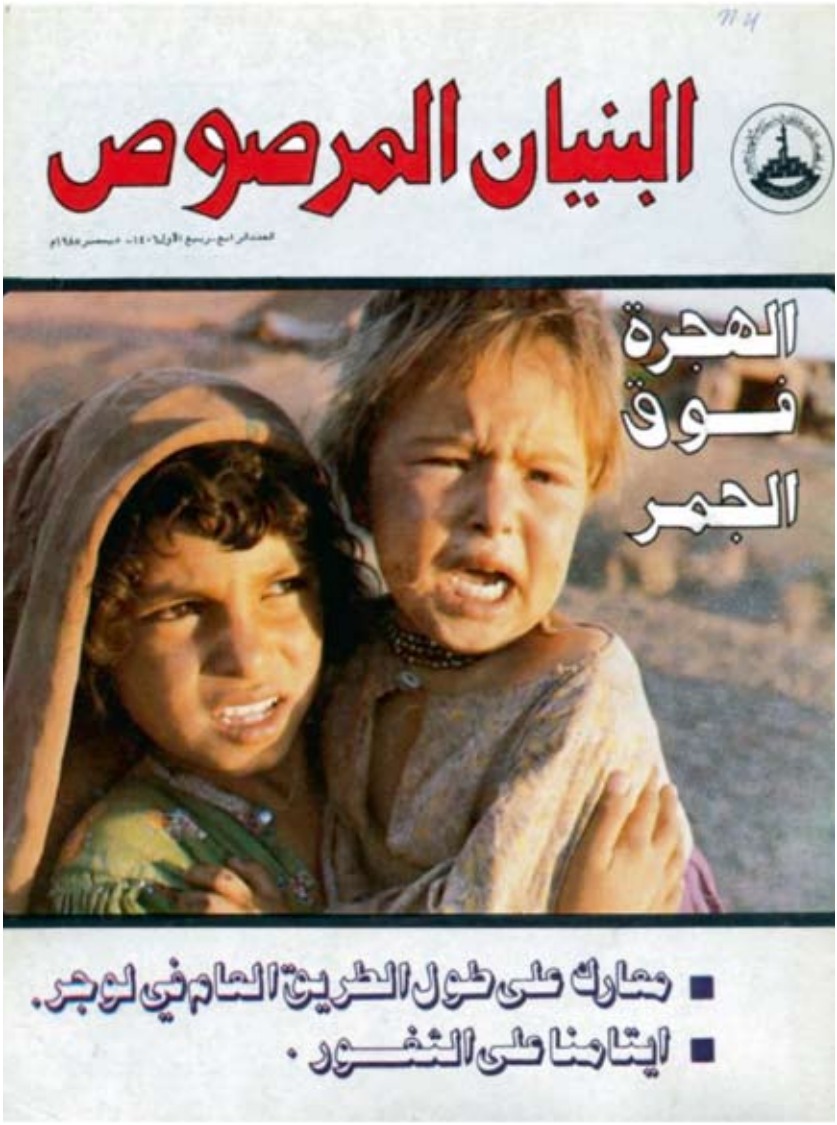

غلاف العدد الرابع لمجلة البنيان المرصوص (ديسمبر 1985)

صحف كويتية قامت بالدعاية الإعلامية للجهاد الأفغاني

Ittehad - e - Islami
AFGANISTAN

اتحاد اسلامی افغانستان

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من عبد رب الرسول سياف إلى الإعلامي الكويتي
يوسف عبد الرحمان يطلب منه الدعم الإعلامي

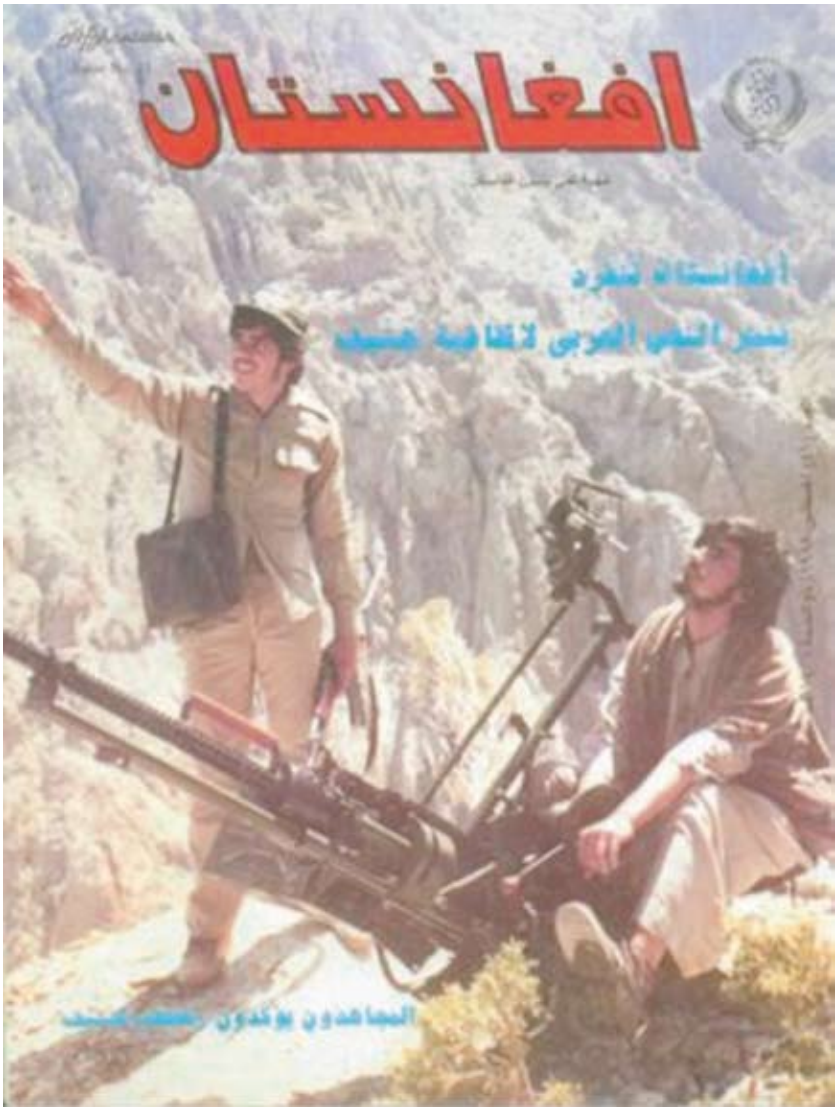

غلاف إحدى المجلات الأفغانية الداعمة للجهاد الأفغاني

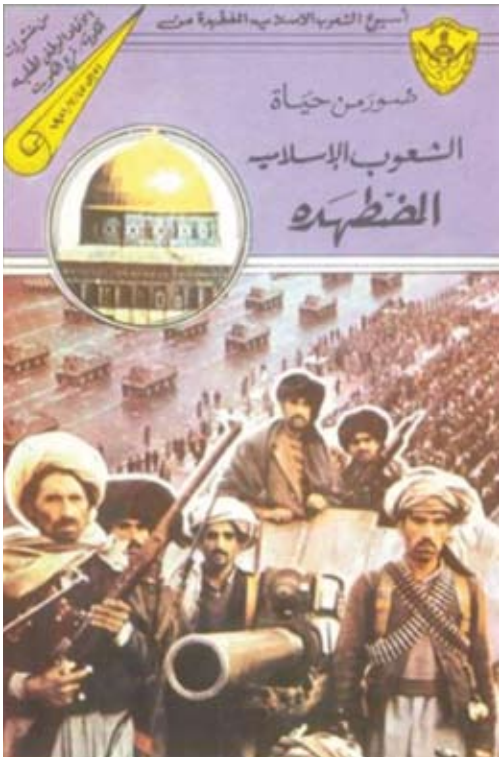

من منشورات الاتحاد الوطني لطلبة الكويت
حين ذاك –فرع الكويت

مبنى وكالة البنيان التي تولّت نقل أخبار «الأفغان العرب»

استخدام اللاسلكي أثناء نقل أخبار جبهات الحرب

استخدام الهاتف لنقل أخبار المعارك

المبحث الثاني :
مرحلة توسع حركة طالبان وإعلام الإمارة

في بداية هذا المبحث، يجدى التذكير بأن حركة طالبان الأفغانية لا تنتمي فكريا وعقائديا إلى التيّار السفي الجهادي بل هي منظمة تعتمد على المذهب الحنفي فقها و على الماتريدية عقيدة والصوفية مسلكا والجشتية طريقة.

غير أن تجربتها الجهادية ضد الغزو السوفياتي وعلاقتها الجيدة مع حليفها السلفي الجهادي «تنظيم القاعدة» جعلنا نتطرق لتجربتها الإعلامية.

نشأت حركة طالبان سنة 1994 بولاية قندهار (ذات الأغلبية القبلية البشتونية) وذلك على يد «الملا محمد عمر» والذي بايعه طلبة المدارس الدينية كقائد وأب روحي للجماعة.

تأسست الحركة من أجل ما سمته وقتها بـ «القضاء على مظاهر الفساد الأخلاقي» وإرجاع الأمن للشارع الأفغاني.

النقطة الثانية خصوصا هي التي دفعت عدد هام من الأفغان لمناصرة هؤلاء الطلبة وذلك في وقت تشهد فيه أفغانستان صراعا وتناحرا دمويا بين الفصائل الأفغانية، هذه الفصائل التي وحدها «الجهاد» ضد القوات السوفياتية قد فرّقها الصراع على السلطة.

نجحت طالبان في 26 سبتمبر 1996 في السيطرة على العاصمة كابول معلنة تأسيس «الإمارة الإسلامية في أفغانستان».

على عكس تنظيم القاعدة الذي بنى استراتيجية إعلامية متطورة رغم قلة الامكانيات التقنية خلال السنوات الأولى من تأسيسه، فإنّ حركة طالبان لم تكن علاقتها «وديّة» بالكاميرا.

الملا عمر مؤسس الحركة والشخصية المحورية الغامضة في عدة جوانب منها، كان ينظر إلى هذا الجانب الإعلامي من زاوية فقهية مغلقة هي أقرب إلى الأفكار السلفية التقليدية.

في حين أن أسامة بن لادن وبعد لحمته بالتيار الجهادي المصري، صنع من الظهور الإعلامي المتعدد وسيلة ناجعة لاستقطاب الشباب العربي والمسلم الغاضب من السياسات الامريكية، هذه السياسات التسلطية ساهمت في بناء الشعور بالمظلومية، مظلومية تجسدت في الخطاب الإعلامي لتنظيم القاعدة منذ البدايات الأولى لتأسيس جهاز إعلامي مركزي.

أثناء حوار جمع الصحفي العامل بقناة الجزيرة القطرية، «أحمد موفق زيدان» بوزير الخارجية الطالباني السابق الملا وكيل أحمد متوكل[1]، كان قد وجّه له السؤال الآتي : «ما تزال موقف الحركة إزاء قضية التصوير، إزاء قضية التصوير الفوتغرافي أو التصوير التلفزيوني غامضة، فالبعض يظهر أمام التلفزيون وأمام التصوير بينما البعض الآخر لا يظهر أمام التلفزيون وأمام التصوير، هل هذا القرار هو فردي لكل واحد يأخذ الشيء الذي يقتنع به ؟ أما أن هناك موقف من حركة طالبان أو من حكومة طالبان إزاء مسألة التصوير ؟»

فأجابه متوكل قائلا : «جزء من السؤال يعنيني، ورأي جميع أهل المذهب الحنفي أن التصوير حرام، ولديهم أدلتهم المقنعة في هذا الشان مهما كان نوع وشكل التصوير، ولكن ثمة حالات ضرورية مثل التصوير لجواز السفر والحج والعمرة والمستندات، وإثبات الهويات، فهو ضروري لحفظ الأمن والنظام، وكذلك التصوير للمسائل الإعلامية من الضرورات، لكن لا يعني هذا أن يجلس كل واحد أمام الكاميرا بحجة الضرورة التي يمكن أن يسدها المناطق الرسمي باسم الحركة.»

[1] بتاريخ 3 فيفري 2000، الملا وكيل أحمد . . طالبان وسنوات حكم أفغانستان، قناة الجزيرة.

هنا عقّب عليه زيدان بالقول : «هل هذا يعني أن الآن مقابلة الملا محمد عمر تلفزيونياً أمر ممكن ؟»

فأجاب متوكل قائلا : «الملا محمد عمر يعرف من يتوفر فيه شروط الحديث باسم الحركة رسمياً، ولكنه لا يرى التصوير.»

من خلال هذا الجزء من الحوار والذي خُصّص لتفسير إسقاط حركة طالبان للجانب الإعلامي من جدول أولوياتها وسياساتها، نستشفّ أن الملا عمر قائد التنظيم وأمير الإمارة (أي الدولة) كان رافضا بشكل قطعي لانخراط الحركة في العمل الإعلامي المنظّم.

بيد أن المحرّمات تحوّلت إلى ضرورات بسبب ضغوط الواقع المفروضة على الحركة، الحركة التي كانت تمنع وجود وسائل الإعلام المرئية خلال مؤتمراتها الصحفية سمحت بذلك لأول مرة بتاريخ 25 جانفي سنة 2000.

وقتها عقد وزير الخارجية الطالباني الملا متوكل مؤتمرا صحفيا بمقر السفارة الأفغانية في إسلام آباد، وذلك بحضور وسائل إعلام وصحفيات غير محجبات، وسبقها سماح طالبان لوسائل الإعلام بالبث المباشر لحداثة الإفراج عن رهائن حادثة خطف الطائرة الهندية في قندهار.

هذا التطور في الذهنية الطالبانية تجسّد خصوصا إثر الغزو الأمريكي لأفغانستان واسقاط حكم طالبان في أكتوبر 2001، هذا ما دفع الحركة لاستنساخ تجربة القاعدة وخاضت الحرب الإعلامية ضد أعداءها عبر تأسيس مزيد من المنابر الإعلامية.

ووجدت نفسها مجبرة على مواكبة أحدث تقنيات الصورة والخطاب الإعلامي.

في 31 جويلية 2001 وخلال لقاء جمع الصحفي أحمد موفق زيدان بقدرة الله جمال وزير الإعلام في حكومة طالبان سابقا ورئيس اللجنة الإعلامية

في الحركة آنذاك[2]، تحدث هذا الأخير عن أهم النشاطات الإعلامية للحركة قائلا : «إن من الأنشطة التي نمارسها «الصمود» وهي باللغة العربية، ومجلة «سر» وهي بلغة البشتون والشهامة ولنا مراسلون ينقلون الأخبار بشكل يومي فهناك أخبار تصدر كل يوم تتحدث عن العمليات التي يقوم بها المجاهدون من هجمات على الأميركيين وعبيدهم وما يلحق بهم من خسائر على صعيد آلياتهم العسكرية وجنودهم، بالإضافة إلى هجمات المجاهدين على معسكراتهم وهذه الأخبار تحدث كل يوم ويرسل بعضها عن طريق الإنترنت وعن طريق الأقمار الصناعية لكل العالم وهذا نشاطنا مستمر والحمد لله. الإمارة الإسلامية لها مراسلون معتمدون ينقلون الأخبار، الأخبار الحقيقية والموثوقة، وبين يدي مجلة «الصمود» وهي خير شاهد على ذلك وقد اطلعت عليها وهي والحمد لله باللغة العربية و «صمود» موجهة لأولئك المحبين للجهاد من المسلمين الأقوياء الشجعان من العرب وهي بلغتهم حتى يفهموها إذ لهم الأسبقية في الإسلام ولهم أسبقية مشهودة في الإسلام والجهاد وهي أسبقية قوية جدا. طالبان لها إعلامها بلغاتها المحلية وتبث نداأتها أو نداأت الأفغان أو نداأت المسلمين أو ندأت المجاهدين أو نداأت المهاجرين ويتم إيصال كل هذا إلى الآذان الراغبة بمعرفة الحقيقة. الكل يتذكر كيف أنه حينما غزا الروس الأفغان كل المسلمين وقفوا معنا ضد الغزاة وبكل شجاعة وبسالة خاصة العرب الذين شاركوا الشقيق الأفغاني في الحرب بكل إخلاص ورجولة فقد جاهدوا بأنفسهم وأموالهم وأرواحهم كما أنهم ساهموا بفاعلية في مجال الإعلام.»

وعن أسباب هذا التغير في التعامل مع الآلة الإعلامية أفاد جمال : «إن ضرورة الإعلام معروفة ومشهودة في كل وقت وزمان، وظهور طالبان أمام الكاميرا والتصوير الآن هذه ضرورة ماسة وحيوية فالشعوب لا تعرف

[2] برنامج لقاء اليوم، 2008/07/31، قناة الجزيرة.

نظرة الناس إلى طالبان ولا نظرة طالبان إلى كثير من القضايا ولذا أحببنا أن يعرف الناس من نحن وماذا نريد. أمر آخر وهو أن اليهود بأفعالهم يضللون المسلمين من خلال الإعلام الكاذب الذي يبثون الشائعات والأكاذيب على المجاهدين لذا اضطرت طالبان ومن باب الضرورة إلى الظهور أمام الكاميرات وإجراء المقابلات والسماح بالتصوير، إذاً هذه حاجة ماسة فنحن نريد توضيح مواقفنا التي لا نخجل منها للعالم ونحن أمام محتل أجنبي وما نقوم به دفاعا عن أرضنا أمر كفلته لنا الأديان السماوية وحضنا عليه الإسلام العظيم، وكذلك حتى شرائعهم الأرضية تحض على مقاومة الاحتلال فما نقوم به هو شيء نفتخر به وتفتخر به الإنسانية في مقاومة الاحتلال، جهاد أصبح علامة مضيئة لكل المجاهدين والمقاومين ضد الاحتلال. إن أعداءنا ينشرون بين الناس أكاذيب تقول إن طالبان انتهت ومحيت ونحن نخاطب المسلمين أجمع وكل من حولنا بأن طالبان أطاعت أميرها، أميرنا، أمير المؤمنين المجاهد الملا عمر، فقد علمنا منذ البداية بأنه إذا ما هوجمنا فسوف نلجأ إلى الجبال ولكن لن نبرح أرض أفغانستان وأن المواجهة قادمة ولو بعد حين وهذا ما حصل، لم نغادر أرضنا، لقد ازددنا تجربة وازددنا قوة ولا يخفى عليك ثبات إمارة طالبان الإسلامية داخل أفغانستان فهي راسخة، وطالبان لا زالت في أفغانستان لكنهم غيروا فقط أماكنهم وانتقلوا إلى الجبال فهم لا زالوا في أفغانستان وهم لا زالوا أقوياء بل إن هذه دلالة واضحة حين يظهرون في الأفلام والإذاعات والصحف وغيرها ظهور يدل على القوة والوجود والحضور.»

ونظرا للطفرة التكنولوجية وبروز المجال العنكبوتي ووسائل التواصل الإجتماعي كأداوات ناجعة في نقل صورة الحركة وخطابها لملايين من المتابعين، أسست الحركة عدة مواقع رسمية على شبكة الانترنت وحسابا رسميا على شبكة تويتر التواصلية ودخلت مجال الإصدارات المرئية والتي يشرف عليها طاقم تقني إعلامي من أصحاب المهارات في هذا المجال.

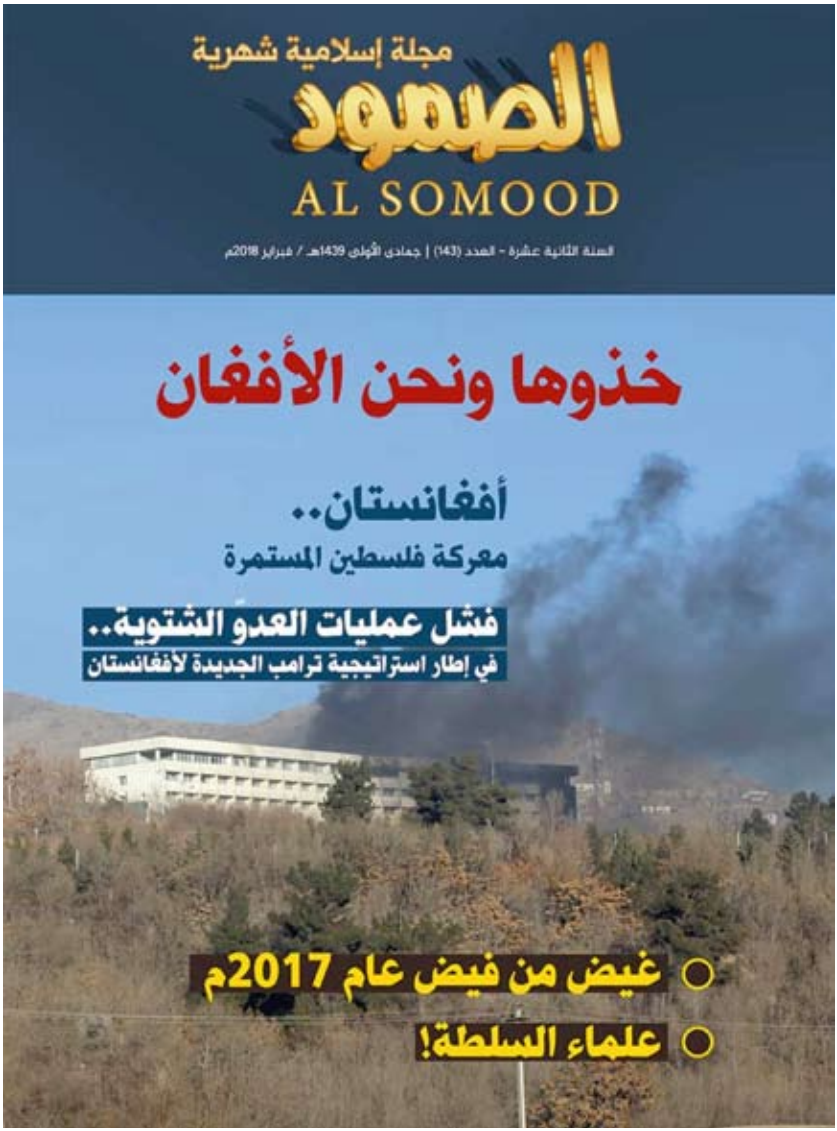

عدد من أعداد مجلة الصمود الإسلامية أحد الأذرع الإعلامية لحركة طالبان

الحساب الرسمي لحركة طالبان على شبكة تويتر

صورة من أحد الإصدارات المرئية التي أنتجها الجهاز الإعلامي الرسمي لحركة طالبان

هذا التطور الإعلامي يعود فيه الفضل الكبير للتجربة الإعلامية الرائدة لتنظيم القاعدة. القاعدة التي تواجدت لمدة سنوات في أفغانستان جنبا إلى جنب مع حليفتها حركة طالبان، أسسّت لما يعرف بـ «الإعلام الجهادي» أو «الجهاد الإعلامي».

فماهي أهم مميزات الاستراتيجية الإعلامية للقاعدة ؟ وكيف طورت القاعدة تجربتها الإعلامية منذ التأسيس وإلى حدود هذه اللحظة ؟

المبحث الثالث :
مرحلة قاعدة الجهاد والنقلة النوعيّة

«لقد آن الأوان لأن يتبوأ الإعلام مكانه الصحيح ويقوم بدوره المطلوب، في مواجهة هذه الحملة الشرسة والحرب الصليبية المعلنة، بجميع وسائله: المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلى رجال الإعلام كتّابا كانوا أم صحفيين أم محلّلين أم مراسلين...، أن يكونوا على مستوى المسؤولية والحدث، وأن يقوموا بدورهم المطلوب في تبصير الأمّة وبيان حقيقة العدو وكشف مخططاته وألاعيبه، وأن يقفوا صفا واحدا بكل تواجهاتهم، فالعدو اليوم لا يفرّق بين فئة وأخرى.»[1]

«أسأل الله أن يجزي العاملين في الإعلام الجهادي خير الجزاء، وأن يثيبهم خير الثواب على ما يخاطرون به ويعرضون أنفسهم للضرر من أجل كشف حقائق الجرائم الصليبية اليهودية ضد أمتنا المسلمة، وأدعوهم لمزيد من الجهد والعطاء، وأحمد الله أن شهد الأعداء وفي خدمتهم الإمكانات الهائلة ومؤسسات الإعلام الجبارة بهزيمتهم أمام الإمكانات الضيئلة للمجاهدين.

ولكن المجاهدين ينشرون الحق الصدوق الذي لا يصمد له بكل كذبه وبهرجته الباطل الزهوق (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وأذكر هؤلاء الجنود المجهولين أنهم على ثغر عظيم من ثغور الإسلام وأنهم يحطمون الأساطير والأوهام التي ظلت الدعايات الغربية والشرقية تبثها في آذان سامعينا وعقول مفكرينا ومناهج طلابنا لعقود طويلة.

فالله الله في الأمانة التي تحملونها، وليكن الصدق رائدكم والدعوة للتوحيد الصافي منهجكم ولتسعوا لأن تعودوا بالأمة التي طالت غربتها عن شريعتها

[1] أسامة بن لادن، من كلمة: بعد عام من الفشل الأمريكي في أفغانستان.

إلى المنهل المحمدي الصافي وسيرة خلفائه الراشدين وأصحابه الطيبين وآل بيته الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين بعيداً عن انحرافات المنحرفين وأكاذيب رجال الدين الدجالين ومناهج الانهزام والاستجداء وفلسفات التراجع والانحناء وفقه المتسولين وفتاوى علماء المارينز ومساومات قادة الحركات الذين يجرون الأمة للعلمانية بعيداً عن حاكمية الشريعة وللعصبية للمواطنة بعيداً عن أخوة الإسلام وللرضوخ لسايكس بيكو بدلاً من دولة الخلافة من المحيط إلى المحيط بإذن الله ويتنازلون عن أراضيها بدعوى المهارة السياسية والحنكة العملية وجمع الشمل وحقن الدم إلى غير ذلك من الخرافات.

فاللهَ أسألُ أن يجعل رجال الإعلام الجهادي سبباً لنشر رسالة الإسلام والتوحيد لكل الدنيا وبث الوعي الصادق بين جموع الأمة ولإحياء روح العزة والكرامة والتضحية والفداء والجهاد والاستشهاد بين صفوف المسلمين، وأن يوحدوا جهودهم ويرصوا صفوفهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم، وأن يحرصوا على تسجيل تراث الأمة الجهادي الذي لولا توفيق الله لهم لأضاعه الأعداء والعملاء، فالله أسأل وإليه أبتهل أن يتقبل عملهم الصالح خالصاً لوجهه الكريم وأن يحفظهم ويرعاهم ويقيهم كيد الكائدين ومكر الماكرين وأن يبارك في جهودهم وإمكاناتهم ولا يحرمهم من تمكينه ونصره في الدنيا وأجره في الآخرة.»[2]

اعترفت الولايات المتحدة بتفوق القاعدة في حربها الإعلامية الالكترونية؛ إذ تضاعفت المواقع والمنتديات الجهادية بشكل كبير منذ الإعلان عن تأسيس «الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين» عام 1998 من 12 موقعًا كما يشير جبراييل ويمان إلى أكثر من 6000 موقع في الوقت الراهن، وتظهر وتختفي سنويًا مئات المواقع في سياق حرب الشبكات التي تدور رحاها بين الأجهزة

[2] أيمن الظواهري، كلمة إلى رجال الإعلام الجهادي، مقتبسة من لقاء مؤسسة السحاب مع الظواهري، 2007/12/16

الاستخبارية من جهة وأتباع وأنصار الجماعة الجهادية وتنظيم القاعدة من جهة أخرى.[3]

«الإعلام نصف المعركة» كلمة انتشرت كثيرا بين الجهاديين فقد أصبحت الحرب الإعلامية تمثل جانبا هاما من الرؤية الاستراتيجية لتنظيم القاعدة.

أسامة بن لادن أمير الحركة الجهادية الرائدة في هذا المجال، شكّل حضوره الإعلامي المتكرّر عاملا من عوامل توسع التنظيم واستقطابه لآلاف المقاتلين والمناصرين.

كان بن لادن بمثابة «سوبرمان إسلامي» في مواجهة تسلّط «الرجل الأبيض الغربي» وكان قسم كبير من مواطني الدول العربية والمسلمة وخاصة الشباب منهم (بمختلف توجهاتهم الفكرية) ينظر إليه باحترام شديد.

أن تختلف مع هذا الرجل في أفكاره وتوجهاته العنيفة، هذا لا يمنع من إبداء الإعجاب بالحضور الإعلامي القوّي له. حضور مميّز يعكس الامكانيات الخطابية والقيادية لبن لادن.

وهو الذي تحول من مجرد شاب سعودي مساند للـ «الجهاد الأفغاني» إلى الرجل الأخطر في العالم. وان فارق الحياة فإنّ رمزيّته بقيت حيّة في قلوب العديدين من المسلمين وخاصة من مناصري الحركات الجهادية.

وحتى الخلاف الحاد الذي نشب بين «الدولة الإسلامية» و«القاعدة» لم يمنع مقاتلي ومناصري تنظيم البغدادي من الإشادة ببن لادن واعتباره أبا روحيّا كل الجهاديين في العالم.

بن لادن والظواهري على وجه الخصوص كانا من أهم قيادات تنظيم القاعدة ايمانا بضرورة بناء جهاز إعلامي قويّ ومتطوّر منذ البدايات الأولى لتأسيس التنظيم.

[3] حسن أبو هنية، تنظيم القاعدة و«الجهاد» الإلكتروني، موقع الجزيرة نت، 19 سبتمبر 2010.

يشير كتاب «دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب» تأليف فليب سيب ودانا جانبك إلى الاستراتيجيات الإعلامية التي اعتمدها زعيم تنظيم القاعدة «أسامة بن لادن» قبل رحيله، فيقول إن إدارة إعلام القاعدة تأسست عام 1988، كجزء من الهيكل التنظيمي للقاعدة بغرض الاحتفاء بالمجاهدين في أفغانستان الذين كانوا يحاربون الاتحاد السوفياتي.

غير أن الرسالة الإعلامية تحولت إلى الهجوم على إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية وبعض الأنظمة العربية، وبشكل خاص المملكة العربية السعودية.

وقد عرض الكتاب العديد من الأمثلة الدالة على إستراتيجية القاعدة وغيرها من المنظمات الإرهابية في استخدام وسائل الإعلام كوسيلة للتأثير في الرأي العام، ومنها مؤسسة «السحاب للإنتاج الإعلامي» التي يعتقد أنها انطلقت عام 2001، والجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية.

كذلك قناة الفجر التي قامت بتوزيع إنتاجها عبر الإنترنت على جميع المواقع في أنحاء العالم.

وعادة ما تتم ترجمة المواد الإعلامية إلى العديد من اللغات.

كما دشنت القاعدة موقع «النداء» على الإنترنت أوائل عام 2002، لنشر أفكارها حول عملياتها إبان الحرب في أفغانستان والعراق.

كانت المنتديات الجهاديّة بداية من سنة 2000، تمثل نقطة قوّة في إعلام تنظيم القاعدة.

مع دخول الألفيّة، بدأ استعمال الانترنت في العالم العربي والإسلامي يأخذ نسقا تصاعديّا. لذلك فقد رأت قيادات القاعدة ضرورة كبرى في استثمار انتشار هذا المجال العنكبوتي وخاصة في صفوف المراهقين والشباب المهتمين بالوسائل التكنولوجية الحديثة.

هذه الضرورة أصبحت اختيارا استراتيجيا إثر الاحتلال الأمريكي لافغانستان سنة 2001، حينها وجهّت القوات العسكرية الأمريكية ضربة قاسية للقاعدة في أفغانستان.

وبذلك اضطر التنظيم لتغيير بنيته الهيكلية وأصبح يحاكي التنظيمات العنقودية التي تتحرك في شكل مجموعات صغيرة قلّما يرتبط بينها تواصل مباشر.

هنا خرجت القاعدة من مجالها الميداني المتمركز أساسا في قندهار إلى المجال العنكبوتي الافتراضي.

ومن المفارقات أنّها أصبحت وقتها أكثر خطرا وأصبح خطابها أكثر انتشارا وقبولا لدى فئة واسعة من الشباب العربي والمسلم.

كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، والحملة الأمريكية على ما يسمى بالإرهاب، نقطة تحول في تاريخ الإعلام الجهادي بشكل عام، وفي تاريخ ونشأة المنتديات الجهادية بشكل خاص، فقبل سبتمبر لم يكن مصطلح المنتديات الجهادية قد انتشر على الساحة الإعلامية بالشكل المعروف حاليًّا، وفقط، كانت هناك بعض المبادرات الفردية للدخول إلى عالم المنتديات إحداها تنسب لعبد الله عزام، والأخرى للسعودي يوسف العييري الذي كان يقود تنظيم القاعدة في جزيرة العرب آنذاك.

طالت الحملة الأمريكية الشاملة كافة التنظيمات الجهادية وعلى رأسها القاعدة، وانطلقت المنتديات الجهادية كنافذة لنشر الأفكار الجهادية والترويج لها؛ لأنها وسيلة للهروب من الرقابة والحظر الأمني المستمر على الإعلام الجهادي، وهي أيضا وسيلة زهيدة الثمن فبضع دولارات قليلة يمكن لأي ناشط في أي مكان بالعالم أن ينشئ منتداه الجهادي الخاص به ويبث من خلاله أي مادة، لا يحتاج الأمر سوى شراء برنامج المنتدى واختيار اسم مناسب للموقع، ثم إطلاقه عبر إحدى شركات الاستضافة المتوفرة على الشبكة العنكوبية؛ وبالتالي يتم فتح المجال أمام الأعضاء والراغبين في المشاركة.

هذه العوامل وغيرها أسهمت في أن تصبح المنتديات الجهادية، بجانب كونها وسيلة إعلامية عابرة للحدود، ساحات مفتوحة للحوار والنقاش للقضايا المتعلقة بأحكام الجهاد المعاصر ومشروعيته والتترس والعمليات الاستشهادية، وغيرها من القضايا التي تشغل بال المترددين على المواقع الجهادية.

« بدأت المنتديات العربية على شبكة الإنترنت نهاية التسعينيات من القرن الماضي وكان منتدى «أنا عربي» الذي تحول لاحقا إلى «أنا مسلم» هو أول المنتديات العربية على الشبكة، وتبعه موقع «سحاب»، ثم «Islam way» عام 2000، وهو منتدى مصري أنشأه شخص يدعى «براموداً صمدي» وهو أحد تلامذة المدرسة السلفية في مصر، في هذه الأثناء ظهر منتدى «التوحيد» كأول منتدى جهادي، ويقال إن الشيخ أبو قتادة الفلسطيني وأبو حمزة المصري المقيمان في لندن حاليا، كانا من كتاب المنتدى، والكثير من الجهاديين حينها كانوا يكتبون في عدد من المنتديات السياسية الأخرى كـ «الإصلاح» و«التجديد» و«القلعة».

في أواخر عام 2003 ظهر منتدى «الأنصار» ليحقق طفرة في مسيرة «المنتديات الجهادية»، وقد سبقه موقع «jehad.Net»، والذي تم إيقافه واعتقال صاحبه بسبب المحتوى المخالف الذي كان يقوم بنشره، وكانت الرقابة الأمنية أيضا سببا في اختفاء منتدى «الأنصار» لفترة، ليعود مرة أخرى على إثر الصعود الذي شهده تنظيم القاعدة في العراق عام 2004، وطبقا لما يذكره أبو الحارث المحضار صاحب منتدى «مداد السيوف» عن دور منتدى الأنصار في نشر العمليات الجهادية فإنه «في أوائل 2004 قام بالتسجيل في المنتدى شخص يدعى «أبو ميسرة العراقي»، وقام بوضع شريط من العراق للشيخ أبو مصعب الزرقاوي يطمئن الناس فيه على نفسه بعد إصابته وتلقيه علاجًا، حيث انتشرت الشائعات حول مقتله، وكان أبو ميسرة وقتها هو المصدر الرسمي لكل ما يأتي من العراق، وكان هذا

الشريط وشرائط أخرى مماثلة سببا في وقف «الأنصار» لمدة ثم عادت مرة أخرى ليغلق حتى الآن».

قبل فترة وجيزة من إغلاق «الأنصار» انطلق منتدى «الإخلاص»، وأسسه شخص يدعى محب الشيخين التونسي بمساعدة عدد من نشاط الجهاد الإلكتروني، وكانت بدايات التونسي مع منتدى الأنصار، لكن «الإخلاص»، تم إيقافه منذ عدة أشهر وبالتحديد في الذكرى السابعة لأحداث سبتمبر أي في سبتمبر 2008 ضمن حملة موسعة للهجوم على المواقع الجهادية طالت عددا كبيرا من المنتديات.

ينظر الباحثون في حقل الإعلام الجهادي إلى منتدى «الحسبة» كأحد المنتديات الجهادية المميزة، حيث يقدم نفسه كمنتدى إسلامي مستقل وغير تابع لأي تنظيم جهادي، وقد تعرض القائمون عليه لحملات اعتقال مكثفة ما دفعهم إلى إغلاقه، وهناك بجانب «الحسبة» منتدى «شموخ الإسلام» و«البراق» و«منتديات الفردوس»، ومعارك السلفية، والمهاجرون والتجديد، ومنتدى «شبكة الليوث الإسلامية»، و«منتديات الفلوجة العراقية» والتي تقوم بنشر إصدارات مؤسسة الفرقان الإعلامية التابعة لما يعرف بدولة العراق الإسلامية التابعة لتنظيم القاعدة تحت قيادة أبو عمر البغدادي.

خلال النصف الأول من عالم 2008 ظهر منتدى «شبكة المجاهدين الإلكترونية»، وهو أحد المنتديات النشطة عبر الإنترنت، ويعرف نفسه على أنه «شبكة دعوية إسلامية جهادية مستقلة تعنى بشئون العالم الإسلامي، ولا تنتمي لأي تنظيم أو حزب أو مؤسسة، وأن جميع المقالات والمواضيع المنشورة في شبكتنا لا تخضع للرقابة قبل النشر، ولا تعبر بالضرورة عن رأي وتوجه إدارة الشبكة»، وبرغم حرص المنتدى على الاستقلالية، وعدم الانتماء إلى أي تنظيم جهادي فإنه ينظر إليه كمنتدى تابع للتنظيمات

الجهادية، حيث يتم نشر كافة الإصدارات الجهادية للقاعدة من خلاله، وهو ما جعل المنتدى يتوقف لعدة أيام خلال شهر يناير 2009، وقد يكون السبب، حسبما ذكر أحد المواقع، هو عدم تسديد قيمة الاستضافة لدى الشركة المضيفة، لكن المنتدى عاد إلى الظهور مرة أخرى مطمئنا القراء على استمرار رسالته.

يقدر عدد المنتديات الجهادية بالمئات، إن لم يكن بالآلاف، لكن ليس لدينا حصر شامل بعددها، وتصنف هذه المنتديات طبقا لدورها ومحتواها إلى صنفين: أولا: منتديات لنشر الأفكار والمعلومات والبحوث والمواد الإعلامية، مثل منتدى الليوث ومداد السيوف ومعارك السلفية ومنتدى الشيخ ناصر الفهد والأثري، ومنتدى الجماعة الإسلامية المصرية وغيرها من المنتديات المشابهة والتي تقوم بنشر المقالات والبحوث لعدد كبير من الأعضاء، وثانيا : منتديات جهادية حوارية، يكون الهدف منها إثارة الجدل وفتح أفق للنقاش وتبادل الآراء فيما يتعلق بالقضايا الشائكة كالهجرة والعمليات الاستشهادية والتترس وحكم قتل الأجنبي والخروج على الحاكم والموضوعات المتعلقة بالولاء والبراء وغيرها، وفي أغلب الأحيان فإن مثل هذه المنتديات تتوافر من خلالها فرص التجنيد للعناصر الجهادية أكثر من غيرها، وهناك أمثلة كثيرة لأشخاص تم تجنيدهم عبر هذه المنتديات لمجرد أنهم قرءوا بعض الكتب والمقالات واقتنعوا بها.

لا تخلو المنتديات الجهادية من المعارك والصراعات المستمرة بين أعضاء المنتدى والمشاركين فيه وأغلبهم من منظري السلفية الجهادية أ والمتعاطفين معها أو الذين يعارضون الفكرة السلفية الجهادية من الأساس، أحدث هذه المعارك شنها منتدى «مداد السيوف» بقيادة أبو الحارث الأنصاري ضد الراحل أبو مصعب الزرقاوي، حيث طعن المنتدى في الزرقاوي، وقال إنه كان على خلاف دائم مع زوجته الأولى، وإنها كانت تتحكم فيه، وإن مراسلاتها لأهلها حينما كانت برفقة الزرقاوي في العراق كان سببا غير

مباشر في الوصول إليه وقتله، وهو ما دفع الشيخ أبو محمد المقدسي إلى كتابة مقالة مطولة فند فيها اتهامات «مداد السيوف» وهاجم صاحبه ودافع عن الزرقاوي بشدة.

كما شن «مداد السيوف» هجومًا لاذعًا على مدير مركز المقريزي في لندن المصري هاني السباعي، متهما إياه بالتخابر لصالح الحكومة البريطانية والإيقاع بعدد من المجاهدين، والسبب في مهاجمة السباعي أنه أصدر بيانا على موقع المركز «بيان مركز المقريزي بشأن المحضار» رد فيه حول استفسار ورده بشأن حقيقة تزكيته لمنتدى «مداد السيوف» والمشرف عليه «أبو الحارث المحضار»، فرفض السباعي تزكية المحضار، قائلا : «كيف أزكي من يتطاول على بعض مشايخ أهل السنة الأخيار، خاصة غمز المحضار مؤخرًا ولمزه وطعنه وتجريحه في فضيلة الشيخ أبي محمد المقدسي».

أشعلت تصريحات السباعي عددًا من الردود من قبل القائمين على منتدى «مداد السيوف»، كان أهمها رد مدير المنتدى «المحضار»، واسمه وليد المحضار الشاذلي الحسني الشريف، «وهو مصري درس في الأزهر وديوبند في باكستان وجامعة أم القرى في مكة المكرمة، ثم انتقل إلى لندن، ويبدو أنه في بداية الأمر كان يبحث عن موقع بين «شيوخ لندن» لكن أمله خاب فانقلب عليهم مهاجمًا إياهم، طبقا لما ذكره سعود السرحان الباحث بمعهد الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة إكستر البريطانية.

ويشير السرحان في تصريحات أدلى بها لموقع «العربية.نت» إلى أن المحضار أسس منتدى «مداد السيوف» وجعل منه طريقاً للهجوم على أبو بصير الطرطوسي القائد الحالي لتنظيم القاعدة في اليمن وجزيرة العرب، ويذكر السرحان أن المحضار اتصل بمحمد خليل الحكايمة القيادي الجهادي المصري المنشق، وأسس له موقع «الثابتون على العهد»، وزعم المحضار

أن الحكايمة زعيم «تنظيم قاعدة الجهاد في أرض الكنانة»، وهو تنظيم إنترنتي لا يتجاوز موقعي «الثابتون على العهد» و«مداد السيوف».

وقد قوبلت حملة مداد السيوف على الزرقاوي والمقدسي والسباعي بالرفض والاستنكار من قبل طائفة كبيرة من المنتديات الجهادية والتي هاجمت مداد السيوف وحذرته بقية المنتديات من خطورته متهمة إياه بأنه يدار من قبل أجهزة المخابرات الغربية لتشويه قيادات الجهاد ورموزه وحرقها عن طريق إشعال الصراعات وتقديم معلومات جديدة يمكن أن تميط اللثام عن وجه آخر للجهاديين يختلف عن الصورة الإيجابية الموجودة في أذهان أتباعهم.

المتابع لبيانات وإصدارات تنظيم القاعدة وفروعه المنتشرة في دول عدة يجد نفسه أمام سيل مستمر من البيانات والرسائل والمواد المصورة التي تنتجها مؤسسة السحاب، الذراع الإعلامية لتنظيم القاعدة، ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن يتعلق بالكيفية التي تنشر بها القاعدة بياناتها في المنتديات الجهادية، وبأي طريقة تصل إلى جمهور الشبكة مترامية الأطراف، والإجابة تكمن في السرية التي تفرضها القاعدة على المعلومات خشية الاختراقات الأمنية، فالشريط يخرج في سرية تامة من أفغانستان عن طريق عضو في مؤسسة السحاب ثم يتم رفعه في بلد لا سيطرة للأمريكان فيه كإيران أو باكستان في منطقة القبائل، ثم يتم إرسال رابط الشريط عند طريق البريد الإلكتروني لشخص معين يقوم برفع الشريط مع عدد من أعضاء كتيبة الإعلام الجهادي في مواقع عديدة، ثم يعطي ملفًا فيه الروابط لشخص يطلق عليه «مركز الفجر الإعلامي»، والفجر هو الاسم القديم لشبكة «الحسبة»، ومن الفجر إلى الحسبة إلى باقي المنتديات الجهادية، كما يقول أبو الحارث المحضار على موقع «مداد السيوف».

والمواد الإعلامية التي يتم بثها تحمل رمز مؤسسة «السحاب»، وهي بذلك معتمدة سواءً ثم بثها عن طريق الحسبة أو شبكة المجاهدين أو الفلوجة أو

غيرها من المنتديات، الهدف في نهاية المطاف هو النشر والوصول لأكبر عدد من الجمهور، وهو ما تسعى إليه القاعدة، فمسئولو الإعلام فيها يتبعون أسلوبًا ناجحًا في نشر المواد وتوزيعها، وإلى عهد قريب كانوا ينشرون في قناة «الجزيرة»، فالمواد بالنسبة لهم مجرد مادة يريدون نشرها، سواء كان النشر عن طريق الحسبة أو الجزيرة، وقد نشرت لابن لادن كلمة في قناة mbc منذ سنوات.

في حال إذا ما تعرضت أي من المنتديات الجهادية للإغلاق أو القرصنة؛ فإن إعلام القاعدة لن يتوقف، فما إن يغلق منتدى حتى يتم الإعلان عن آخر، فهي سلسلة من المنتديات الممتدة والمستمرة والتي إذا سقطت حلقة منها، فإن هناك عشرات الحلقات في إمكانها إكمال دائرة النشر الجهادي، والمنتديات بشكل عام بالنسبة للقاعدة مجرد نافذة يتم نشر المواد فيها وفقط، وبرغم أنها تكون مغلقة أمام الكثيرين، فإن القائمين على الإعلام في مؤسسة السحاب يضطرون لقبول الأمر الواقع والنشر من خلالها بجانب طرق النشر الأخرى.

فهناك العديد من الآليات التي نشطت في الآونة الأخيرة وبشكل فاعل، من بينها المجموعات البريدية مثل مجموعة «الأنصار» البريدية ومجموعة الشيخ زهير بن حسن حميدات وغيرها، وهي مجموعات نشطة قد يفوق دورها أحيانا دور المنتديات، فضلا عن المدونات الجهادية والتي تكون وسائل بديلة في حال تعطلت المنتديات أو تعرضت للقرصنة أو تم اعتقال أصحابها.

يحقق النشر عبر المنتديات الجهادية العديد من الفوائد لتنظيم القاعدة من بينها التأثر الواسع للجمهور برسالة القاعدة وأفكارها وتبني مواقفها في النهاية، بجانب الحضور المتزايد لقادة القاعدة في وسائل الإعلام والتحليلات والتقارير الإخبارية، وحرص هذه القنوات على التحليل والتناول المستمر

لبيانات القاعدة، إضافة إلى أن التزايد المستمر لزوار المواقع الجهادية ومتصفحوها، وكثرة الردود والرسائل التي تصل على المواقع الرسمية تعطي مؤشرات على مدى تقبل هذه الأفكار والاستجابة لها.[4]

إن تنامي شبكة الإنترنت في العالمين العربي والإسلامي مكّن تنظيم القاعدة من الانتشار والتجنيد ؛ إذ وفرت الشبكة إمكانات هائلة للنمو والانتشار وعولمة الجهاد، فقد كشفت العمليات الثلاث لتنظيم القاعدة المشار إليها في المقدمة عن طبيعة التحولات العميقة في بناء التنظيم ومدى جاذبيته الأيديولوجية والخطابية، وقدرته على إيجاد نماذج مبتكرة وخلاّقة قادرة على التجدد والتخفي وابتداع طرائق وممارسات هجومية فائقة الدقة والقوة ؛ إذ تواجه الأجهزة الاستخبارية العالمية في إطار حربها على ما يسمى «الإرهاب» تحديًا ما بعد حداثي غير مسبوق، فقد اعتادت الأجهزة الأمنية على التعامل مع عدو ظاهر واضح المعالم، وتنظيمات تتوافر على هيكل تنظيمي محددة، وقيادات ورموز واقعية معروفة في أماكن جغرافية محددة، إلا أن النموذج الجديد الذي أصبح إرشاديًا لا يقوم على الجماعات المنظمة في العالم الواقعي وإنما على الأفراد في العالم الافتراضي.

ولعل أحد أهم التطورات التي فرضتها العولمة في العصر الرقمي على تنظيم القاعدة ترسيخ نماذج جديدة من الجهاد والجهاديين، كالجهاد الفردي، وتتميز ظاهرة «الجهاد الفردي» (محمد خليل الحكايمة : الجهاد الفردي والخلية الفردية. مرجع) بأنها لا تخضع للتنميط، وأعضاؤها ينحدرون من خلفيات اجتماعية متنوعة غير مهمشة اقتصاديًا إلا أنها تشعر بالتهميش الاجتماعي والثقافي، ولا تتوافر لدى الأجهزة الاستخبارية قاعدة معلومات خاصة بها، فأعضاؤها خاملون في المجال الاجتماعي الواقعي وناشطون

[4] المنتديات الجهادية .. نافذة «القاعدة» وأنصارها عبر الفضاء الإلكتروني، السيد زايد، موقع إسلام أون لاين.نت.

في العالم الافتراضي، ويتوافرون على قدرات علمية وتقنية عالية في مجال الاتصالات؛ فالجيل الثالث من جهاديي القاعدة ينتمون إلى خلفيات متنوعة بدون قيادات فعلية، ويتعاملون مع قيادات رمزية على شبكة الإنترنت لا أحد يعرف هويتها الواقعية الحقيقية، ويشهد العالم الافتراضي ظهور موجات من القيادات الافتراضية ؛ فقد اشتُهر من الموجة الأولى من الجهاديين الافتراضيين التي ظهرت عام 2002 م أبو بكر الناجي، وأبو عبيدة القرشي، ولويس عطية، ومن الموجة الثانية التي ظهرت عام 2006 م حسين بن محمود وعطية الله، ومن الموجة الثالثة التي ظهرت عام 2009 م عبد الرحمن الفقير ويمان مخضب وأسد الجهاد، وكان أبو دجانة الخرساني همام البلوي مرشحًا للدخول في هذه الحلقة.[5]

وتعتبر النقلة النوعية الأبرز في الاستراتيجية العسكرية والإعلامية لتنظيم القاعدة، لما أصبح أبو مصعب الزرقاوي المسؤول الأول على فرع التنظيم في العراق.

الزرقاوي جعل العالم كله يتسمّر مذعورا أمام شاشات التلفاز في العشرين من شهر ماي من سنة 2004، مجموعة من الرجال الملثمين أجلست أمامها رجلا ذا ملامح غبية ويرتدي بزّة حمراء كتلك التي يرتديها سجناء معتقل غوانتانامو، ردّا على الانتهاكات بحق نزلاء سجن أبو غريب بالعراق.

هذا المشهد يبدو أنه أُعدّ بعناية فائقة ليحمل دلالات كثيرة، جلس الزرقاوي في الوسط (كان ملثما ولكن عددا من أصدقاءه القدامى رجّحوا أن يكون هو الفاعل مميّزينه عن البقية بصوته المألوف لديهم) محاطا بعدة رجال مرتدين كوفيات مختلفة الألوان تمثل المجتمع العربي كافّة.

[5] JARRET BRACHMAN | JANUARY 22، 2010

فالحمراء تمثل الأردنيين والبيضاء الخليجيين والسوداء العراقيين والفلسطينيين للاشارة على أن تنظيم القاعدة يضم مقاتلين من عدة بلدان عربيّة.

بعد أن تلى الزرقاوي بيانا يتوعد فيه الأمريكيين وحلفاءهم بمزيد من القتلى ومحرّضا على مواصلة الجهاد بحقهم، قام بنفسه بقطع رأس الصحفي الأمريكي نيكولاس بيرغ.

سياسة حد السيف واصلها الزرقاوي بقطع رأس أمريكي آخر وبلغاري وكوري.

هذه السياسة المرعبة باتت المميزة لتنظيم القاعدة وقامت تنظيمات جهادية عراقية أخرى باستنساخ التجربة.

وبذلك مرّت المنهجية الإعلامية لتنظيم القاعدة من اللعب على خطاب المظلومية من خلال نقل صور لأطفال فلسطينيين قُتلوا إثر انتهاكات للجيش الاسرائيلي (في الإصدار الأول لمؤسسة السحاب الإعلامية مثلا) ونقل خطابات قادته (بن لادن، الظواهري، أبو يحيى الليبي...) وتوثيق العمليات العسكرية ضد الجيش الأمريكي، إلى تصوير الموت.

هذا النهج الإعلامي المتوحش تزامن من نهج عسكري أكثر توحشا، فشن الزرقاوي وجماعته هجومات دموية استهدفت المراقد الدينية والأسواق والتجمعات السكانية.

ووثّق الجهاز الإعلامي للقاعدة في العراق عدة عمليات قتل بعدة أساليب (بالذبح وبالرصاص...) لعدة رهائن أجانب.

هذا التصوير للقتل أصبح سمة أساسية لإعلام تنظيم الدولة الإسلامية ولكن بأكثر حرفية وبسينمائية عالية الجودة.

في كتابه المهم «القاعدة بالصور» (سنة 2013)، عرض «عبد العظيم حسن الدفراوي» تحليلا مفصّلا للانتاج السمعي البصري للقاعدة بداية من سنة 2005.

من خلال العودة للصور والإصدارات الصوتية والمرئية، أصبحت الآلة الدعائية لتنظيم القاعدة مرتكزة على العنف (مشهدا وخطابا)، مظاهر الدمار، التفجيرات الدموية، الإعدامات العلنيّة...

وكلّ ما يضفي على المادة الإعلامية مزيدا من الجانب الفرجوي.

هنا، لم يقم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في بداياته، إلا باستسناخ وتكثيف الانتاج للاعلامي لتنظيم القاعدة ولكن بطرق تقنية أكثر تطورا وخصوصا بأكثر سرعة وانتشار.

تنظيم البغدادي انتقل من الصورة الفرجوية إلى الصورة السينمائية، فقد جمع بشكل أكثر منهجية بين حركتي « القتل» و«التصوير».

هذه الصناعة السينمائية للموت هي التي صنعت ربيع الدولة الإسلامية، فبتنا نتحدث عن أفلام عالية الجودة ولا عن مجرّد عروض.

سينما التنظيم تمزج بين دموية سينما الرعب وحركيّة سينما الحركة، سينما حقيقية يُقتل فيها الممثلون صدقا ولا تمويها !!

سنحاول خلال المبحث القادم، الغوص أكثر في الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية بالمقارنة مع ما سبقه من تجارب عديدة ومتنوعة للاعلام الجهادي.

أبو مصعب الزرقاوي (في الوسط) أثناء أول عملية ذبح نقلت على الشاشة، للصحفي الأمريكي نيكولاس برغ

المبحث الرابع :
مرحلة تنظيم الدولة وإعلام التوحش

« كان الرسول (محمّد) يهتمّ بهذا النوع من الجهاد (الإعلام) فيأمر شعراء المسلمين كحسّان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك بأن يهجوا خصومه من الكفّار، كما جاء عند مسلم من حديث عائشة أنّه قال : اهجوا قريشا فإنّه أشدّ عليها من رشق بالنبل. هذا إذا كان الإعلام صادقا، والقائمون عليه مخلصون لدينهم وأمّتهم.»[1]

الصورة التي ينتجها تنظيم الدولة الإسلامية هي هوليوودية بامتياز، فهل هي نتيجة للتراكمات التي مرّ بها «الإعلام الجهادي» بداية من مرحلة «الجهاد الأفغاني» في أفغانستان أم أنّها تجربة فريدة من نوعها ومختلفة تماما عمّا سبقها من تجارب اعتبار إلى أنّها وليدة هذا العصر المعولم؟

في حقيقة الأمر، نرى أنّ التجربة الإعلامية لهذا التنظيم الجهادي هي تجربة نوعية حديثة ومتطورة كثيرا عمّا ساد سابقا وحتى حاضرا (عند الحركات الجهادية المنافسة).

من الواضح أن هناك قطيعة على مستوى استعمال التكنولوجيا وعلى مستوى عرض المادة الإعلامية.

فالجهاز الإعلامي للتنظيم أو كما يسمى بديوان الإعلام المركزي ينتج مواد إعلامية مرتبة ومنسقة وعالية الجودة.

فنجد مثلا مجلات مثل «دابق» (سابقا) و«رومية» حاليا، صدرت وتصدر بعدة لغات أجنبية مما يضفي الطابع العالمي لنشاط التنظيم، هذا إضافة إلى

[1] الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي من كتاب " صهيل الجياد في شرح كتاب الجهاد ".

الإخراج الفني المتميز. كذلك على مستوى المحتوى والفريق التحريري وهو ما يعكس وجود جهاز تحريري إداري منظم ويشتغل في ظروف جيّدة. فرغم الظروف الميدانية الصعبة على المستوى العسكري (معارك ضارية واعتقالات في صفوف عناصر التنظيم) فإنّ النشاط الإعلامي للتنظيم حافظ على نسقه المعتاد (بل ارتفعت وتيرته بشكل ملحوظ مؤخرا) على المستوى الكمّي وأيضا على مستوى الجودة.

ممّا يؤكد استقطاب التنظيم لعدة كفاء ات من محررين وتقنيين صورة وصوت وممنتجين...من دول غربية وعربية وإسلامية إضافة إلى الفريق المتواجد (من بقايا القاعدة)، مؤسسة الفرقان للانتاج الإعلامي مثلا وهي التي كانت تابعة لفرع القاعدة في العراق وورثها تنظيم الدولة فيما بعد، إضافة إلى عدة منتديات جهادية وحسابات على وسائل التواصل الاجتماعي.

الأمر هنا لا يتعلّق فقط بوجود استيديوهات للتصوير والانتاج الفني للمواد الإعلامية بل بوجود شبكات هامة من التقنيين والفنيين، أين يوجد هؤلاء ؟ هذا سؤال محيّر فعلا...

يقول الأستاذ نور الدين الميلادي أستاذ الإعلام والاتصال بجامعة قطر : «أثناء بحث أجريته على شبكة الانترنت وجدت قرابة 2.3 مليون فيديو موقّع بإسم وحوالي 121 ألف فيديو يحمل إسم تنظيم الدولة الإسلامية. إضافة إلى آلالاف الفيديوهات الأرشيفية تحت إسم تنظيم الدولة في العراق، تنظيم الدولة في سوريا، تنظيم الدولة في خراسان .. أكاد أجزم أن هناك شبكة كبيرة متكونة من آلالاف الخبراء تقف وراء هذا الجهد الإعلامي الضخم (قدّره بعض الخبراء بحوالي 64 ألف شخص).[2]

[2] قناة الجزيرة، برنامج الواقع العربي، حلقة «مسارات الإعلام الجهادي وتأثيراته

من خلال تحليل التجربة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية نستنتج أن إعلام هذا التنظيم يرتكز على ركيزتان أساسيتان : «التوحش» على مستوى دموية الصورة وتكثيف مشاهد القتل بصور بشعة (ذبح، حرق، رمي من أماكن عالية، تنكيل بالجثث، قطع الرؤوس...) و«التقنية العالية الجودة» على مستوى جماليّة الصورة وتوظيف أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا.

هذا ما جعل إعلام التنظيم منظمّا ويخضع لعمل استراتيجي واضح على مستوى المحتوى (الرسائل الموجهة لخصوم التنظيم وأنصاره على حد السواء) والأدوات التقنية المستخدمة بحيث تكون مواكبة للتطور التكنولوجي وتصل لأكبر عدد ممكن من سكان العالم وخاصة الشباب منهم.

الشباب الذين يمثلون قرابة 90% من تركيبة التنظيم بقادته وقواعده وأنصاره ومتعاطفيه، هم أبناء هذه التقنية المعولمة وهم الذين قضوا مدة هامة من مراهقتهم في ممارسة ألعاب الفيديو (التي يتسم بعضها بارتفاع منسوب العنف) ثم في اكتشاف الوسائل الاتصالية الحديثة من هواتف جوالة واجهزة الارتباط بالانترنت..

هؤلاء يمثلون تيّارا «ما بعد جهادي» مختلف تماما عن الأجيال الأولى والثانية للحراك الجهادي.

الفصل الرابع :
الاستراتيجيا الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية

المبحث الأوّل :
الأهداف والوسائل

تنظيم القاعدة و بصفته من أبرز التجليّات التنظيميات للحركات الجهادية العالمية، انتقل أداءه الإعلامي من مرحلة إلى أخرى حسب الإمكانيات المتوفرة. فمن استخدام الكتيبات المطبوعة وأشرطة الفيديو (التي بثت قناة الجزيرة القطرية قسما هامّا منها) إلى إصدارات مرئية تُنقل عبر الشبكة العنكبوتية و تصل إلى أكبر عدد من الناس في وقت سريع.

مع استقطاب عدد من الفنيين والمختصين في مجال الصورة والاخراج والدعاية الالكترونية، تأسست كيانات تتولى المهمة الإعلامية انتاجا وتوزيعا.

غير أنّ ما ميّز التجربة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية، الصبغة المؤسساتية التي تجلّت في انشاء مؤسسات إعلامية ذات مهام واختصاصات واضحة وتنضوي جميعها في إدارة مركزية تسمّى بديوان الإعلام المركزي.

وهو بمثابة وزارة لإدارة شؤون الإعلام والاتصالات.

بدايات هذا التمايز (وكما ذكرنا سابقا) تعود إلى مرحلة الزرقاوي في العراق أثناء تزعّمه لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، الزرقاوي حرص على الاختلاف على المستويين الهيكلي والخطابي عن التنظيم الأمّ.

وهو ما انعكس بشكل جليّ على الأداء الإعلامي حيث أصدر القسم الإعلامي عدة مواد صوتية ومرئية بثّت على شبكة الانترنت وتنافست المنابر الإعلامية على نقلها.

ولعلّ ما يجمع بين مختلف المواد المنتجة، إبراز العنف سواء على مستوى الخطاب أو الصورة، الصورة خصوصا صدّرت لمنسوب قياسي من

الدمويّة حيث بات مشهد ذبح الرهائن مألوفا لدى المتابعين لنشاطات تنظيم الزرقاوي في فترة الاحتلال الأمريكي للعراق.

الزرقاوي نفسه كانت جلّ خطاباته تزخر بحمولة عنفيّة كبيرة، وهو الأمر الذي ورثه تنظيم الدولة الإسلامية في مراحل لاحقة.

هذا التنظيم وظّف الصورة في صناعة الخوف في جميع مكوّناتها : رمز التوحش والجسد الإنساني والزي والألوان واللقطة الاحترافية...

دلالة الخوف تقوم أساسا على «صناعة المقدّس» أي بمعنى المجال الذي لا يجوز الاقتراب منه وذلك من خلال خطاب دعائي مرتكز على العنف بعدة أشكال : العنف المباشر واللفظي والرمزي...

كل هذه التفاصيل المتعلّقة بعنف الخطاب والصورة سنتناولها لاحقا بالتحليل وذلك من خلال نماذج مختارة من الإصدارات المرئية والمسموعة والمقروءة.

قلنا أن فترة إمارة الزرقاوي شهدت اهتماما كبيرا بالدور الإعلامي، في الحقيقة لم يكن هذا الإهتمام شيئا جديدا أو استثنائيا في تاريخ الحركات الجهادية أو الإسلامية الحركية عموما، لكنّ الشيء المغاير يتمثل في إعادة تشكيل الصورة الدعائية من صورة مرتكزة على خطابات قيادات تنظيم القاعدة (بن لادن والظواهري أساسا) إلى صورة أكثر ديناميكية وتعنى بإدعاء القوة في أقصى تمثلاتها.

هذا لأنّ نهج الزرقاوي ورفاقه له هدف ما بعد تنظيمي، يتجاوز شكل التنظيم ليؤسس للدولة الإسلامية المنشودة.

وهو ما تحقق في مرحلة أولى سنة 2006 عبر تأسيس «دولة العراق الإسلامية» ثم في مرحلة أكثر تمكينا بتأسيس «دولة الخلافة الإسلامية» سنة 2014 بقيادة أبو بكر البغدادي (وهو الذي كان ضمن قيادات دولة العراق الإسلامية عند تأسيسها).

قيام هذه الدولة أحدث نقلة نوعية أخرى في الاستراتيجية الإعلامية فقد مررنا من مرحلة «إعلام التنظيم» إلى مرحلة «إعلام الدولة».

الدولة الفتية التي تواجه عدة خصوم دوليين و محليين، لا بد لها من جهاز إعلامي قوي يمثل لها دعامة في وجه الدعاية الإعلامية المضادة.

تطورت التكنولوجيا وبذلك توفرت أدوات جديدة وكثيرة تتيح الوصول إلى كل المستهدفين في العالم، لذا تعيّن أن تكون هناك استراتيجية تقوم على إدارة ذلك ، ليس لجهة التنفيذ فحسب، بل وضع المحتوى والخطط، وربطها بخطط التنظيم على كافة الصعد.

هذه الاستراتيجية سنحاول تفكيكها خلال هذا الفصل منذ بدايات تأسيس تنظيم الدولة إلى إعلان الخلافة ثم ما بعد الخلافة، وذلك عبر الوقوف بالتفصيل عند مختلف المؤسسات التي تعمل في إطارها والوسائل التي توظفها وما حققته من تطور ملحوظ كمّا وكيفا.

من خلال قراءة محتوى مواد التنظيم الدعائية منذ تأسيسه ، يمكن الاستنتاج أنّ جهاز «الإعلام الجهادي» أر اد تحقيق عدة أهداف منها المرحلية المتعلّقة بوضعه الميداني ومنها البعيدة المدى التي لها بعد استشرافي لمستقبل التنظيم والحراك الجهادي عموما.

من أهم هذه الأهداف، إنتاج مادة إعلاميّة فيها من القوّة ما يشرعن لوجود «دولة» أمام منافسيها من الحركات الجهادية الأخرى وخصومها المحليين والدوليين وكذلك أمام شعوب المنطقة وشعوب العالم عموما.

هذا سيسهّل على التنظيم استقطاب المقاتلين والمختصين في عدة مجالات حيوية خاصة مع ارتفاع نسق المعارك وتعدد أطرها الميدانية.

وثمة هدف يتعلق بالدفاع عن صورة التنظيم ودرء الشبهات والاتهامات التي يوجهها إليه مناوؤه، هنا نسوق مثالا دارجا وهو رمي عناصر تنظيم الدولة

بأنّهم يسيرون على منهج الخوارج (اعتبارا للنهج التكفيري المبالغ فيه كما يرى خصومهم من المنتسبين للتيارات السلفية التقليدية أو بقية المذاهب الإسلامية أو حتى منافسوهم من الحركات الجهادية الأخرى كهيئة تحرير الشام مثلا).

في هذا الإطار نشر تنظيم الدولة الإسلامية كتيّبا من أحد أبرز منظرّيه الشرعيين «أبو همام الأثري»، يحمل عنوان «تبصير المحاجج بالفرق بين رجال الدولة الإسلامية والخوارج : دراسة شرعية وواقعية مختصرة» ومن إنتاج مؤسسة « الغرباء» للإنتاج الإعلامي.

في المؤلف يحاول الأثري تبيان الفرق بين «جنود الدولة الإسلامية» وفرقة الخوارج وذلك من خلال أدلّة «شرعية»، لا سيما وأن الأثري و هو الشاب البحريني الثلاثيني «تركي البنعلي»، هو القاضي الشرعي للتنظيم وكان يلقي دروسا تبث صوتيا على إذاعة البيان أحد الأذرع الإعلامية للتنظيم.

البنعلي يمثل مع «الشنقيطي» و«الأزدي» أحد الأذرع الثلاثة للمثلث الشرعي لتنظيم البغدادي.

ولأن تنظيم الدولة كان يسوّق لنفسه بصفته «الدولة» ولا بصفته «التنظيم»، سعى القائمون على إدارة الإعلام أن تكون الدعاية الترويجية في صورة وصيغة دعاية كيان.

إلى جانب هذا، نجد التسخير الإعلامي من أجل شن حرب نفسية على خصومه، حرب نفسية جوهرها بث الرعب في صفوف كلّ من يعادي التنظيم محليا أو دوليا.

مثل الإصدار المرئي الذي أنتجته مؤسسة «العبد الفقير» للإنتاج الإعلامي (وهي مؤسسة إعلامية غير رسمية ولكنّها مناصرة للتنظيم ونشطت كثيرا في سنة 2018 وتميزت موادها الإعلامية بجودة تقنية عاليه جدا) في شكل عدة حلقات ويحمل عنوان «ونراه قريبا : فتح واشنطن» باللغتين العربية والانجليزية.

هذه الفانتازيا ظهرت في شكل فيلم وهمي مستقبلي يصوّر عملية «فتح واشنطن» موظفا أحد تقنيات الجرافيك ومنزّلا للقطات من الفيلم الأمريكي «سقوط البيت الأبيض».

كذلك أنتج التنظيم عدة إصدارات بلغات مختلفة في شكل رسائل تهديد موجهة لقادة الدول المحاربة للتنظيم ومحذرة إياهم من شن عمليات واسعة النطاق في عقر ديارهم.

هذا ما نجح فيه التنظيم نسبيا فحتى مجرد تهديدات غير واقعية أدت إلى صناعة مناخ من الرهبة في صفوف عدة دول غربية.

في هذا الصدد الكاتب والسيناريست الفرنسي جون لويس كومولي في كتابه «داعش، السينما والموت» : «منذ الأحداث الإرهابية التي شهدتها باريس، الحياة متواصلة لكن مناخ الرهبة لا يزال محيطا بنا، رعب من نوع آخر تخضع لعبته لهامش الحظّ، لا ندري متى نفاجؤ بعملية من ذلك النوع الدموي.

هو رعب قاتل حتى دون أن يكون هناك قتل فعلا. فالمجزرة التي حدثت ليست مرتبطة بهويّة المنفذين ولا المتضررين، فأي واحد منا بإمكانه أن يكون متواجدا في مكان وزمان عملية ارهابية ما...»

كل هذه الأهداف وغيرها، سخّر لها التنظيم الأخطر في العالم إدارة للجهاز الإعلامي وتكوين مضمون دعائي يساعد على ذلك و باحترافية عالية في إنتاجه و توجيهه.

على المستوى الهيكلي، تطوّر الجهاز الإعلامي للتنظيم مع تطور بنيته الهيكلية حتى أصبح أحد أجهزته الرئيسية إلى جانب الجهاز الشرعي والعسكري والأمني...

جهاز إعلامي سميّ مع تأسيس الدولة الإسلامية سنة 2014، بديوان الإعلام المركزي.

وله مسؤول أعلى يشرف عليه ويعينه مساعدون وفق هيكل هرمي كما هي البنية التنظيمية للتنظيم والدولة بعد ذلك.

البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية حسب موقع الجزيرة للدراسات

هيكلة التنظيم نشرتها مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي
(أحد أهم أذرعه الإعلامية)

مع الانتصارات الميدانية التي حققها التنظيم، أصبحت له «ولايات» يسيطر عليها بطريقة كاملة أو جزئية.

بذلك تم إنشاء مكاتب إعلامية للولايات ترتبط ببعضها البعض في إطار شبكي منسّق، وكان عملها ينضوي تحت الجهاز الإعلامي المركزي تحقيقا للأهداف الموضوعة.

كذلك شهدنا ولادة مؤسسات إعلامية عديدة منها الرسمي ومنها ما لا يوجد ما يفيد رسميّتها لكن الملفت للانتباه أنّها جميعا ملتزمة بالخط الإعلامي المركزي للتنظيم وللدولة.

من خلال تنوع المواد الإعلامية المنتجة، نستخلص تنوعا على مستوى الزاد البشري لـ «جنود الإعلام» نظرا للنشاط الدائم للقسم المهتم بالاستقطاب والموارد البشرية.

هؤلاء ليس بالضرورة أن تكون بينهم روابط علائقية مباشرة وإلا لضعف وتراجع الأداء الإعلامي لتنظيم البغدادي بسبب الخسائر البشرية للمعارك أو الإعتقالات أو حتى الانشقاقات.

«نخبة الإعلام الجهادي» كما يسمّونهم وعلى اختلاف مشاربهم فإنهم من أصحاب المواهب والتخصص والخبرة في صناعة الصورة والمرئيات الدعائية والجرافيك والمونتاج والتصوير السينمائي وهندسة البرمجيات والمؤثرات الصوتية والمرئية والمزج بين الصورة والصوت..

إضافة إلى المختصين في التسويق على وسائل التواصل الاجتماعي (فايسبوك، تويتر، تيلغرام...) عبر نشر المواد أو الاختراق و القرصنة وإدارة الحرب الالكترونية المضادة.

يشار أيضا إلى نقطة هامة بخصوص الاستقطاب أو ما يسمّى بالهجرة (أسوة بهجرة النبيّ محمد من مكّة إلى يثرب)، فالناشؤون والمقيمون في

دول غربية يختلفون في تكوينهم وخطابهم عن الآتين من دول عربية وإسلامية.

فالجمهور الغربي المخَاطَب يختلف في طرق جذبه عن الجمهور العربي وهذا الأمر يتطلب وجود عناصر من شتى أصقاع العالم.

إضافة إلى الفنيين والتقنيين تمكّن التنظيم من توظيف أدوات تكنولوجية هي الأحدث حاليا وهو ما يتجلّى في الجودة العالية لاصدارات التنظيم، ساعده في ذلك تمكّن التنظيم من حصد أموال طائلة أثناء سيطرته على عدة مدن حيوية و استراتيجية.

أما فيما يتعلق بالجانب المضموني للخطاب الإعلامي للتنظيم، للدولة الإسلامية فريق من المحررين من تكوينات مختلفة يسهر على إدارة محتوى الإصدارات.

إصدارات منها ما ركّز على الجانب الدعائي المرتبط بالعنف والتوحّش ومنها ما بيّن أن الحياة داخل ربوع الدولة الإسلامية ليست قائمة على المعارك فقط بل أنّهم نجحوا في تسيير شؤون الناس بطريقة عادلة وحرفيّة، ومنها ما قام على الدين وسردياته ورموزه...

وكثيرا ما جاء المضمون مزيجا بين كل ذلك.

خلال المبحث القادم سنحاول التعرّف على المؤسسات الإعلامية الرسميّة للتنظيم وأبرز إصداراتها.

لكن قبل هذا، سنتبيّن بعض الحقائق حول هيكلة الجهاز الإعلامي لتنظيم الدولة ليس من خلال التحليلات المختلفة بل من خلال وثائق رسميّة سريّة مسرّبة داخليا.

سنعرض بعضا منها قصد مزيد الايضاح والشرح.

للإشارة، تحصّلنا على هذه الوثائق من خلال المركز الأمريكي لمكافحة الإرهاب.

أمام ظهور عدة حسابات ومواقع لمؤسسات و شبكات إعلامية غير رسميّة قصد فكّ الضغط عن كل ما يرتبط بصفة رسمية بالجهاز الإعلامي المركزي للتنظيم، حدثت أحيانا بعض التجاوزات في ما يخص الخط التحريري والخطابي.

هذه التجاوزات من شأنها أن تبث الريبة في صفوف مناصري هذا النوع من التنظيمات الجهادية سيما وأن الحديث عن خطر الاختراق أمر شائع وكثيرا من نبهت منه قيادات هذه الجماعات.

لذلك فقد صدر للجهاز الإعلامي الرسمي بيان داخلي للمسمّين بالمجاهدين الإعلاميين يأمرهم بالرجوع للمشرفين على الهيكل المركزي قصد تفادي أي تجاوزات ممكنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

توضيح حول إعلام الدولة الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نسأل الله أن تكونوا بصحة وعافية وأحسن حال

نود أن نوضح لكم جزئاً من سياسية النشر لإعلام الدولة الإسلامية لتكونوا على بينة وليلتزم جميع الإخوة الإعلاميين بها:

أيها المجاهد الإعلامي إن ديوان الإعلام المركزي في دولة الخلافة المركزي لدولة الخلافة، يشرف على جميع المكاتب الإعلامية من إندونيسيا شرقاً إلى إفريقيا غرباً، وكذلك يشرف على إعلام جميع الكتائب والجماعات التي بايعت الخليفة سواء أعلنت مناطق تلك الجماعات ولاية أو لم تعلن إلى الآن، حيث ينصهر اسمها الذي كان متداول والمعروفة به، ليصبح إعلامياً جند الخلافة أو جنود الخلافة، مثال جند الخلافة في الصومال، جند الخلافة بالفلبين، ونحوه..

وللإعلام المركزي مؤسسات رسمية تنقل ما يحصل داخل سلطان الخلافة من أمور عسكرية شرعية خدمية الخ....، كمؤسسة الفرقان، ومركز الحياة للإعلام، الاعتصام، ومركز الفرات

ولديها جريدة رسمية وهي النبأ، ووكالة أنباء وهي أعماق، وإذاعة راديو البيان، وتبث داخل الولايات وعلى شبكة الإنترنت.

ويسعى الإعلام المركزي إلى توحيد لغة الخطاب بمراقبة الإنتاج والإشراف عليه ومراجعته قبل نشره سواء خبر أو صورة أو فيديو أو إصدار أو كلمة صوتية الخ....

وهذه المؤسسات لديها منابر معينة ومنصات تنشر عليها من بينها قناة ناشر وموقع ناشر وقناة مركز الفرات وقنوات وحسابات ومواقع وتطبيقات مرتبطة بكل لغة ونحو...

فنوصيكم وفقكم الله، أن تلزموا الإخوة الإعلاميين بالسير وفق السياسية التي رسمها ديوان الإعلام، وعدم الاجتهاد في نشر أي مادة من داخل سلطان الخلافة دون مراجعة لجنة المتابعة الإعلامية وكذلك لابد أن نوضح لكم ما المطلوب من إعلاميي المكتب، المطلوب منهم هو التوثيق وليس النشر، توثيق الأعمال العسكرية التي يقوم به الإخوة أو الأعمال الأمنية وغيرها التي بيناها في (توجيهات وتنبيهات عامة).

وثيقة داخلية رسمية توضيحية حول المؤسسات الإعلامية لتنظيم الدولة

وفي وثيقة ثانية ، يبيّن التنظيم بصفة تفصيلية التوجهيات العامة التي يجب أن تقتدي بها المكاتب الإعلامية للولايات الرسمية التابعة للتنظيم سواء الخاضعة جزئيا أو كليّا للسيطرة الميدانية أو التي توجد بها بيئة مهيئة للوجود العسكري المنظّم.

بسم الله الرحمن الرحيم

" التوجيهات والتعميمات العامة"

تنبيه مهم: لجميع الإخوة المسؤولين عن إعلام الولايات:

ننبه إلى أن المكاتب الإعلامية الرسمية في الولايات هي منابر خاصة بالإعلام المركزي المسؤول عن النشر الخارجي، وقد خُوِّلت الولايات بإدارته نيابة عن المركز لتنشيط العمل الإعلامي، فنرجو من الإخوة الالتزام بتوجيهات الإعلام المركزي. وبعكسه سيتم سحب التخويل الممنوح للولاية.

ما هو عمل المكاتب الإعلامية للولايات؟

عمل المكتب الإعلامي للولاية يشمل عدة نواحي: أهمُّها:

- التوثيق: وذلك من خلال توثيق جميع ما يحدث في الولايات من أخبار وأحداث، ونشره من خلال الأخبار المكتوبة، والتقارير المرئية والمصورة، والصور الفردية والعاجلة، والبيانات.
- نشر الإنتاج الإعلامي الواصل من المركز مثل إصدارات (الفرقان-الاعتصام – الحياة – الفرات -أعماق) وغير ذلك من التعميمات والبيانات.

يسمح للولاية بنشر: (الخبر\الصورة\التقارير المصورة\التقارير المرئية\"البيانات").

<u>الخبر:</u>

تُلزم كل ولاية بتغطية ما يحدث فيها من أخبار، والتعاون مع الإعلام العسكري، وذلك يشمل ما يلي:

1-الأخبار العسكرية: وتشمل العمليات العسكرية الهجومية والدفاعية، وكذلك قصف الأعداء للدولة الإسلامية، وكل ما يرتبط بالعمل العسكري سواءً أكانت عمليات فردية (كالعملية الاستشهادية)، أو جماعية (كالغزوات وما شابهها).

2-الأخبار الشرعية: تكون الأخبار في الولاية حول الحسبة، والقضاء، وما يتعلق بالدعوة والمساجد، وغير ذلك من الأخبار المتعلقة بالأمور الشرعية.

وثيقة رسمية داخلية بعنوان : التوجيهات والتعميمات العامّة

وبخصوص الهيكلة الهرمية للجهاز الإعلامي نجدها مفصلة في وثيقة إعلامية داخلية.

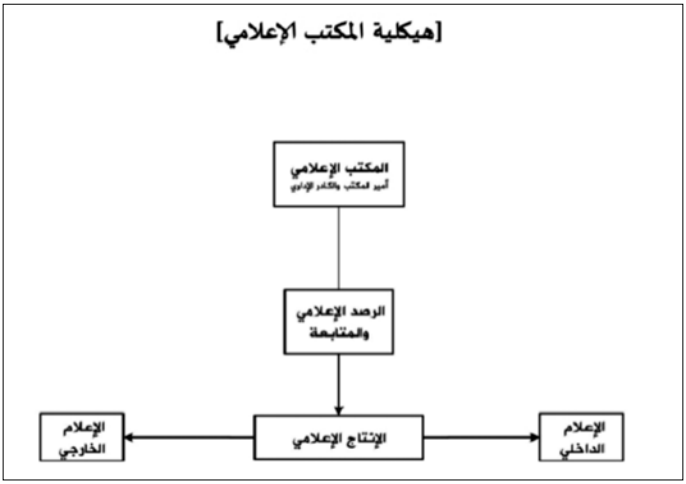

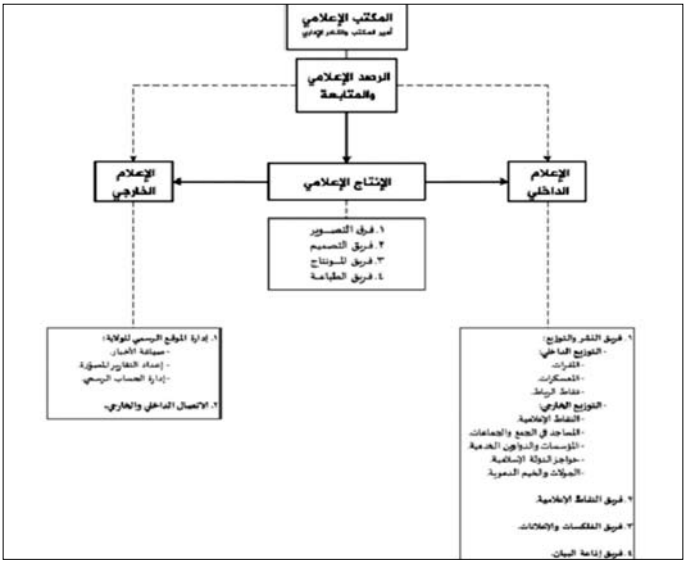

نكتفي هنا بهذا القدر من الوثائق المتعلّقة أساسا بهيكلة الجهاز الإعلامي وتحديد المؤسسات الإعلامية الرسمية للتنظيم ونعرض لاحقا وثائق أخرى متصلة بهذه المؤسسات وطرق اشتغالها ومتابعتها لفاعلية النشاط الإعلامي قصد التقييم وتحسين الجودة.

المبحث الثاني :
المؤسسات الإعلامية الرئيسية (الرسمية والمناصرة)

كل المواد الإعلامية التي ينشرها تنظيم الدولة الإسلامية (مرئية ومسموعة ومكتوبة) التي تروّج لأخباره وتمثل الواجهة الأولى لدعايته، تُوّقع غالبا بأسماء كيانات إعلامية منها ما يُعرف ارتباطها رسميا بالجهاز الإعلامي المركزي للتنظيم ومنها ما لا يوجد ما يؤكد رسميتها. هذه الأخيرة رغم عدم صفتها الرسمية فإنّها تعد من الشبكات المناصرة للتنظيم وملتزمة غالبا بالاستراتيجية الخطابية التي ترتكز عليها بروباغندا تنظيم الدولة.

بعض هذه المؤسسات فكّت العزلة والرقابة الأمنية المعلوماتية التي تمارس على التنظيم وعُرفت مؤخرا باصداراتها المرئية النوعية والفائقة الجودة حتى أنها تفوقت على المؤسسات الرسمية (سنعرض لاحقا بعض الأمثلة).

ومنها ما يقتصر دوره على النشر والترويج للمواد الإعلامية للمؤسسات الرسمية حتى تصل لعدد أكبر من المتابعين حول العالم وهذه المهمة لا تحتاج غالبا لهيكل إعلامي بقدر ما تحتاج إلى عدد كبير من الأشخاص المنتمين أو المناصرين للتنظيم.

بداية، لكي نتعرف أكثر على دور الإعلام و طبيعته، يجب التمعّن في النشاطات الإعلامية الرسمية كونها الأهم و المعبر الرسمي و الحامل لكل الأهداف والرسائل.

1. مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي :

(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) الأنفال/29

الفرقان لغويّا لا يختلف معناها عن المعاني التي وردت في القرآن، فقد جاء في أحد التفاسير اللغوية للكلمة : «التفريق بين الحق والباطل والحجة والشبهة، سواءٌ أكان بما يدركه البصر أم تدركه البصيرة»

من خلال هذا التمهيد، أردنا التبيان أن الأسماء المختارة للمؤسسات الإعلامية التابعة (كما عناوين الإصدارات) للتنظيم لا تتم بطريقة اعتباطية بل أنها تحل دلالات ورموزا ورسائل منسجمة مع جوهر الدعاية الإعلامية.

الفرقان، هي أقدم مؤسسة إعلامية مرتبطة بالتنظيم وتعود بداياتها إلى سنة 2006 مع إعلان تأسيس «دولة العراق الإسلامية».

قبل هذا كانت المواد الإعلامية لجماعة التوحيد و الجهاد ثم مجلس شورى المجاهدين (الذي ضم عدة حركات جهادية في العراق) تنشر في إطار مركز الفجر للإعلام وعبر المنتديات الجهادية المختلفة (على رأسها منتديات «الحسبة» و«الفلوجة» و«شموخ الإسلام»).

مركز الفجر كان بمثابة المظلّة التي تستقبل كل المواد المستقاة من مختلف المؤسسات الإعلامية لتنظيم القاعدة كمؤسسة السحاب للإنتاج ومؤسسة الملاحم ومؤسسة الأندلس الإعلامية وغيرها...

المركز كان المخول الوحيد لنشر المواد الإعلامية وكل مادة تنشر دون موافقة هذه «اللجنة الإعلامية» تعتبر غير رسمية ولا يتحمل التنظيم أي مسؤولية عن محتواها.

إثر بداية أفول زمن المنتديات، قرر تنظيم دولة العراق الإسلامية (الفرع العراقي لتنظيم القاعدة قبل أن يصبح لاحقا النواة الأولى والصلبة لظهور تنظيم الدولة الإسلامية) وباقتراح من «أبي حسن المهاجر» وهو محارب

عبد الله لطيف حرامي الجبوري (جهادي عراقي أنشأ «سرايا الغرباء» في العراق بعد الاحتلال الأمريكي وهو فصيل جهادي انضوى تحت راية «مجلس شورى المجاهدين»، بعدها وخلال إصدار مرئي لمؤسسة الفرقان ظهر بصفته الناطق الرسمي لدولة العراق الإسلامية معلنا نشأتها و تشكيلتها الوزارية).

الجبوري كان يضطلع بخطة الناطق الرسمي لدولة العراق الإسلامية ويدير بذلك الجهاز الإعلامي للدولة أو ما يسمّى بوزارة الإعلام بالتعاون مع الوزير «أبو محمد المشهداني».

الشيخ محارب الجبوري الإعلان عن قيام دولة العراق الإسلامية

صورة من مقطع لاصدار مرئي لمؤسسة الفرقان يظهر فيه محارب الجبوري معلنا قيام دولة العراق الإسلامية

صورة من مقطع لاصدار مرئي لمؤسسة الفرقان بعنوان : «إعلان التشكيلة الوزارية لدولة العراق الإسلامية» ويظهر فيه «أبو محمد المشهداني» بصفته وزيرا للإعلام

مؤسسة الفرقان أصدرت إثر تأسيسها عدة مواد إعلامية منها المرئية والمسموعة والمكتوبة وتعرّض مقرّها بالموصل العراقية للهجوم إثر اغتيال أبي عمر البغدادي ورفيقه أبي حمزة المهاجر سنة 2010 ثم عادت للعمل مرة أخرى.

نظرا للسرية التامة التي يعتمدها المشرفون على دولة العراق الإسلامية وخصوصا في إبقاء هويّات بعض مسؤوليها الاستراتيجية غير معلنة للعموم، ليس بالأمر الهيّن أن نتعرّف على أسماء المشرفين الميدانيين على الجهاز الإعلامي للدولة الناشئة.

مع ذلك نشرت بعض المواقع الإعلامية عدة مقالات إخبارية بخصوص قتل أو اعتقال مسؤولين إعلاميين بارزين، منها ما ورد في المركز الخبري لشبكة الإعلام العراقي عن مقتل «أمجد الهيتي» والذي اعتبر مسؤول مؤسسة الفرقان الإعلامية في مدينة الموصل.

الفرقان تعدّ أبرز مؤسسة إعلامية ورثها تنظيم الدولة الإسلامية، فهي فضلا عن أسبقيتها التاريخية تمثل التعبيرة الحقيقية والأقوى للـ «دولة» في شكلها العنيف المتوحش.

مع تطور التنظيم هيكليا وتقدمه عسكريا، تطور أداء مؤسسة الفرقان خاصة مع حوزتها لفريق كفؤ من المتخصصين في صناعة الصورة والمرئيات عالية الجودة.

بصفتها المؤسسة الكبرى التي يعتمد عليها التنظيم، تتجسد فيها كل أبعاد رسالته وأهدافه الإعلامية من ترغيب وترهيب وتجنيد وترويج وفرض وجود وذلك من خلال إصداراتها العديدة والمتنوعة.

فنجد كلمات القيادات وأفلاما وثائقية وتسجيلات مصورة... يجمع بنيها شيئين رئيسيين : وحشية الصورة وعنف الخطاب.

وتعدّ أغلب الإصدارات مثيرة للجدل وعنوانا بارزا لجوهر المعركة الإعلامية النفسية ضد خصوم الدولة الإسلامية.

ولعلّ أهم ما يميّز المرئيات التي تنتجها مؤسة الفرقان هو المستوى المتعلّق بإظهار المهارات القتالية والتطور التقني والقدرات الفنية...

في هذا الإطار نسوق مثالا معبّرا عن هذا الجانب وهو المتمثل في سلسلة أفلام «صليل الصوارم» (صليل الصوارم هو عنوان لأنشودة أو مجموعة من الأناشيد الجهادية من تأليف المنشد السعودي عبد الملك العودة في سنة 2011 وهي توّظف كثيرا في الخلفيات الصوتية لعدة إصدارات مرئية متميزة

أساسا بالجانب الدموي الموغل في التوحش) التي ظهرت بداية من سنة 2012.

للوهلة الأولى يُخيّل إلى أنك تشاهد فيلم حركي هوليوودي الإنتاج أو عملا سينمائيا من إخراج مارتن سكورسيزي أو ستيفن سبيلبرغ أو جيمس كاميرون...

غير أنّ الضحايا الذين مورست عليهم أشكال متوحشة من القتل لم يكن قتلهم خياليا بل إنهم ممثلون يموتون حقّا...

لأول مرة سنجد مشاهد مصورة جويا عبر طائرات الدرون وانفجارات بالتصوير البطيء وتصوير من على فوهة السلاح عبر أجهزة كاميرا متطورة..

كلّ هذا يمرّر مرئيا بخلفية صوتية إنشادية قائمة على أصوات حمحمة الخيل وصليل السيوف وهدير الدبابات وأصوات البنادق إضافة إلى فواصل لغوية نارية تعتمد على مفردات الحرق والتدمير والقتل.. وأخرى مؤسسة لثنائية الإسلام/الكفر.. إلى جانب إبراز صورة «المجاهد» كبطل أسطوري على شاكلة باتمان وسوبرمان، جاء ليخلص أهل الأرض من الشرور...

في هذا الصدد، جاء الجزء الرابع الأكثر أهميته، نظرا لتوقيته و قسوته حيث ظهر في شهر ماي 2014 مسجلا سيطرة التنظيم العسكرية على مدن عراقية، وكيفية سقوطها، وعرض مشاهد لعمليات قتل وتفجيرات، لذلك ترك أثرا دعائيا كبيرا، خاصة مع الترويج واسع النطاق له على المواقع والمنتديات الجهادية، في وقت كان التنظيم يدخل مرحلة الخلافة ويطور من استخدامات إعلامه في الحرب التي دخلها لتوسيع سيطرته وتمدده.

إضافة إلى النشيد، أصدر التنظيم لعبة الكترونية «جهادية» تحمل نفس الإسم، في مسعى منه لرفع معنويات «المجاهدين» وتربية الفئة الناشئة على اكتساب مهارات القتل وتكتيكات الحرب والتخفي...

اللعبة شبية باللعبة الامريكية «جراند ثافت اوتو 5» وقال عنها التنظيم في تسجيل فيديو دعائي للعبة قبل انتاجها : «ألعابكم التي تصدرونها، نحن نمارس نفس هذه الأأفعال المتواجدة في ساحات القتال.» (في رسالة موجهة أساسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما).

صورة لإعلان لعبة صليل الصوارم

في البداية قلنا أن هذه المؤسسة الإعلامية الرائدة في مجال الإعلام الجهادي تعد التعبيرة الأقوى على النهج المتوحش لخطاب التنظيم، هذا الدور تصاعد وتيرته بعد إعلان الحرب الدولية على «جند البغدادي».

وأصبحت الفرقان بذلك في الواجهة الأمامية للحرب الإعلامية و أصدرت عدة مرئيات في شكل رسائل موجهة إلى قادة و شعوب الدول المحاربة للتنظيم وذلك من خلال قطع رؤوس عدة رهائن أجانب (فيديو «رسالة إلى أمريكا» وفيه عملية ذبح الرهينة الأمريكي « جيمس فولي»...) وأحيانا عمليات تهديد بذبح الرهائن.

هذه الأشرطة جسدت مفهوم ورؤية التنظيم لتوظيف العنف وتطور مستواه وتصديره، فكلما أصدرت الفرقان شريطا، كان يوصف بأنه الأعنف والأشد وحشية...

مثل عملية حرق الطيار الأردني معاذ الكسابسة التي عرضتها مؤسسة الفرقان في شكل عمل سينمائي ضخم تحت عنوان «شفاء الصدور».

الرهائن لم يقتصر ظهورهم على مشاهد تصفيتهم بطرق وحشية وحتى غريبة ومستحدثة بل تجاوز ذلك إلى الإعتماد عليهم لتسويق صورة غارقة في المثالية عن التنظيم مثل سلسلة الحلقات «أعيروني سمعكم : رسائل من الأسير البريطاني جون كانتلي»، كانتلي هو مراسل صحفي اعتقل من قبل تنظيم الدولة في نوفمبر 2012.

بداية ظهر كانتلي بالبدلة البرتقالية وراء خلفية سوداء، مهاجما حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا معتبرا إياهما سبب تدهور الأوضاع الانسانية والحروب في سوريا والعراق وكل العالم.

ثم حدثت نقلة نوعية خلال الاصدارات الأخيرة من السلسلة حيث ظهر كانتلي ليس كأسير بل كمراسل صحفي تابع للتنظيم الذي اعتقله، يظهر البريطاني بلباسه الطبيعي ولحيته المحلوقة ناقلا صورة مغايرة عن الحياة داخل المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإسلامية.

هنا، نتحدث عن نوعية من الإصدارات التي تنبض بالحياة لا بالموت، حيث قال في أحد المقاطع المصورة في الموصل : «إن الإعلام يحب تصوير الحياة في الدولة الإسلامية على أنها موحشة، وأن الناس يمشون في ذلّ، بسلاسل، تضربهم قوانين حكم استبدادي لكن سوى الجو الشتوي البارد رغم ظهور الشمس، فإن العيش هنا في الموصل طبيعي.» (إصدار من إنتاج مؤسسة الحياة الإعلامية في شكل تقرير تلفزيوني : «من داخل الموصل»).

كانتلي بدا في جل الإصدارات مرتاحا و هادئا كأنه مراسل فعلي للتنظيم.

على صعيد آخر وثقت مؤسسة الفرقان مشاهد فيها تعظيم لـ «فرسان الدولة الإسلامية» وإضفاء هالة من القداسة عليهم، تجسد هذا الأمر خصوصا من خلال السلسلة المسماة بـ «فرسان الشهادة».

قدمت السلسلة عددا من السير الذاتية للمقاتلين وجانب من أقوالاهم ووصاياهم وبطولاتهم...

احتفى التنظيم كذلك وعبر مؤسسة الفرقان بانجازته مضفيا عليها مبالغة كبيرة على المستويين المشهدي والكلامي، مثل الذي ورد في سلسلة «رسائل من أرض الملاحم».

مجموعة الرسائل تضمّنت تحريضا على لسان المقاتلين على «الجهاد» و«الهجرة»، مما يرفع من وتيرة الاستقطاب وتدعيم الموارد البشرية للتنظيم.

هذه الموارد البشرية تحتوي على عناصر على درجة عالية من المهارة والتخصص في المجال الإعلامي.

إضافة إلى الكفاءة على مستوى الانتاج، يبرز الدور الترويجي لمؤسسة الفرقان.

فكل إصدار تسبقه حملة إشهارية مما يجعل عددها ما من المناصرين والمتابعين والباحثين والاعلاميين... يترقبون ظهور الإصدار بشغف شديد.

لهذا فتعد إصدارات مؤسسة الفرقان، الأكثر مشاهدة بين بقية إصدارات التنظيم عموما.

2. مؤسسة الإعتصام للإنتاج الإعلامي :

هي ثاني أقدم مؤسسة إعلامية رسمية، أنتجت عدة أفلام وثائقية وإصدارات مرئية عالية الجودة ومتعددة الأهداف.

من أبرز إصداراتها، سلسلة «نوافذ على أرض الملاحم» بداية من سنة 2013.

صورة من أحد حلقات سلسلة «نوافذ على أرض الملاحم»

تعبر مجموعة الأفلام بوضوح عن النضج الإعلامي للتنظيم من حيث تطوره وموقع الإعلام عموما وما يحوزه من أهمية في الاستراتيجية العامة.

الرسائل فيها مزج بين عدة مواد بطريقة احترافية وتبرز أساسا عدة مقابلات مع مقاتلين وتصويرا لعمليات عسكرية في سوريا أو العراق.

السلسة تركز بشكل جلي على الصفة العالمية للتنظيم حين تكشف عن تنوع جنسيات المقاتلين، هؤلاء توجهوا بخطاب داع في جوهره إلى «الهجرة نحو أرض الإسلام» بلغات متعددة ، التنظيم بمشروعه التأسيسي للدولة هو فسيفساء بين «مجاهدين» جمعت بينهم «راية الإسلام» كما أسس النص القرآني لخطاب موجه للـ «عالمين»...

إضافة إلى الجانب العسكري، أبرز التنظيم عبر هذه المؤسسة مظاهرا مشرقة من الحياة داخل المناطق المسيطر عليها.

حوارات مع السكان بأساليب رقيقة لا تعكس وحشية التنظيم، نشاطات هياكل التنظيم من حسبة وديوان الزكاة و ديوان القضاء والملتقيات الدعوية وحلقات تحفيظ القرآن...

إضافة إلى هذا نشرت الاعتصام رسائل ذات طابع تحريضي وتهديدي مستهدفة أنظمة الحكم ومؤسساته والحكام والأجهزة الأمنية والعسكرية في عدة بلدان إسلامية وعربية، مثل «الرسالة إلى أهل تونس» (التي ظهر فيها أبوبكر الحكيم «أبو مقاتل» القيادي التونسي المتهم الرئيسي في اغتيال السياسي اليساري التونسي شكري بلعيد واعترف في هذا الاصدار بمسؤوليته على هذا العمل متوعدا بمزيد من العمليات المماثلة) و«الرسالة إلى أهل البحرين»...

تنظيريا، أصدرت المؤسسة منتجا مرئيا بعنوان «سلسلة الحياة – من كلام العلماء حول مشروع الدولة الإسلامية».

تضمنت السلسلة أقوالا لشخصيات محورية لها الأهمية الرمزية عند مختلف الجهاديين حول العالم، نذكر منهم : أبو يحيى الليبي، أبو عمر البغدادي، أسامة بن لادن، أنور العولقي، أبو مصعب الزرقاوي، أبو حمزة المهاجر...

3. مركز الحياة للإعلام :

ينشط بتنظيم الدولة الإسلامية عشرات الآلاف من «الجهاديين» من جنسيات متنوعة وبالتالي فـهم قادمون من مجتمعات ذات خصوصيات ثقافية مختلفة.

ولعل أبرز معطى ثقافي تواصلي يتمثل في اللغة المتحدث بها.

اللغة هنا ليست واحدة (وان كانت اللغة العربية تدرّس بشكل منهجي) بالتالي من الواجب التخاطب مع كل شعوب العالم بلغاتهم المختلفة.

مركز الحياة للاعلام يضطلع بالدور الأبرز في تأسيس خطاب عالمي لتنظيم أممي.

وهو الواجهة العالمية لتنظيم الدولة، من خلاله يتم الجانب الأكبر من الاستقطاب والتوسع داخل عدة دول من العالم.

جاءت إصدارات هذه المؤسسة بعدة لغات وأبرزها اللغة الانجليزية باعتبارها اللغة الأهم عالميا.

إضافة إلى الإصدارات المرئية ، أنتجت المؤسسة مجلتي «دابق» و«رومية» (في مرحلة لاحقة لـدابق).

بالنسبة للمرئيات هي تقوم أساسا على هدف التجنيد، وذلك عبر تحفيز عقدي (إعلان الإسلام لغير المسلمين والنفير لأرض الإسلام بالنسبة للمسلمين) على «الهجرة».

إضافة إلى تركيز على خطاب المظلومية و ادعاء تمثيل التنظيم لأهل السنة وحمايتهم من بطش أعدائهم (قوى محلية متمثلة في «الشيعة» أساسا وغيرهم / قوى خارجة متمثلة في الغرب و«الصليبيين»).

خطاب الدولة كان واضحا بقوة في إصدارات المؤسسة، لذلك بُذل جهد إعلامي كبير في تصوير مناطق الدولة الإسلامية على أنها جنة الله على الأرض على عكس ما يُبث في الإعلام من مظاهر دموية.

وهذا يندرج في إطار المعركة الإعلامية المستعرة، معركة يريد التنظيم أن يكسبها نظرا لأهميتها في تحديد مستقبله.

مقاتلي التنظيم يظهرون بوجوه بشوشة مؤمنين بالنصر والبقاء والتوسع...

هؤلاء المقاتلين تحدثوا بشكل مسهب عن حياتهم قبل الانضمام للتنظيم وحياتهم بعد الانضمام إليه، معبرّين عن سعادتهم وارتياحهم.

توثيق هذه الشهادات اشتغل عليه بشكل تقني مميز من خلال سلسلة «قصص من أرض الحياة» وظهرت أول حلقة في شهر مارس سنة 2015 و كان بطل الحلقة شيخا فرنسيا يدعى «أبو صهيب الفرنسي».

يروى الرجل أنه درس علوم اللاهوت في مدرسة إكليريكية كاثولوكية وبدأ يتساءل عن عدة أشياء محيّرة، زادت حيرته لما لم يجد أجوبة مقنعة.

فاتجه للبحث في الأديان واقتنع برسالة الإسلام، لم تقف حيرته إلى هذا الحد و بحث في مسألة الجهاد إلى أن آمن بمنهج التنظيم وانضم إليه.

جوهر الرسالة هو ايصال الشعور بالراحة والطمأنينة والسكينة داخل مناطق سيطرة التنظيم، هذا بامكانه تشجيع العديدين على «الهجرة» والالتحاق بأبي صهيب ورفاقه.

في ذات الإطار، أصدرت المؤسسة قصة أخرى لشاب كندي يدعى بأبي مسلم الكندي.

تحدث الشاب عن حياة الرفاهية بين أهله في كندا قبل هجرته وذلك للتأكيد على أن دافع «الهجرة» ليس ماديّا بل أخرويا.

صور التنظيم لقاء معه ثم ظهر المقاتل في إحدى جبهات الحرب لينتهي به المطاف قتيلا أو «شهيدا» على حسب أدبيات التنظيم.

«الشهيد» تم إضفاء هالة من القداسة عليه، محاولين إبرازه في صورة المقاتل السعيد الذي لا تفارقه الابتسامة حتى مع وفاته.

وفي مواجهة التحالف الدولي ضد التنظيم ساهم المركز مع المؤسسات الأخرى في توجيه رسائل وعيد للغرب وبلغته وتقنياته.

فقد أصدرت مؤسسة الحياة في شهر سبتمبر 2014، إصدارا يعدّ الأضخم والأعلى تقنية سمّاه بلهيب الحرب.

الفيلم الوثائقي استعرض لمحة تاريخية لمراحل الصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية بداية من إعلان جورج بوش الإبن للحرب على الإرهاب مرورا باحتلال أفغانستان والعراق وفترة حكم باراك أوباما حاكم البيت الأبيض في ذلك الوقت، واصفا الحرب الإعلامية الغربية بالكاذبة.

العمل صوّر المعركة بأنها بين الايمان والكفر، عارضا مشاهد دموية من سوريا والعراق كمعركة الموصل وعملية السيطرة على مطار منغ العسكري بريف حلب شمالي سوريا وتصفية الفرقة 17 بمحافظة الرقة أبرز معاقل «الخلافة» ويظهر جنود سوريين نادمين عن عملهم ضمن الجيش السوري وحافرين قبورهم بأنفسهم ثم تم قتلهم بالرصاص.

انتهى الفيلم برسالة نارية للولايات المتحدة الأمريكية : « رسالة نوجهها إلى أمريكا، فلتعلمي يا حامية الصليب، أن حرب الوكالة لن تنفعك في الشام، كما أنها لن تنفعك في العراق، وعما قريب ستكونين في المواجهة المباشرة مرغمة، وأن أبناء الإسلام قد وطنوا أنفسهم لهذا الشيء، فتربصوا إنا معكم متربصون.»

واستكمالا لعمله جهازا إعلاميا متكاملا ، أصدر المركز أناشيد جهادية بلغات متعددة في سياق استراتيجيته الاستقطابية وبناء قوته الناعمةمنها نشاد «تعال يا صديقي» باللغة الايغورية و«عادت الخلافة» باللغة الاندونيسية...

دابق :

«عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابِقَ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم : خلوا بينا وبين الذين سُبُوا مِنَّا نقاتلْهم، فيقول المسلمون : لا والله، كيف نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم ؟ فينهزم ثُلُث ولا يتوب الله عليهم أبدا، ويُقتَل ثلثُهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يُفتَنون أبدا، فيفتَتِحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد عَلَّقوا سُيوفَهُمْ بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان : إنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ فد خَلَفَكم في أهاليكم، فيخرجون، ءوذلك باطلء فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينا هم يُعِدِّون القتال، يُسَوُّون صفوفَهم، إذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب في الماء، فلو تركه لانزاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده يعني المسيح فيريهم دَمه في حربته». أخرجه مسلم.

وَ(الْأَعْمَاق وَدَابِق) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم : «وَ(الْأَعْمَاق وَدَابِق) مَوْضِعَانِ بِالشَّامِ بِقُرْبِ حَلَب».

كما أشرنا سابقا فإن تنظيم الدولة الإسلامية بارع في اختيار أسماء شبكاته الإعلامية و عناوين إصداراتها...

دابق هو إسم أول مجلة الكترونية رسمية يصدرها تنظيم الدولة عبر مؤسسته الإعلامية «الحياة» وذلك في شهر جويلية سنة 2014.

بلدة دابق لموقعها أهمية استراتيجية فهي تبعد قرابة 35 كم عن محافظة حلب ذات الأهمية الكبرى (تعتبر العاصمة الاقتصادية لسوريا) وحوالي 45 كم عن الحدود التركية السورية.

هذا البعد الجغرافي تعزز ببعد ديني أكثر قداسة في فكر التنظيم فهي المدينة التي ستدور فيها أعظم معركة في التاريخ «معركة دابق الكبرى» في المخيلة الإسلامية و الجهادية خاصة.

لذلك فقد سارع التنظم للسيطرة على المدينة في سنة 2013 قبل أن ينتزعها منه الجيش السوري الحر بمساندة القوات التركية (ضمن تشكيل درع الفرات) و ذلك في سنة 2016.

المجلة بدأ صدورها دوريا كل ثلاثة أشهر ثم أصبحت شهرية، وتوزع مباشرة في مناطق سيطرة التنظيم ودوليا عبر البريد الإلكتروني.

للوهلة الأولى يُخيل للقارئ أنه بصدد مطالعة مجلة من مجلات الموضة أو المشاهير أو الصحة و الجمال..

على مستوى الشكل صدرت المجلة بلغات أجنبية معبرة عن البعد العالمي للتنظيم ومن حيث التصميم فقد أبرز مرة أخرى القدرات التقنية العالية للجنود الإعلاميين وخبراء في مجال التصميم الحاسوبي البصري «الجرافيك ديزاين».

صور منمقة بألوان برّاقة.. للدلالة بأن التنظيم لا يصدّر الموت في شكله المتوحش بل إنّه يملك القدرة على توظيف كل مظاهر تطور العصر على المستوى التكنولوجي و العلمي.

المجلة تظهر لنا من خلال صور جميلة، مشاهد خطابية دموية و قاتمة.. وهنا ندخل في خانة «القتل الملون» أو « جمالية العنف»...

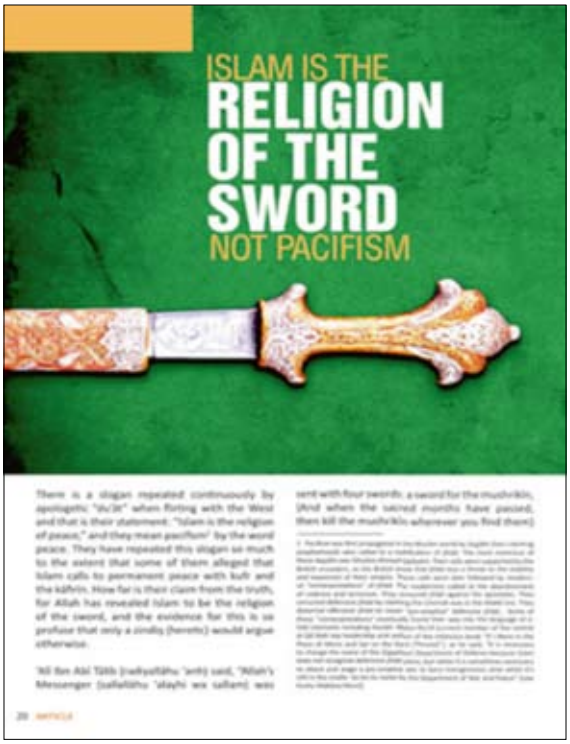

الإسلام دين السيف لا دين السلام : أحد المقالات التحريضية بمجلة دابق

نشير كذلك إلى نقطة مهمة، استوقفتني خلال عدد من الإصدارات ووجدتها مجسدة في أحد أعداد مجلة دابق وهي رؤية التنظيم للموت.

فأثناء حدوث عملية إرهابية، تقوم كل وسائل الإعلام تقريبا بتغطية أجساد وخاصة وجوه الضحايا في حين أن تنظيم الدولة لا يجد أي حرج في تصوير قتلاه بكل شفافية.

هذا «الصدق» في نقل الصورة يكسر الصورة المخادعة لمختلف أشكال «البروباغندا» وهذا يستدعي منا انتباها شديدا لأنه اختيار فعّال يشجع على الاستقطاب.

were sent on their mission after having trained with their brothers in Libya and having declared their bay'ah to the Khalifah (hafidhahullāh). They returned to Tunisia, bravely advanced towards the security quarter in Tunis, entered the museum – located across from the Tunisian parliament – and poured terror on the kuffār inside, killing more than 20 of them and injuring a dozen others. They then faced off against the local murtadd security forces with their AK assault rifles, hand grenades, and explosive belts, and were killed fi sabīlillāh.

their own citizens became prey for the soldiers of the Islamic State.

Just two days later in Wilāyat Sanaa, four soldiers of the Islamic State carried out coordinated istishhādi attacks against the Houthi murtaddīn in the city of Sanaa. They infiltrated two temples where the Houthis had gathered and detonated their explosives, leading to a massacre that killed over a hundred, including the top Rāfidi cleric Murtadā al-Mahatwari and a number

صورة دعائية لقتلى التنظيم بمجلة دابق

دابق وكمنجز من منجزات مركز الحياة، لم تغفل عن العناية بمظاهر الحياة اليومية داخل مناطق سيطرة التنظيم ووضع هذا الأمر ضمن خطاب الدولة.

فمثلا جاء في أحد أعداد مجلة دابق شرح لأساليب الرعاية الصحية المعتمدة في مناطق دولة الخلافة داعين كل الخبراء في هذا المجال للالتحاق بصفوف التنظيم قصد مزيد تحسين الإدارة الصحية.

The Current Health Infrastructure

The Islamic State provides the Muslims with extensive healthcare by running a host of medical facilities including hospitals and clinics in all major cities through which it is offering a wide range of medical services, from various types of complicated surgery to simpler services such as hijamah. This infrastructure is aided by a widespread network of pharmacies run by qualified pharmacists and managed under the supervision and control of the Health Diwan. Just as the medical staff in the hospitals and clinics are made up of qualified, trained professionals, the pharmacies are likewise only run by qualified and certified pharmacists.

Preparing for the Future

In order to ensure a steady supply of qualified medical personnel in the future as well as expanding and enhancing the current medical services from a professional as well as Islamic point of view, the Islamic State recently opened the Medical College in ar-Raqqah as well as the College for Medical Studies in Mosul.

Category	Amount
Outpatients	670
Emergency Patients	4289
Lab Tests	15688
Minor X-Rays	2384
Kidney Dialysis Sessions	442
Physiotherapy Sessions	233
Children Admitted	110
Blood Donors	155
General Surgeries	140
Bone Surgeries	261
Urinary Surgeries	18
Nerve Surgeries	15
Ear Surgeries	3
Gynecological Surgeries	47
Emergency Surgeries	16
Births	576
Audiometric Tests	45
Brain Stem Scans	11
Ultrasound Exams	400

مقال حول الرعاية الصحية جاء في عدد من مجلة دابق

المجلة وعلى امتدادها احتفت دائما بمقولات الرموز الجهادية ولا سيما أبو مصعب الزرقاوي، من أهم ما نقل عنه قوله الذي يذكر فيه دابق : «إن الشرارة قد انقدحت في العراق وسيتعاظم أوراها بإذن الله حتى تحرق جيوش الصليبيين في دابق.»

عموما كانت مضامين المجلة موزعة بين : الدعوة إلى « الجهاد»، الالتحاق بدار «الخلافة»، العداء مع الآخر (الغرب، القوى المحلية المعادية...)، الأحكام الفقهية المتعلقة بتطبيق الشريعة، توظيف آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومقولات لعلماء شرعيين ورموز التنظيم...، اقتباسات من كلمات قادة التنظيم المتعلقة أساسا بطاعة أولي الأمر.

حضر كذلك الجانب الاجتماعي متمثلا في الدعوة إلى تعزيز القيم الاجتماعية (على المنوال الإسلامي) والعناية بتنظيم العلاقات الأسرية وإصدار أحكام فقهية إجتماعية في شكل فتاو غالبا.

أما الجانب الاقتصادي فقد تجلى في الاحتفاء بالعملة الإسلامية «الدينار الذهبي» كشكل من أشكال التصدي للنظام العالمي وكذلك في ما يخص مصادر تمويل التنظيم وميزانياته وأحكام فقهية متعلقة بـ : الخراج والخمس والفيئ والغنيمة والجزية...

أما في العلاقة مع المجال السياسي، صدرت عدة مقالات تصف الأفكار والنظم السياسية المخالفة كالديمقراطية والقومية بالأصنام و تناولت العلاقات السياسية الدولية والصراعات الجيوسياسية...

4. المكاتب الإعلامية للولايات :

بعد إعلان قيام الخلافة من المسجد الكبير في الموصل، قام التنظيم بتطوير هياكله لتصبح التركيبة مماثلة لما نجده في الدول من وزارات ومحافظات ودوائر بلدية وغيرها من مؤسسات الدولة الحديثة.

THE CURRENCY OF THE KHILĀFAH

THE CURRENCY OF THE KHILĀFAH

In an effort to disentangle the Ummah from the corrupt, interest-based global financial system, the Islamic State recently announced the minting of new currency based on the intrinsic values of gold, silver, and copper. This initiative is a significant step towards shifting the Ummah away from the usage of currencies that are no longer backed by any precious metals, and whose values are constantly manipulated by

The minting of a unique currency specific to the Muslims and based on precious metals has its precedence in the Umawi Khilāfah of 'Abdul-Malik ibn Marwān. The Muslims during the time of the Prophet (sallallāhu 'alayhi wa sallam), the Rightly-Guided Khulafā', and the early Umawi Khulafā' made use of coinage circulated by the Persian and Roman empires. They later began minting their own versions of these coins

عملة الخلافة الذهبية كما وردت في أحد مجلات دابق

تأسست الولايات وتأسست معها عدة أجهزة تابعة لها منها الجهاز الإعلامي أو ما يسمّى بالمكتب الإعلامي للولاية.

الولاية هي وحدة إدارية يرأسها وال يعاونه مجموعة من الأمراء : شرعي وأمني وعسكري.

المكاتب الإعلامية لكل ولاية تشتغل على حدة (لامركزية جزئية) ولكنها تعمل مجتمعة داخل استراتيجية إعلامية مركزية محكمة.

بعد اخضاغ التنظيم عددا هاما من المناطق لسيطرته، أسس عدة ولايات في سوريا ولعراق وكذلك في دول أخرى.

في العراق : ولاية نينوى، ولاية كركوك، ولاية الأنبار، ولاية صلاح الدين، ولاية شمال بغداد، ولاية الجنوب، ولاية الجزيرة، ولاية دجلة

في سوريا : ولاية الرقة، ولاية الخير، ولاية حلب، ولاية دمشق، ولاية حمص، ولاية حماة، ولاية البركة، ولاية البادية، ولاية الفرات

في اليمن : ولاية شبوة، ولاية صنعاء، ولاية حضرموت، ولاية عدن، ولاية البيضاء، ولاية لحج

في ليبيا : ولاية طرابلس، ولاية برقة، ولاية فزان

في نيجيريا : ولاية غرب افريقيا

في الجزائر : ولاية الجزائر

في السعوية : ولاية نجد، ولاية الحجاز

في أفغانستان وباكستان : ولاية خراسان

في مناطق شمال القوقاز : ولاية القوقاز

في مصر : ولاية سيناء

يشار إلى أن هذه الولايات ليست بالضرورة خاضغة كليا لسيطرة الدولة الإسلامية ففيها من تكون السيطرة عليها جزئيا وفيها من فقد التنظيم سيطرته عنها لكنه ببعض الجيوب التي تقوم بعمليات من حين إلى آخر وفيها ما ليس بها وجود عسكري علني للتنظيم لكنها بيئة ملائمة للخلايا النائمة وبالتالي العمل على الاستقطاب من جهة والقيام بعمليات نوعية.

بالنسبة للاصدارات المرئية لهذه المكاتب فتكون في شكل تغطية عسكرية للمعارك التي يخوضها التنظيم في الولاية المعنية سواء عبر هجومات على

تكنات عسكرية أو مواقع حكومية، أو عمليات اغتيال أو قنص جنود أو مسؤولين، أو المتعلقة بالمواجهات مع تنظيمات أخرى تقاتله.

تعرض هذه المكاتب كذلك عمليات السيطرة على مكان جديد لضمه إلى الولاية أو لإعلان ولاية جديدة، هذا النوع من التغطيات يكون منسوب العنف فيه عاليا جدا، حيث يستعرض فيه التنظيم قوته وبطشه بكل من يعاديه و يقف أمام تحقيق حلمه بإحكام السيطرة على كل المناطق.

تظهر كذلك «الغنائم» وقتلى الخصم و«شهداء» التنظيم...

إضافة إلى هذا الجزء الحربي، توجه مكاتب الولايات رسائل تحمل وعيدا وتهديدا لحكومات وجيوش الدول التي فيها تلك الولايات.

غالبا الاصدارات تأتي تحت عنوان «رسالة إلى أهلنا في ...»، وهو ما يبين أن التنظيم يريد الفصل بين الحكومة المستهدفة بالحرب والشعب المستهدف بالاستقطاب الممنهج.

تصدر كذلك مكاتب الولايات نشرة يومية، تجمّع تحت عنوان «مجموع تقرير الولايات» وتنشر على المواقع التابعة للتنظيم وتروّج بكثافة عبر تويتر وتليغرام أساسا.

هذا إضافة إلى تقارير مصوّرة مشابهة في المحتوى للإصدارات المرئية، لمزيد نشر المادة وتخفيف الضغط عن المرئيات المستهدفة أساسا من قبل أجهزة الرقابة المعلوماتية.

هذا إلى جانب احصائيات شهرية عن العمليات العسكرية، وبخصوص الجانب «الحياتي» للتنظيم تعرض هذه المكاتب تقارير مصورة عن مشاهد الحياة اليومية في تلك الولايات وإبراز الشكل المؤسسي للدولة.

مثلا عرض توزيع مواد غذائية على المحتاجين في إطار «عمل ديوان الزكاة» وإعلان لطلب تقنيين ومتخصصين في عدة مجالات «إعلان مكتب التعليم في ولاية الرقة «...

تحتفي مكاتب الولايات كذلك بـ «شهداءها» حيث تخصص لهم جانبا من الإصدارات المرئية التي تصور جانب التضحية وفداء النفس من أجل «إعلاء راية لا إلاه إلا الله»...

5. إذاعة البيان :

هي أول إذاعة رسمية يؤسسها التنظيم في جويلية 2014.

اثر سيطرة التنظيم على مدن كبرى كالرقة والموصل ومساحات شاسعة أخرى من العراق وسوريا، قام بايقاف بث الإذاعات المحلية واستغل موجات بثها ومقراتها لايصال رسائل مغايرة عما كان يبث سابقا.

تم التركيز على تلاوة القرآن وبرامج إذاعية تهتم بالجانب الدعوي على المنهج السلفي الجهادي والجانب الأخلاقي حول السلوكات التي يجب أن يتّبعها أو يمتنع عنها سكّان تلك المناطق.

إذاعة افتتحت من الموصل العراقية عاصمة الخلافة الإسلامية الجديدة وكان بمثابة الصوت الرسمي للتنظيم للأهالي.

قال أحد سكان الموصل لقناة الجزيرة القطرية : «الإذاعة تبث نشرات إخبارية على رأس كل ساعة، تتضمن أخبارا محلية وعالمية. ويتم إعداد هذه النشرات من قبل كادر صحفي متخصص، ويعمل بالإذاعة عدد من الكوادر الفنية والمذيعين ـ وفق المصدر ـ الذي أكد أن برامجها تتوزع بين بث أيات القرآن الكريم وخطب أبو بكر البغدادي (الخليفة) إضافة لبرامج أخرى تضم خطبا عقدية ومنهجية».

(البيان..أول إذاعة للخلافة في الموصل، 2014/08/09، موقع الجزيرة نت)

بعد مدة قصيرة ظهر بث إذاعة البيان في محافظة الرقة السورية و توسع بثها إلى عدة مناطق.

وهذه بعض موجات البث :

الموصل 99.3/92.5 إف إم

الفلوجة 93.6 إف إم

الرقة 99.9 إف إم

تدمر 99.3 إف إم

سرت 87.8 إف إم

درنة 95.5 إف إم

بنغازي 94.3 إف إم

البيان كذلك منخرط في الطابع الأممي لرسائل التنظيم، حيث بثت الإذاعة عدة نشرات بعدة لغات غير العربية منها الانجليزية والفرنسية والكردية والتركية...

الإذاعة لم تستثني الأطفال من حيز برمجتها حيث خصصت لهم مجموعة من البرامج التي تستهدف الفئة الناشئة أو ما يسمونهم التنظيم بـ «أشبال الخلافة».

النشاط الإخباري منسجم مع العنف الخطابي والصوري الذي يعتمده التنظيم فلا تخلو نشرة إخبارية من اقتباسات من خطب وأقوال لرموز جهادية تحرّض على مزيد سفك الدماء.

وحتى مع انقطاع البث الرسمي للإذاعة في عدة مناطق فإنها حافظ على نشاطها الإعلامي المرتكز على العمل الإخباري (بأخبار المعارك ونشاطات دواوين دولة الخلافة وأحوال الناس في المناطق المسيطر عليها...).

وان أفلت موجة البيان فمن المؤكد أن التنظيم ترك أفكارا ورسائل تسبح في مخيلة وذاكرة الذين عاصروا زمن البث الرسمي، وربما يدرك التنظيم أنه معرّض للهزيمة العسكرية لذلك أراد كسب تعاطف الناس..

هؤلاء من الممكن أن يشكلنوا حاضنة هامة للتنظيم في معاركه المستقبلية.

6. وكالة أعماق :

(لَا تَقُوم السّاعَة حَتّى تَنْزِل الرُّوم بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ) أخرجه مسلم.

الْأَعْمَاق بِفَتْحِ الْهَمْزَة وَبِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَة، وَدَابِق بِكَسْرِ الْبَاء الْمُوَحّدَة وَفَتْحهَا، وَالْكَسْر هُوَ الصّحِيح الْمَشْهُور، وَلَمْ يَذْكُر الْجُمْهُور غَيْره. وَحَكَى الْقَاضِي فِي الْمَشَارِق الْفَتْح، وَلَمْ يَذْكُر غَيْره، وَهُوَ اسْم مَوْضِع مَعْرُوف. قَالَ الْجَوْهَرِيّ: الْأَغْلَب عَلَيْهِ التّذْكِير وَالصّرْف؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْل اِسْم نَهْر. قَالَ: وَقَدْ يُؤَنَّث، وَلَا يُصْرَف.

وَ(الْأَعْمَاق وَدَابِق) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: «وَ(الْأَعْمَاق وَدَابِق) مَوْضِعَانِ بِالشّامِ بِقُرْبِ حَلَب».

وكالة أعماق هي وكالة الأخبار الرسمية لتنظيم الدولة الإسلامية ، ظهرت لأول مرة في شهر أوت سنة 2014.

لها تطبيق يشتغل على أجهزة الانرويد و لكنه لا يُعرض بطريقة عادية على متجر غوغل إذ تفاديا للرقابة الأمنية المعلوماتية لا يشتغل التطبيق إلا في مناطق سيطرة التنظيم ويُحمّل عبر روابط مشفرة ومخترقة للرقابة.

للوكالة كذلك وجود على تطبيق تيلغرام الأقل رقابة بالنسبة للجهاديين و تبث الأخبار لحظة بلحظة.

الخبر الذي تصوغه ينتشر بصفة جنونية في وسائط التواصل الاجتماعي عبر «جنود افتراضيين» يقومون بالمهمة على أفضل وجه.

أعماق لا تكتفي بصياغة الخبر كتابيا بل تبث مقاطع مرئية لبعض العمليات العسكرية وصوتية لكلمات بعض القادة الميدانيين إضافة إلى رسوم بيانية (انفوجراف) توثق انجازات التنظيم.

7. مؤسسات مناصرة غير رسمية :

مع انتشار التنظيم ميدانيا وانضمام عشرات الآلاف من المقاتلين وربما مئات الآلاف أو أكثر من المناصرين، استقطب عدة متخصصين من عدة مجالات وخاصة الإعلام الالكتروني.

هؤلاء الجنود الإعلاميون أو «المجاهدون الإعلاميون» كما يسمّيهم التنظيم اكتسبوا عدة مهارات في طرق ترويج المواد الإعلامية وانتاج مواد عالية التقنية وتوظف فيها أحدث التكنولوجيات الرقمية إضافة إلى أساليب القرصنة والاختراق والتخفي والتشويش...

مع إعلان الخلافة واتخاذ التنظيم رسميا شكل الدولة أصبحت هياكله الرسمية شبه مكشوفة وعلنية لذلك سهلت رقابتها وحذف موادها الإعلامية ومواقعها الرسمية..

المؤسسات المناصرة و خاصة المتأسسة حديثا تتسم موادها بحرفية عالية حيث أنتجت إصدارات مرئية في شكل أفلام وثائقية ذات جودة عالية وكذلك رسومات بيانية مستخدمة أحدث البرمجيات ، هذا بالإضافة لتوجيهات معززة بالشرح المفصل حول طرق التخفي من الرقابة المعلوماتية و الانتباه لعدة تفاصيل أثناء الإبحار على شبكة الانترنت.

والأمر الأكثر جلبا للاهتمام يتمثل في عمل هذه المؤسسات (رغم طابعها غير الرسمي) ضمن الاستراتجية الإعلامية الرسمية التي يعتمدها تنظيم الدولة الإسلامية فنادرا جدا ما تُسجّل خروقات بخصوص المفاهيم والمصطلحات والخطاب الموجه عموما.

المبحث الثالث :
تكنولوجيا التطوّر والدعاية :
القنوات والوسائط

اثر تناول المؤسسات الرسمية (وبعض المؤسسات المناصرة) بالبحث وتعرّفنا على أهمّها وأبرز أهدافها ورسائلها، يتمثل الشيء الأهم في درس كيفية نشر وترويج المواد الإعلامية المنتجة من قبل هذه المؤسسات والشبكات والمكاتب الإعلامية.

فالمادة الإعلامية ما لم تصل بسرعة قياسية إلى أكبر عدد من الناس حول العالم ستظل جهدا مبذولا دون قيمة تُستخرج منه.

التنظيم عُرِف وبث دعايته عبر شبكة الانترنت، الشبكة التي تجلب وتستهوي عددا هاما من الناس على عكس الوسائل الاتصالية الكلاسيكية التي فضلا عن تراجعها الاهتمام بها، تمثل لقمة سهلة قابلة للاجهاز من طرف هياكل الرقابة.

مع ذلك حاول التنظيم أن يراوح بين هذا وذاك وأسس إذاعة رسمية وحاول إنشاء قناة تلفزية في المناطق المسيطر عليها، إضافة إلى طباعة عدد كبير من الكتيبات والملصقات والمطويات الدعائية وتوزيعها في المساجد والحلقات الدعوية والشوارع ومختلف منشئات الدولة...

لكن يظل الانترنت مجالا خصبا للجهاز الإعلامي للتنظيم، «الجهاد الافتراضي الالكتروني» أضحي من أهم نقاط قوة التنظيم وممثلا على وجوده حتى مع بداية زمن توغله الميداني..

سنعرض الآن أهم الوسائط الالكترونية التي اعتمد أو يعتمد عليها التنظيم في ايصال رسالته وخوض سعير الحرب النفسيه.

موقع يوتيوب :

يوتيوب يعتبر من أهم وأكثر المواقع مشاهدة على شبكة الانترنت ويتابعه الملايين من سكان الأرض.

يعتبر الموقع ثالث أكثر المواقع شعبية بعد موقعي فيسبوك وغوغل واختارته مجلة «تايم» الأمريكية كشخصية هامة عام 2006 لدورهِ في إعطاء الفرصة لزواره في إنتاج المواد التي يعرضونها في الموقع.

يوتيوب كشأنه من مواقع الويب 2.0، له دور فعال في ممارسة التأثير الاجتماعي على متابعيه.

حتى أنه بات يشكل خطرا على عدة دول منعت عمله في فترات زمنية شهدت تغيرات سياسية كبيرة.

الوظائف المتعددة التي يمنحها الموقع لمتابعيه من رفع ومشاهدة ومشاركة لمقاطع الفيديو، جعل التنظيم يوظفه في مجال الترويج الدعائي.

فهو يمثل مسرحا للدعاية و التجنيد من قبل الجهاديين، لا سيما وأن الفيديو يعتبر أهم أشكال الانتاج الاعلامي ليس للتنظيم فحسب بل في العالم أجمع.

فمشاهدة فيلم هو أمر أهم بكثير من قراءة بيان عند العديدين !!

فنحن نعيش عصر الصورة.. وتحديدا عصر الصورة الرقمية العالية الجودة.

لذلك فقد أغرق التنظيم الموقع بإصداراته المرئية وفضلا عن افراد المؤسسات الإعلامية الرسمية بقنوات يوتيوب رسمية تم تسجيل هذه المقاطع ونشرها من قبل حسابات لأشخاص، فيهم من يقدم هويته الحقيقية وفيهم من يتخفى وراء هوية مزيفة.

خاض التنظيم معارك كبيرة مع إدارة الموقع حين بدأت حملة الرقابة، حيث حذفت عدة فيديوهات ومعها القنوات الرسمية للمؤسسات الإعلامية.

هذا لم يمنع التنظيم من نشر وإعادة نشر عشرات الآلاف من المقاطع إلى حدود بداية سنة 2015.

قبل كسب المعركة من طرف إدارة الموقع وتخلي التنظيم نهائيا عن أسلوب التحدي، بث تنظيم الدولة مقطعا ترويجيا أعلن من خلاله أنه بصدد إعلان «قناة الخلافة» سبث من خلال شبكة الانترنت.

نشط الجهاز الإعلامي للتنظيم في وسائط التواصل الاجتماعي مروجا لهذا الحدث الاستثنائي والانجاز العظيم لكن إدارة الموقع وكما كان متوقعا ضيقت على موقع القناة وعطلته قبل أن ينطلق نشاطها الفعلي.

التنظيم لم يرمي المنديل وظل متمسكا بإنشاء مؤسسة إعلامية تلفزية، ليس فقط تعزيزا لجهازه الدعائي الاعلامي بل استعراضا للقوة وعرضا لأحد تجليات الدولة. (قام بالدعاية لانشاء قناة تلفزية تبث على الشبكة الأرضية في سنة 2014 لكن لم يكتب للمشروع أن يرى النور)

فكل الدول حول العالم تملك قنوات تلفزية رسمية والتنظيم يريد أن يبرز للعالم أنه بنى دولة حتى وان لم تنل اعتراف المجموعة الأممية.

فحتى جملة المواثيق العالمية ترجح كفّة «الدولة الإسلامية» فمعاهدة مونتيفيديو للعام 1933 الخاصة بحقوق الدول وواجباتها تنص على أنّ هناك نوعين من الدول : نوع يتم الإعلان عن نشوئه، ونوع يتم تأسيسه.

النوع الأول يشترط أنه من أجل إعلان كيان ما أنه صار دولة فإنه يجب أن تكون لديه حدود محددة بوضوح، ومواطنون يعيشون بشكل ثابت على أرضه، وحكومة قادرة على ممارسة سلطاتها على شعبها وأراضيها ومواردها.

وإضافة إلى ذلك، تحدد المعاهدة أن الدولة التي يتم الاعلان عنها تكون موجودة بغض النظر عن اعتراف الدول الاخرى بها.

فاعتراف الآخر ليس شرطا للوجود الفعلي للدولة ، فـ «الدولة الإسلامية» أعلنت عن وجودها بمساحة جغرافية كبيرة تضاهي مساحة المملكة المتحدة تقريبا (في أوج تمددها) ويسكن بها «مواطنون» (لم يتم التحديد على شرط حرية اختيار الاقامة هناك) ولها «حكومة» تدير شؤون السكان في هذه المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة.

بقطع النظر عن اتفاقنا أم لا مع ممارسات هذا الكيان وأفكاره فإنّ التنظيم في إحداث هذا النقلة النوعية في الشكل التنظيمي من «التنظيم» إلى «الدولة» (دولة التنظيم الواحد كـدولة الحزب الواحد بعدد من البلدان في فترات زمنية مختلفة).

أما بخصوص أهم القنوات التي حاضت بمتابعة عدد كبير من الناس، إضافة إلى قنوات المؤسسات الإعلامية الرسمية ظهرت قنوات تتبنى فكر التنظيم والدفاع عنه والترويج لخطابه ولمواده الإعلامية.

نذكر منها حساب «ترجمان الأساورتي للإنتاج الإعلامي» الذي لم يقتصر دوره على الترويج بل تجاوزه إلى الانتاج.

عُرف خاصة بجودة أفلامه الوثائقية التي سجلت أرقاما قياسية في المتابعة والمشاركة.

وتبقى إلى حدود كتابة هذه الأسطر، هوية «الأساورتي» مجهولة.

«ترجمان» وبعد غلق حسابه عدة مرات، توجه نحو شبكة تويتر حيث ببعض الحيز من الحرية في البداية قبل أن تشن عليه إدارة الموقع وشبكات إعلامية معادية للتنظيم، حملة واسعة لإغلاق حساباته وحسابات الناشرين لاصداراته.

إضافة إلى هذا الحساب، كانت هناك حسابات أخرى تروّج للتنظيم مثل «بشائر اليوم» و«أبو قتادة الشامي» و«ناصر الخلافة»...

حملة إدارة الموقع على التنظيم الجهادي لم تقتصر على المنع وإغلاق القنوات والحسابات بل ابتكرت طريقة مستحدثة لمحاربة التنظيم بنفس أسلحته.

حيث قام «يوتيوب» برفع عدة مقاطع فيديو تندد بالارهاب وتكشف عن وجهه الدموي كنوع من الدعاية المضادة.

مواقع التواصل الإجتماعي :

نحن نعيش اليوم ثورة في المجال التكنولوجي الرقمي، حيث أصبحت التقنيات وخاصة الاتصال والتواصلية منها تحيط بالإنسان بكل جوانبه وتتدخل في كل تفاصيله اليومية...

وكما سهلّت التقنية المعولمة حياة الإنسان وقرّبت المسافات ووفرّت مجالا حيويا بإمكان أن يتحصل من خلاله على عدة أشياء يرغب فيها حتى استبدل الوسائل التقليدية بأخرى أكثر تطورا، من جهة أخرى لها عدة سلبيات منها خطر الإدمان والاستعاضة عن العالم الواقعي بآخر أكثر افتراضية والأخطر من ذلك كله أنها مكنت من ارتفاع نسق الاستقطاب و التجنيد ضمن منظمات تعرف بالمتطرفة والارهابية...

فالتكنولوجيا قدمت هدية دون أن تدري للتنظيمات الجهادية فسابقا تم الإطاحة بعدة شبكات وخلايا نائمة وحتى قيادات عليا ووسطى بفضل الجهد الأمني الذي من الصعب الافلات من رقابته.

الآن ومع إزالة حاجز الخصوصية وتطور تقنيات التخفي والتواصل السري بعيدا عن أعين الرقيب، جنت مثل هذه التنظيمات مكاسب عظيمة خاصة على مستوى تدعيم الموارد البشرية.

من أبرز التجليات التكنولوجية التي تجلب اهتمام الناس وتأخذ منهم وقتا هاما يوميا، نجد «مواقع التواصل الاجتماعي»، وهي بمثابة منصات ايديولوجية لخطاب التنظيمات الجهادية.

دون هذه الوسائط لم يكن تنظيم الدولة الإسلامية ليبلغ هذا الحجم، حتى أصبحنا نتحدث عن «خلافة افتراضية» أو عن «ولاية تويتر» و«ولاية تيلغرام»...

فتركيز تنظيم الدولة مثلا على وسائل التواصل الاجتماعي ليس بهدف تسهيل نشر المواد الإعلامية وترويجها بل لوعيه بخطورتها في التأثير الاجتماعي وإحداث رجة فكرية في عقل المتلقي. فقام باستقطاب عدة متخصصين في المجال المعلوماتي ساهموا في ترويج أفكار التنظيم عبر شن «هجومات افتراضية» بالصوت والصورة عبر مواقع فايسبوك وتويتر وتيلغرام وغيرها من المواقع المتشابهة على مستوى الوظائف...

كذلك اعتمد التنظيم على التطور التكنولوجي على مستوى تقنيات التخفي ومنها تغيير عنوان الآي.پي بكل حاسوب للحيلولة دون الوقوع في شباك الأجهزة الاستخباراتية..

تشكل «الذئاب أو الأسود المنفردة» حاليا ظاهرة متجاوزة للايديولوجيات والأديان بعد أن كانت خيارا ثانويا بديلا في استراتيجيات الحركات «الجهادية»، وهي ظاهرة مرتبطة بسيرورة العولمة ووسائلها التقنية والتكنولوجية الرقمية.

هذا الشكل الحديث من «الارهاب» هو أخطر بكثير من إرهاب المنظمات وربما سيتجاوزه في المستقبل القريب مع الطفرة التكنولوجية المتسارعة...

«الذئاب المنفردة» سيشكلون العماد الأساسي لما يمكن أن نطلق عليه مصطلح «الخلافة الافتراضية» قريبا خصوصا مع اقتراب الاجهاز على كل تجمّع منظّم للحركات «الجهادية»...

مستقبلا وربما قريبا لن نتحدث عن أي شكل من أشكال «الارهاب الكلاسيكي» . . .

الانسان نفسه سواء كان منخرطا في مجموعات ارهابية أو لا هو في حد ذاته أصبح يتجه شيئا فشيئا نحو الكائن الافتراضي.

فأغلب الناس يملكون حسابات على موقع فايسبوك ولهم مساحة ينشرون عليها ما يريدون من أفكار، فقد الانسان هويته الثقافية كشخص اجتماعي يتواصل مع غيره بطريقة مباشرة إلى إنسان آخر هويته افتراضية وهناك حتى من يعبّر عن أفكاره من وراء شخصية وهمية خيالية.

الموقع التواصلي الكلاسيكي والأكثر انتشارا ومتابعة هو موقع فايسبوك.

لم تدم العلاقة طويلا بين تنظيم الدولة وفايسبوك حيث قامت إدارة الموقع بحجب كل الصفحات والحسابات وحتى التدوينات والتعليقات والفيديوهات والصور وكل ما له علاقة بالتنظيم.

التنظيم نفسه وعى مبكّرا أن خوض المعركة مع إدارة الموقع ستكون مضنية ودون نتيجة إيجابية، وذلك نظرا للرقابة الأمنية الشديدة التي يفرضها الموقع والتي ينسقّ فيها مع وكالات الاستخبارات العالمية والسلطات الأمنية لجلّ دول العالم تقريبا.

اتجه التنظيم سريعا نحو موقع مشابه وهو «تويتر» وذلك لبناء امبراطوريته الاعلامية الافتراضية.

تويتر يمكن مستعمليه من إرسال رسالة قصيرة ومكثفة وتسمى بالتغريدة، عادة ما تكون مرفقة بوسم أو ما يسمى بالهاشتاغ، وهو وسيلة لنشر الرسالة بطريقة أسرع.

مثلا عند اجرائي لهذا البحث، قمت ببحث على تويتر لمدة شهر متواصل وجدت أن هاشتاغ #الدولة الإسلامية يظهر بمعدلّ 600 تويت يوميا، فيهم المؤيد وفيهم المعارض طبعا. . .

وفي إطار الدعاية والدعاية المضادة، ظهرت عدة حسابات معارضة لفكر التنظيم ومستنكرة لممارساته..

تقوم هذه الحسابات أحيانا باستعمال هاشتاغ تتميز بها رسائل التنظيم ويرفقه بمنشور مضاد.

مثلا كأن يضع تحت المنشور «هاشتاغ #ولاية ننيوى» حتى يستدعي انتباه أنصار التنظيم الذين يضعون نفس الهاشتاغ في مفتاح البحث، وبذلك يتم استفزاز فكر المتلقى وربما يراجع أفكاره عن التنظيم.

التنظيم نفسه وعبر مناصريه ، يستعمل الأسلوب ذاته، كأن يضع مثلا تحت منشور به رابط لأحد أحدث إصدارات التنظيم، هاشتاغ لأحد مباريات كرة القدم حتى يدغدغ فضول الباحث ويدفعه نحو مشاهدة الاصدار، وربما يؤثر عليه ويصبح مستقبلا جندا من جنود التنظيم.

التنظيم كذلك وأمام الرقابة الأمنية وحذف المنشورات والحسابات، لجأ إلى أسلوب فريد وهو إنشاء حسابات شخصية تحمل أسماء في شكل أرقام وأسماء وهمية، بحيث لا يمكن لنظام الكشف بتويتر أن يعرف ميولات صاحب الحساب.

هذا الأخير يقوم بنشر المادة لتصل في ظرف ثوان معدودات لأكبر عدد من المتابعين ثم يقوم بغلق الحساب أو بالامتناع عن النشر.

سابقا، كانت أغلب الحسابات حاملة لأسماء كنيات وصحابة ورموز جهادية...

وبالنسبة للرسوم التي ينتشر من خلالها ما يخص التنظيم فأبرزها : #باقية وتتمدد، #دولة الخلافة، #الخلافة الإسلامية..

وهناك أيضا الوسوم المتعلقة بأخبار و اصدارات الولايات، #ولاية سيناء، #ولاية الأنبار...

وفي ما يتعلّق بالخطاب الموجود في التغريدات فهو تقريبا ذاته الموجود في إصدارات التنظيم فهذا الأخير نجح في تكريس معجم خطابي مفهومي بلاغي ينطق به لسان كل منتسبيه والمتعاطفين معه.

جنود التنظيم على تويتر يمكن تقسيمهم إلى عدة أقسام :

* قسم أول يمثل مقاتلي التنظيم والعاملين فيه

* قسم ثان يمثل المؤمنين بالمنهج السلفي الجهادي وفيهم غير المتنظّم وفيهم متنظّم في جماعات منافسة ولكنّه يسعى دائما إلى لمّ شمل كل المجموعات تحت راية واحدة.

* قسم ثالث يمثل المتعاطفين مع التنظيم لعدة أسباب منها التأثير العاطفي عبر خطاب المظلومية وادعّاء تمثيل كل المسلمين من أهل السنة ومنها المتعلّق بأسباب جيوسياسية خاصة مع تدهور الأوضاع في عدة دول عربية خاصة.

أسوق مثلا هنا ولو أنه على شبكة فايسبوك ،عند نشر أحد شبكات الأنباء العربية لخبر حرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة، لاحظت تحت المنشور وجود تعليقات لأشخاص غير جهاديين لكنهم يبرزون تشفيهم في مقتله وبالتالي يبررون هذا العمل الصادم.

بخصوص المعركة بين التنظيم وإدارة الموقع يعترف المشرفون على تويتر بأنهم عجزوا عن إزاحة تنظيم الدولة تماما من مجالهم الحيوي.

قال جورج سلامة، رئيس قسم السياسات العامة والعلاقات الحكومية في الشرق الأوسط بموقع «تويتر»، إن الموقع أغلق في الفترة الماضية 600 ألف لتنظيم الدولة، لافتا إلى أن «تويتر» تتعاون مع مراكز وجهات مختلفة مثل هداية وصواب، لمكافحة الإرهاب الإلكتروني.

أضاف في كلمته بالمؤتمر الدولي لتجريم الإرهاب الإلكتروني، والذي انطلق في العاصمة الإماراتية أبوظبي، الإثنين، ويستمر على مدار

يومين، أنه من الصعب تصنيف المحتوى الموجود حال الحديث عن محاربة الإرهاب، فالموضوع معقد ويتطلب مجهوات، كبيرة وتعاون من الأطراف المختلفة.

وتابع «يشرفنا التواجد في المؤتمر كشركة تويتر في هذا المؤتمر وفي التعاون مع الحكومات والمجتمع المدني وكل من يحب التعاون معنا»، وتحدث عن بعض الإحصائيات، منها أن عدد أعضاء الموقع تخطى 320 مليون مستخدم، وأن اللغة العربية تحتل المرتبة رقم 3 في أعلى اللغات استخدامات بالموقع.

وأشار إلى أن 62% من مستخدمي تويتر في مرحلة الشباب من 14 لـ 34، و80% من المستخدمين خارج الولايات المتحدة، وهناك زيادة في عدد المستخدمين تصل إلى 9 ملايين شهريا، موضحاً أن 90% من ملوك ورؤساء العالم متواجدون على تويتر، ويستخدموه في التخاطب، وهناك تناغم بين القادة والشعوب على الموقع.

مع زيادة الخناق على التنظيم في هذا المجال التواصلي ،يسعى دائما لايجاد الحلول الكفيلة بمواصلة نشاطه.

في ظلّ سعي تويتر لخوض المعركة مع التنظيم بأساليب أكثر نجاعة، يذهب التنظيم شيئا فشيئا نحو الاستقرار في «ولاية تيلغرام»

تيلغرام أو المنصة الأكثر شراسة ، هو تطبيق شبيه بتطبيق واتساب أو فيبر، يمكن «جنود الخلافة» من التواصل بين بعضهم البعض بكل حرية ودون رقابة.

هي هجرة جزئية من «دار الحرب» : تويتر إلى «دار الإسلام» : تيلغرام..

التطبيق يمكن أعضاء التنظيم من تبادل رسائل دعائية ومن ثم محاولة نشرها بشكل مكثف على وسائط أخرى أو حتى داخل التطبيق نفسه، والأخطر من

ذلك أن يمكن من دعم جهاز الاستقطاب باعتباره سيجد نفسه يعمل بنسق سريع و بكل طمأنينة. . .

بعد هجمات باريس سنة 2015، منع پافيل دوروف مؤسس تطبيق تيليغرام خمساً وسبعين قناة عامة متحدثة بـ 12 لغة، ترتبط جميعها ارتباطاً وثيقاً بتنظيم الدولة لكنه أكد أن ليس بإمكانه غلق المحادثات بين الجهاديين. .

إضافة إلى الوسائط المعروفة للعموم، فقد طور التنظيم أساليبه التواصلية وبات يستخدم أحدثها مثل متصفح «تور» الذي يسمح لك بالاتصال والتواصل والبحث بعيدا عن الرقابة.

المبحث الرابع :
كتائب الجهاد الالكتروني

مجال القرصنة ليس في سواحل الصومال فقط !!

القرصنة اليوم هي الكترونية بامتياز، فقرصان الدولة الإسلامية يخوضون معارك مع إدارات مواقع التواصل الاجتماعي..

معارك أشرس من معارك الميدان، ميدانيا بامكانك أن تفقد السيطرة على منطقة ما وتعاود الكرّة مجددا لاسترجاعها سريعا.

أما المعارك الالكترونية فهي معارك وجود، تخيلوا معي لو خسر التنظيم جلّ معاركه الالكترونية فكيف بامكاننا أن نتحدث عن وجود فعلي للتنظيم ؟...

من حسن حظ التنظيم أن مواقع التواصل الاجتماعي مثلا أفاقت متأخرة جدا من غفوتها ولما همّت بشن الحرب وجدت أن التنظيم قام بتعزيز خطوطه الدفاعية والهجومية بخبراء ومختصين في هذا المجال الرقمي.

بدأت المعركة بانتهاج سياسة الحذف لكل حساب أو موقع أو مادة لها طبيعة ترويجية لتنظيم الدولة غير أن الحذف لم يكن حلا ناجعا فكلما يرتفع نسق حملات الحذف والتعطيل كلما تنشأ حسابات جديدة.

بالتوازي مع جهد المشرفين عن المواقع، برزت حملات قرصنة وتخريب لكيانات الكترونية تابعة للتنظيم.

من أبرزها حملة مجموعة أنونيموس في نوفمبر 2015، وذلك في أعقاب أحداث باريس..

إضافة إلى القرصنة، وجدت ومازالت توجد إلى الآن حملات تستهزء من التنظيم وتسخر من هزائمه المتكررة.

كذلك ساعدت مثل هذه المجموعات التقنية على اغلاق عدد من الحسابات والمواقع مساندة بذلك المجهود الرسمي لإدارات مواقع التواصل الاجتماعي.

في المقابل فإن التنظيم الجهادي ومع اشتداد المعركة الالكترونية وتكبده لعدة خسائر أثرت على فاعلية نشاطه الدعائي، صور المعركة بأن معركة بين الحق والباطل، وبين الايمان والكفر..ولذلك لمزيد تحفيز منتسبيه ومناصريه على خوض المعركة بكل شجاعة وشراسة.

«مجاهد أنت أيها الإعلامي» !! هكذا خاطب التنظيم «جنود الإعلام» من خلال كتيّب شهير.

التنظيم ووفاء منه للمعجم الحربي عنون أحد تحركاته الدفاعية (والتي أتت في شكل توجيهات) بـ «غزوة فضاء الانترنت»..

من بين أهم التوجيهات، دعوة التنظيم أنصاره للتوجه نحو مواقع بديلة لتويتر كموقع غوغل بلاس وموقع لنكيدين لإنشاء صفحات بإسم التنظيم وغزو المواقع بمواد إعلامية وحسابات مناصرة.

هذا بالإضافة إلى محاولة العودة نحو «ولاية فايسبوك» لأنها تستقطب أكثر عددا من المتابعين حول العالم، رغم الرقابة الأمنية الشديدة يريد التنظيم خوض هذه المعركة مجددا وهو معززا الان بطاقم من المختصين في المجال الالكتروني والاعلاميين...

كذلك الاهتمام بموقعي «فين» و«دياسپورا» الشبيهين بتويتر وموقع «ف.ك» التواصلي الروسي لأنه يتميز بعدم حذف الفيديوهات إثر النشر.

بالنسبة للفيديوهات ، يستخدم التنظيم حاليا عدة مواقع بديلة مثل : «فيميو»، «آرشيف»، «دايلي موشن»...

وأما بخصوص أساليب التخفي فدائما ما ينشر التنظيم إرشادات حول هذا الأمر لأنّه الاطاحة بعناصر تابعة للتنظيم عبر الرقابة سيهدر جزءً كبيرا من الجهد الذي بذله التنظيم في الاستقطاب ورصّ الصفوف...

ختاما، يمكن القول أن الحملات التي تنتهجها المواقع الالكترونية على التنظيم وان حققت نتائج ايجابية في مجملها فإنها لم تنجح في إزاحة التنظيم من مجالها الحيوي..

لذا فمن الأجدر خوض المواجهة على أساس مضمون الرسائل لأن مواجهة الحجم بالحجم والحملة بالحملة المضادة سيظل دائما في صالح التنظيم ، وهو ما يجعله متواجدا بقوة إلى حدود كتابة هذه الأسطر.

لأن قدراته الانتاجية كبيرة وحتى مضمون الحملات المضادة أضعف بكثير خطابيا من بنية مادة التنظيم الدعائية.

ولا ننسى أن المنتسبين إلى التنظيم وحتى إن يكونوا من العسكريين فإنهم يحملون عقيدة عسكرية بكل تفاصيلها، فكل جهد يبذل يتنزل في إطار «الجهاد»...

بعد أن اطلعنا على أهم جوانب الاستراتيجية الاعلامية لتنظيم الدولة سنحاول الغوص الأكثر في هذا المجال المتشعّب من خلال دراسة نماذج من منتجات إعلامية مرئية وصوتية (تسجيلات وأناشيد) ومكتوبة.

الفصل الخامس :
ايديولوجيا الخطاب الجهادي
لتنظيم الدولة : قراءة في نماذج
من مواده الإعلامية

المبحث الأول :
الخطاب الإعلامي المرئي
«تحليل نماذج من الإصدارات المرئية»

تنظيم الدولة تحول من مجرد هيكلي تنظيمي جهادي كسائره من الحركات الجهادية السابقة إلى ظاهرة تستدعي منا قراءة دقيقة وملمّة للبنية الايديولوجية النظرية وعلاقتها بالممارسات العملية.

رغم وجود مشترك نظري هام يجمع بين مختلف الحركات الجهادية غير أن تنظيم الدولة صاغ خطابا مغايرا وخاض حتى معارك شرسة مع منافسيه.

الأمر المثير للانتباه هنا هو أن المعركة قامت على اختلافات نظرية مما يوحي بتغير منهجي في الايديولوجيا الجهادية و بتنا نتحدث عن تنظيم جديد «ما بعد جهادي» يختلف بشكل راديكالي عن السائد والسابق.

نقول هذا لأن الباحثين في هذا المجال اختلفوا في تشخيص أسباب الخلافات بين تنظيم الدولة و القاعدة مثلا ، فهل هو اختلاف تكتيكي في إدارة المعارك أم هو اختلاف أعمق من هذا ويخص الجانب الفكري ؟

وهل الخلاف مرحلي وربما مستقبلا نشهد صلحا بين التنظيمين ؟

وهل أن هذا التمايز هو تمايز في العناصر الصلبة المكونة للايديولوجيا الجهادية عموما ؟

لتفكيك بنية خطاب تنظيم الدولة اتجهنا نحو تحليل نماذج من إصداراته الإعلامية المختلفة بما أنها واجهة التنظيم وتعبر بكل وضوح عن كل أفكاره ورسائله وأهدافه...

فنجد خطاب مظلومية وخطاب مؤامرة وخطاب استعراضي للقوة والاستمرارية والتمدد وخطابه يروج لحلم الدولة «الخلافة» لجعلها أمرا واقعا...

سنبدأ بالشكل الأكثر تأثيرا وهو الشكل المرئي.

النموذج الأوّل هو إصدار للمؤسسة الأكثر نشاطا والأولى في تاريخ التنظيم.

وهي التي تعبر بشكل واضح عن النهج المتوحش الذي سلكه التنظيم منذ تأسيسها.

إصدار مؤسسة الفرقان المعني بالتحليل، يزخر بعدد هام من الرسائل الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية.

رسائل تبين بعض مواقف التنظيم واعتماده على منهجية واضحة في ايصال ما يريد من معان.

عنوان الإصدار : على منهاج النبوة
مدة الإصدار : 36 دقيقة و7 ثوان
تاريخ الإصدار : 07 جانفي 2015

قام التنظيم بحملة ترويجية لهذا الإصدار قبل نشره، ولاقى ظهوره ردود فعل كبيرة سواء في صفوف المناصرين أو المعارضين لفكر التنظيم.

قبل الغوض في مضمون الفيديو ننطلق بالبحث في اختيار العنوان.

«على منهاج النبوة» ويُقصد بها «الخلافة» نسبة إلى حديث نوبي.

روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه الله، قال: كنا جلوساً في المسجد فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال : يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمراء، فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة.

فقال حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت. قال حبيب : فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه. فقلت له : إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين ـ يعني عمر ـ بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فَسُرَّ به وأعجبه.

من خلال العنوان، يمكن أن نستشرف مضمون الفيديو الذي سيتمحور حول «إعلان الخلافة»...

الفيديو تم نشره أشهر بعد إعلان قيام «دولة الخلافة» من الموصل منتصف سنة 2014، ويأتي في إطار الحفاظ على وجود هذه الدولة الفتيّة والذود عنها بكل الوسائل الممكنة.

انطلق الفيديو على صوت «آلات التنبيه» لعدد كبير من السيارات التي تظهر في شكل موكب يذكرنا بالمواكب الاحتفالية للأعراس والمناسبات السعيدة.

الموكب الضخم مكون من سيارات وسيارات عسكرية ودبابات ومدفعيات كدلالة على التفوق العسكري، وفرسان يركبون خيولا تجوب المدن وفي هذا إحالة على الأصالة والاعتزاز بالتاريخ المشرق لإسلام الفتح...

أعلام التنظيم حرصت الكاميرا على تبيانها عالية مرفرفة في السماء كمشهد من مشاهد الافتخار بالانتصارات الأخيرة التي حققها التنظيم.

يشار إلى أنه تم اعتماد التصوير البطئ في هذه المشاهد الأولى أسوة بما نشاهده في عدد من الأعمال الفنية السينمائية، وهو ما يعكس القيمة الفنية العالية لخبراء التنظيم.

التصوير تم من عدة زوايا، وذلك لإضفاء الشكل السينمائي للعمل. فالتنظيم خرج من إطار الإصدارات المرئية الكلاسيكية التي تؤطر المشاهد من خلال زواية يتيمة.

الملفت للانتباه كذلك وككل الاصدارات المرئية يظهر نشيد جهادي في الخلفية، والنشيد الجهادي دائما ما يكون حضوره موظّفا ومتناسقا مع مضمون المشهد.

النشيد الذي ابتدأ به العمل يحمل عنوان «هذا الطريق وهذه الأعلام» وكلماته تقول :

« هذا الطريق وهذه الأعلام
فاصدع بأمرك إنه الإسلام
قد عاد يعلو ناشراً نور الهدى
بغداد قامت واستفاق الشام»

وكما أوردنا سابقا نجد النشيد مطابقا للصورة، الطريق وهو الطريق الذي تسير فيه السيارات وبقية العربات والخيول، الأعلام وهي أعلام التنظيم ، الاسلام «عاد يعلو» في إشارة لإعلاء التنظيم لراية الإسلام، «بغداد قامت واستفاق الشام» وهي عبارة متعلقة بالوضع الجيوسياسي آنذاك، حين بدأ التنظيم مسيرته الجهادية من العراق (بغداد العاصمة وتمثل العراق وتمثل مجد الخلافة العباسية) وألحقها بالشام (سوريا تحديدا وتحيل كذلك على الخلافة الأموية)...

الموكب كما ضم مقاتلين قد ضم أهالي وتبدو على وجوه الجميع مظاهر الفرح والاستبشار بهذا «الفتح»...

التصوير حرفي للغاية فهو يقترب ليدقق في تفاصيل بعض الوجوه دون غيرها ليوصل رسالة مفادها أن الجميع متضامن بين بعضه البعض وأن التنظيم هو طالع خير على السكان على عكس ما يظهر في الإعلام أنّه مرفوض من عامة الناس.

خلفية الفيديو لا توظف الأناشيد الجهادية فقط بل يظهر في أكثر من مرة راو أو معلّق على الأحداث مما يضفي الطابع الوثائقي للعمل.

الرواي تحدث بداية عن امتداد سيطرة التنظيم نحو أكثر من منطقة وبذلك تحقق شرط التمكين ووجب إقامة الخلافة وتنصيب «خليفة للمؤمنين».

وهذا ما حدث فعلا بإعلان قيام «دولة الخلافة» ،وهو ليس بالحدث العادي في تاريخ التنظيم والتنظيمات الجهادية عموما.

لذلك حرص التنظيم على الاحتفاء بهذا الحدث على أكمل وجه..فتحديات «الدولة» أكبر من تحديات التنظيم...

قامت الخلافة وتم اختيار أبوبكر البغدادي خليفة..مع هذه الجملة ، صاح الناس مكبرين وساجدين سجود شكر..و هذا يدخل في باب الاحتفال بالحدث..

البغدادي نقل عنه تسجيل صوتي مصحوبا بكلمات النصّ، البغدادي وفي لبلاغته الكلامية وفصاحة عباراته.

من أبرز ما تضمنه خطابه هو الرسالة السياسية التي وجهها ضد نظم سياسية مخالفة لمنهج الجهاديين مثلا الديمقراطية واصفا إياها بالصنم والقومية واصفا إياها بالوثن.

معجم ديني لتوصيف مفاهيم سياسية، فالدين عند الجهاديين لا يتوقف دوره عند العبادات والطقوس والأحكام الفقهية فحسب بل يتجاوزه ليُقدّم كوسيلة يرتكز عليها الحكم السياسي.

تصحبنا الكاميرا فيما بعد نحو مجموعة من جنود التنظيم فرحين بسماع خبر قيام دولة الخلافة ويرددون بكل حماس نص البيعة للبغدادي...

هم يريدون القول من خلال هذا المشهد أن البيعة شيء مقدّس يجب تلاوتها بكل خشوع وحماس.. وهم بذلك يقارنون بينها وبين القسم الذي يتلوه المسؤولين عن الحكم بالدول المدنية..

البيعة تمت في إطار مجموعة وبأصوات جماعية متناسقة كدلالة على تماسك التنظيم ضمن وحدة متكاملة...

ثم خرجنا من هذا الإطار السياسي المتعلق بالحكم وانتقلنا إلى الشأن العسكري، حيث يظهر في الصورة قائد عسكري يخاطب مجموعة من المقاتلين ويعلمهم بأمر مهم.

المقاتلون يظهرون بلباس مختلف ووجوه مختلفة تدل على الطبيعة «الأممية» للتنظيم.

قائد الكتيبة أبلغ الجنود أن المعركة القادمة ستكون في مدينة سامراء العراقية ودعاها بـ «عاصمة الشرك»..

نفتح هنا قوسا مهما حول هذه المدينة وطبيعتها الديمغرافية، سامراء مدينة عريقة تاريخيا وتعيش بها أغلبية سنيّة ولكنها تعتبر من المدن المقدسة عند الشيعة باعتبارها تضم مرقدي الإمامين العسكريين ومراقد أخرى، هي تعتبر مثالا حيا عن التعايش بين السنة والشيعة وتمثل العراق بتنوعه..

هنا يريد القائد العسكري تحفيز الجنود عبر اللعب على ثنائية السنة والشيعة وابراز العداء بين الفرقتين.

كذلك يوظف السردية التاريخية للفئة القليلة التي غلبت فئة كثيرة، الفئة الكبيرة هي العدو والعدو حسب رؤيتهم هو «عدو الله»..

أي أن التنظيم يساوي بين مكانته والمكانة الإلهية، فكل عدو للتنظيم يراه بالضرورة عدوا لله..

اثر الكلمة التحريضية قام كل الجنود سواسية مع صيحات التكبير التي تحدث دافعا قويا في نفوس هؤلاء وتأثيرا نفسيا كبيرا عند المتلقي...

مع بداية اقتحام ثكنات الجيش العراقي بمحيط المدينة، النشيد كمؤثر صوتي مهم يظهر من جديد منسجما مع روح المشهد، «سرايا دولتي هيا...»

هذا النشيد هو شبيه موسيقيا ورساليا بالأغاني الوطنية والقومية في الدول العربية.. ففيه اعتزاز بالـ «دولة»..

عدسة الكاميرا لم تغفل عن توثيق كل هذه اللحظات بكل تفاصيلها، حيث اعتمدت في أكثر من مرة وبصورة مقرّبة على تصوير ملاحقة جنود التنظيم لجنود الجيش العراقي الهارب من المعركة.

التركيز على هذا المشهد فيه دلالة على النصر الذي يحققه التنظيم على خصومه موظفا آية قرآنية لأول مرة في الشريط وتحديدا الآية 111 من سورة آل عمران، لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ.

لغويا ظل التنظيم وفيا لمصطلحاته : «مرتدين» (والمقصود جنود الجيش العراقي)، «مظاهر الشرك»، «أعداء الله»...

يدخل «جنود الخلافة» مدينة سامراء بالآلات العسكرية والجرافات (كدلالة على المسك بزمام أمور المدينة).

وردا على الشبهات الإعلامية تبرز الكاميرا لافتات لمؤسسات عمومية ومحلات تدل على أن الفيديو مصوّر حقا في سامراء..

اقتحام المؤسسات الرسمية للدولة ورفع راية التنظيم عليها هو مظهر من مظاهر السيطرة التامة وإدارة شؤون الحياة اليومية منذ تلك اللحظة..

يتسلسل الفيديو ليبرز فرحة الأهالي استبشارا بقدوم جنود التنظيم إلى المدينة وفي هذا الأمر نوع من المبالغة الدعائية، فالجميع يعرف بطش التنظيم بمن يعاديه..

«عاصمة الشرك» كما سماها القائد العسكري ، يبدأ التنظيم «تطهيرها» من «مظاهر الشرك».. حيث تظهر مشاهد مكثفة لهدم وجرف وتفجير مراقد ومساجد شيعية و سنية على حد السواء...

وهذا هو جوهر التزواج بين المنهج السلفي والتيار الجهادي، « إقامة التوحيد» و«نبذ مظاهر الشرك « عبر وسيلة « الجهاد»...

مستدلين بقول ابن القيم أنه : لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا، فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته...

وقول ابن تيمية : {قوام الدين كتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هادياونصيرا}

في آخر الاصدار تظهر النزعة الدموية المتوحشة فقد ظهر مقطع لتقييد عشرات من الجنود العراقيين ، تظهر عل وجوهم المذلة والخوف من مصير مرعب ينتظرهم.

رغم بكاء البعض وسخطهم المعلن على حكام العراق لم يبد جنود التنظيم أي شفقة بهم وجمعوهم في مكان نائي وأطلقوا عليهم الرصاص..

ثم جيء بمجموعة أخرى وتم إطلاق الرصاص عليهم من قبل ملثمين ورمي جثثهم في نهر دجلة، معنونين عملهم بالثأر من أمهات المؤمنين،

والمقصد هو الموقف المعادي لجزء من الشيعة لعائشة إحدى زوجات محمّد الرسول.

أخيرا، ألقى قائد خطبة تحريضية لمجموعة من «المهاجرين» داعيا إلى الذود على هذه الدولة و«النفير» إليها من كل حدب وصوب..

الكاميرا أرادت أن تبرز لنا عالمية التنظيم فأظهرت لنا سود البشرة وبيضا، عربا وعجما، شبابا وشيبا...

أحد الشباب المغاربة الذين ظهروا في المشهد الأخير، يظهر مجددا مستعدا للقيام بـ «عملية استشهادية»، وتبدو عليها كما على سائر «الاستشهاديين» علامات الفرح والفخر داعيا الجميع إلى الالتحاق بالتنظيم أسوة بصهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي (دلالة أخرى على البعد العالمي للتنظيم)..

يتم تصوير العملية من عدة زوايا كأغلب العمليات النوعية..

ويُختم الفيلم بصورة لمقاتل يطل من مكان عال ويرفع راية التنظيم عاليا ومن وراءه نشيد :

«سوف تعلو راية الحق ويخبو الكافرين
ونعيد المجد للدين وعهد الصالحين»

من خلال هذا العمل المرئي، نفهم أن التنظيم يحاول أن يذهب بخطابه إلى خطاب الدولة.. الدولة التي تحتكر ممارسة العنف وفي نفس الوقت تدير شؤون الناس وتسعى لتطبيق أحكام الشريعة (في مقابل القوانين بالنسبة للدول المدنية)..

في هذا الفيديو مزيج بين السياسي (خطبة البغدادي) والديني (الاستدلال بالآيات والأحاديث وأقوال «العلماء» ونبذ «مظاهر الشرك»...) والعسكري (عمليات عسكرية متنوعة من اقتحام ومهاجمة حواجز وقنص وعمليات انتحارية...)

المبحث الثاني :
الخطاب الإعلامي الصوتي :
تحليل نموذج من الإصدارات الصوتية

ربما تكون المرئيات أكثر تأثيرا وأكثر أهمية بالنسبة للتنظيم نظرا لاحتوائها على مؤثرات تقنية عالية الجودة تجب انتباه المتلقي، لكن هذا لم يمنع التنظيم من تنويع أشكال مواده الإعلامية.

يمكن تقسيم المواد الصوتية إلى عدة أقسام :

* تلاوات القرآن : يبثها التنظيم عبر مختلف الوسائط ويكون التالون إما من جنود التنظيم أو مناصريه أو «العلماء» الذين لم يعاصروا التنظيم ولكنهم يشتركون معه في أغلب أفكاره

* النشرات الإخبارية : تختص بها بشكل رئيسي إذاعة البيان خاصة بعد انقطاع بثها على موجات الأثير

* الخطب الدينية الدعوية

* الخطب الدينية السياسية

* الخطب الارشادية حول مختلف التكتيكات العسكرية وأساليب التخفي...

* خطب قادة التنظيم : وهي تروج بشكل كبير وتجلب أكثر نسبة من المهتمين

* الأناشيد الجهادية : وتبث بشكل منهجي على عدة وسائط وعادة ما لا تشملها الرقابة المعلوماتية.

سنتناول هنا مثالا عن أحد الاصدارات الصوتية وأساسا خطب قادة التنظيم.

ونخص بهذا «الخليفة» نظرا لقلة ظهوره حيث ظهر في مناسبة وحيدة خلال إصدار مرئي أثناء القاءه لخطبة الجمعة بالمسجد الكبير بالموصل معلنا قيام دولة الخلافة وظهر في مناسبات قليلة بصوته فقط.

عنوان المادة : وبشّر المؤمنين
تاريخ النشر : 09 أفريل 2013
المصدر : مؤسسة الفرقان للنتاج الإعلامي

في هذه الكلمة الصوتية أعلن البغدادي تمدد تنظيم نحو سوريا، وألغى اسم «دولة العراق الإسلامية» واسم «جبهة النصرة» لينضما تحت اسم واحد، هو الدولة الإسلامية في العراق والشام.

الهدف الرئيسي من الكلمة هو كسب الشرعية على الكيان الجديد ومحاولة اسم الجولاني أمير «جبهة النصرة» ال'ي راجت أخبار (قبل نشر التسجيل) أنّها خرج عن طاعة البغدادي رافضا هذا القرار.

البغدادي قال عن الجولاني أنه أحد جنوده وأنه من أرسله إلى سوريا وأن «النصرة» هي امتداد لدولة العراق الإسلامية.

وفتحت الكلمة باب التنظير لفقهاء وشرعيي التنظيم قصد ايجاد الشرعية الدينية للكيان الجديد على أساس الغلبة والشوكة والتمكين، وبذلك تمهيدا لإعلان قيام «دولة الخلافة».

برر البغدادي في كلمته هذا التغيير في الإسم بأنه خطوة للأمام نحو تمدد «الدولة الإسلامية» وأن المشاريع الجهادية أرفع قيمة من أسماء التنظيمات.

وقال عن التوجه الجديد أنه ارتقاء بقيمة الجهاد من مرتبة أدنى إلى مرتبة أعلى وقال إن هذا الارتقاء لا يفكر به : «إلا من آتاه الله تعالى بعدا في النظر، وإحاطة بالمصالح العامة، وبما تنتظره الأمة من المجاهدين في

سبيل الله تعالى... ومن رزقه الله تعالى العلم بالمواطن التي تغيظ الكفار والمرتدين.»

ركّز البغدادي على مسألة تغيير الإسم وأورد أمثلة تاريخية من حقبة الاحتلال الأمريكي للعراق، مبينا أن تغيرات ما فرضت التحول من إسم «القاعدة» إلى إسم «مجلس شورى المجاهدين» إلى «دولة العراق الإسلامية».

وما دام الجولاني هو «أحد جنود التنظيم» وما دام التنظيم قد امتد نفوذه إلى داخل فلا بد من تجميع الجهود تحت راية أكثر اتساعا.

البغدادي يظهر هنا بصفته السياسية لا بصفته الدينية وهو يراوح دائما بين المسألتين، فالبغدادي الحائز على دكتوراة في علوم القرآن يتميز بفصاحة وبلاغة كلامية عاليتين وفي ذات الوقت فتجربته «السياسية» منذ فترة الاحتلال الامريكي وتدرجه سريعا من مجرد جندي في أحد التنظيمات الجهادية إلى «الخليفة» والرجل الأكثر خطورة في العالم...

البغدادي وبعد أن أعلن تمدده إلى الداخل السوري، وجه رسالة للسوريين محذرا إياهم من استبدال «الحكم الديكتاتوري» بـ«حكم ديمقراطي» لم تجنِ منه شعوب «الربيع العربي» إلا «خرابا»، قائلا : «إياكم أن تلدغوا من الجحر الذي لُدِغ فيه المسلمون في تلك البلاد»

وفي هذا جزء من تقديم دولته، التي لا تعترف بالديمقراطية ونهجها وتحتكم إلى الشريعة، حسب قوله، وترويجا لها على مخلص مما يعانيه السوريون.

المبحث الثالث :
الأناشيد الجهادية وتأثيراتها

الموسيقى وبوصفها تعبيرة فنية يوصل الفرد من خلالها مجموعة من الأفكار والرسائل، الموسيقى تمارس تأثيرا كبيرا على الفرد ومزاجه اليومي.

من منّا من لم ينسجم يوما مع مقطع موسيقي إلى حد التوهان ؟

الأناشيد كشكل من أشكال الموسيقى، تمارس تأثيرا كبيرا على المتلقي وتوظف كثيرا في الجانب الدعوي وخاصة منها التي تشعر الانسان بالندم على اقترافه ذنوبا وتحدث فيه منسوبا هائلا من الخوف من أهوال القيامة ومصيره في الآخرة. يصل الشخص أحيانا إلى حد الانهيار وتحقير نفسه..

الأناشيد كما غيرها من الأشكال الموسيقية تخضع لمعايير فنية جمالية، ربما «جمالية العنف» أو «جمالية النصّ»...

تاريخيا، بدأت الأأناشيد الجهادية فعليا مع المنشد السوري «أبو مازن»..

عندما نبحث عن «أبو مازن» على محركات البحث بشبكة الانترنت ستعترضنا حتما أخبار عن «أبو مازن» الفلسطيني، القيادي في حركة فتح والرئيس الفلسطيني.

أما أبو مازن السوري فهو شاب دمشقي عاد بنا إلى فترة الستينات ،وهي فترة شهدت تنوعا فكريا وسياسيا اختلط فيها الإخوانيّ بالصوفيّ بالسلفي، فهناك السباعيّ وهناك الألباني وهناك جودت سعيد، يلتقون على رغبة ثورية تفيض عملاً لاستنهاض «الحضارة الإسلامية».

لم يبتكر أبو مازن النشيد الإسلامي لكنه قام بمجهود في إضفاء تركيبة موسيقية محدّدة...

للمرور من النشيد الإسلامي الكلاسيكي والذي يُستمع إليه في حلقات ضيقة إلى نشيد إسلامي مؤطر ضمن إطار إيديولوجي.

من هنا بدأنا نتحدث عن صناعة النشيد ودوره في التعبئة.

تربى أبو مازن في بيئة تجمع بين الاخوان بنظرتهم للتغيير من خلال النشاط الحركي داخل المجتمع وبين السلفية التقليدية التي تكبّل كل جهد يدفع نحو التجديد.

أنشد شمس أمجاد الإسلام في قصائد النافذين، وأنشد قمر مأساة الإسلام في قصائد المضطهدين. هكذا لحّن أبو مازن قصائد الشاعر الهندي محمد إقبال الأب الروحي لدولة باكستان – الذي غنت له أم كلثوم قصيدة حديث الروح، ومنها الصين لنا والعرب لنا التي تريد الإسلام مشروعاً عالمياً بملامح حضارية. وغنّى أعيدوا مجدنا لحافظ إبراهيم صديق أحمد شوقي وخليل مطران. لكنه لحّن أيضاً قصيدة أخي أنت حرّ للمصري السجين سيّد قطب، وأحزان قلبي لا تزول لمروان حديد مؤسس حركة الطليعة المقاتلة، وهما شخصيتان تفرّعتا من الجذر الإخواني نحو خيار التسلّح في وجه الخصم القوميّ الحاكم، وانتهت حياتهما في المعتقل.

لكن الشاعر الأقرب إلى أبي مازن كان الداعية المصري إبراهيم عزت، بقصائد له كملحمة الدعوة وأرملة الشهيد وحبيبتي بلادي. وإن كان علينا أن نصف شعر عزت فنقول إنه من الشعر الحديث أو الحرّ، لا في شكليته وتفعيلاته فحسب بل أيضاً في موضوعاته وصوره كما في ملحمة الدعوة التي ينهيها بـ:

عرفت قصة الطريق كلَّها
الموت أول المطاف
لكنّ خضرة الطَّريق لا يصيبها الجفاف
قادمٌ .. وقادمٌ .. وقادمُ

إشراقة مضيئة تجيء في الختام
تقدَّموا ... تقدَّموا ... تقدَّموا
فبعد لحظة من المسير
إعلان
ينتهي الزحام
ينتهي الزحام
لا بديل للخلود
لا بديل للجنان
لا بديل
لا بديل غير ذلّةِ الرُّغام
لا بديل غير خدعة السَّراب
لا بديل غير وهدةِ الظَّلام
لا بديل للإقدام ... غير سحقةِ الأَقدام

كان أبو مازن ممزقا بين حبه للموسيقى ومعارفه الهامة بهذا المجال وبين الرؤية الدينية المغلقة التي ترى في الموسيقى مزمارا شيطانيا ومحرّمة.

أبو مازن حاول الجمع بين المسألتين إذ لم يوظّف آلالات موسيقية في أناشيده لكنه طور الانشاد الإسلامي من حيث المضمون والشكل الموسيقى المتطور لجعله أكثر استماعا وتأثيرا.

فالهدف من النشيد ليس موسيقيا فقط حسب نظره بل هو دافعا نحو الاستقطاب والتعبئة الجماهيري حول مشروع اسلامي واسع.

نغمياً مال أبو مازن إلى طيف حسّي يحاكي «العالمية» في إسلامه، عالمية ينوي أن يتصدى بها للنزعة الفولكلورية داخل الإسلام وفنونه وفكره، ويحملّها «روح العصر» الثورية المشبعة بقيم العمل وبالـ«دراما الجماعية». هي هنا روح «فجر الأمة (والإله)»، على نفس أرضية غسق الآلهة لريتشارد

فاغنير، تنفيها فتشابهها. لا نذهب بعيداً في افتراض النوايا الجماليّاتية للفتى الذي كان تقريباً في السادسة عشر من عمره حين بدأ بتلحين القصائد وإنشادها. بل قد يكون الأحرى بنا أن نتقصّى التأثيرات الكامنة في ألحانه.

ولا شكّ مثلاً، في أن القصيدة الأولى التي سجلها أبو مازن وهي قصيدة قطب أخي أنت حر، ملّحنة على ايقاع المارش المنوط بالأناشيد الوطنية وعلى مقام الرست. منذ مطلع أخي أنت حر نستعيد سريعاً بلادي بلادي الذي لحّنه سيد درويش رائد النشيد في المشرق العربي، وحماة الديار من ألحان الأخوين فليفل. ولكن الفارق النغمي الدقيق هو نفسه الفارق بين مقامي العجم والرست.

منذ الثمانينات بدأت العيون الإسلامية تتجه نحو أفغانستان، عبد الله عزام الفلسطيني وقتها كان أسس مكتبا للخدمات مستقبلا «المجاهدين العرب» القادمين من عدة أقطار، في حركة شبيهة بالهجرة المحمدية.

عزّام وضع الحجر الأساس في مخيال جهادي جديد يدور حول التغريبة (أو التشريقة) العربية في وديان أفغانستان والشيشان لاحقاً. بعد عام من هذا، كان السعودي سعد الغامدي في الثامنة عشر من عمره ينشد في الجامعة – بحسب الرواية المتداولة – لحن قصيدة غرباء لسيد قطب، ليصدره ضمن شريط أناشيد الدمام في العام 1987. لكن اللحن المتراوح بين الحزن والبطولة (على مقام الكرد)، لم يتفشّ في الأوساط الإسلامية إلا بعد عقد من ولادته الأولى، وتحديداً يوم ما يسمى بمحاكمة الغرباء، أي اليوم الذي أدانت فيه محكمة مصرية متهمين من جماعة الجهاد باغتيال رئيس مجلس الشعب. عند صدور الحكم بالإعدام، وقف المتهم محمد النجار في القفص وأنشد غرباء في مشهد مصوّر أعاد إنتاج المظلومية المرتكزة على عذابات السجون.

بعد مرحلة أفغانستان، اتجهنا نحو العراق مع فترة الغزو الأمريكي سنة 2003.

كانت أغلب الحركات المسلحة وقتها من جهادية ووطنية وصوفية واسلامية شيعية وغيرها.. توظف الجانب الإنشادي في عدد هام من إصداراتها المرئية.

ومع عولمة الصورة بزغت صورة الذبح، وواكبت الأناشيد الجهادية هذه التطورات على مستوى الخطاب والممارسات.

مع الزرقاوي تغيرت المعادلة وأصبحت الحركة الجهادية التي انبثقت عن تنظيم القاعدة ببلاد الرافدين حركة جهادية تنزّل العنف في أطر أكثر توحشا.

ونضرب على ذلك مثل النشيد الملازم لداعش : صليل الصوارم الذي رافق عدداً من فيديوهات داعش المختصة بإذاعة مشاهد إعدام خصومهم المسلمين المرتدين كما يصفونهم، من أبرزها الفيديو الهوليوودي المروّع لإحراق الطيّار الأردني معاذ الكساسبة.

«إذا الكفر ماج وأرغى وهاج، ملأنا الفجاج دمًا أحمراً»، «أهل الجزيرة إذا جينا، الذبح والسلخ بأيدينا»، «رصوا الصفوف وبايعوا البغدادي»، أمثلة عن أناشيد مليئة بمنسوب العنف نجد لها صدى واسعا في إصدارات تنظيم الدولة.

ويمكن تقسيم الأناشيد إلى عدة أنواع : نشيد المعركة، نشيد الحزن، نشيد المظلومية، نشيد موت المقدّس، نشيد «الدولة»، نشيد المدح، نشيد الهجاء، نشيد الرثاء، نشيد النصر، نشيد يتعلق بالأسر، نشيد يتعلق بأمهات «المجاهدين».

و تظل الأناشيد وسيلة هامة من الحركات الجهادية وحتى الحركات الإسلامية الأخرى (حماس، حزب الله) للقدرة التأثيرية العالية للموسيقى على الجزء النفسي للإنسان.

المبحث الرابع :
الخطاب الإعلامي العالمي :
مجلة دابق نموذجا

المجلة (ومن بعدها مجلة «رومية») هي الصوت العالمي للتنظيم، تصدر بلغات أجنبية وتخاطب الآخر بخصوصياته الثقافية المتنوعة ولغته المختلفة محاولة عرض منهج التنظيم وتسويقه، بما يحتويه من أصول وسرديات، وتفصيله من أجل خدمة أهداف التنظيم وتحركاته على الأرض.

سنعرض هنا نموذجا من مادة المجلة يوضح كيف جاء دوره الخطابي مسوغا ومسوقا مواقف التنظيم العملية.

عنوان المقال : حلفاء القاعدة في الشام

العدد وتاريخ النشر : العدد الثامن / مارس 2015

تماهت هذه المادة الإعلامية مع خطابات قادة التنظيم المهاجمة للفصائل والجماعات المقاتلة في سوريا وجاءت عاكسة لتطورات الصراع على الأرض بين التنظيم والفصائل المنافسة.

مع تصاعد وتيرة المعارك الكلامية والتي انجرت عنها معارك عسكرية ميدانية، ومن منطلق أهمية الخطاب وموقعه، اتخذت مجلة دابق خطا هجوميا ضد الفصائل الاخرى.

فشنت في عددها الثامن حملة دعائية خطابية استخدمت فيها كل المسوغات الشرعية لصدامها مع تلك الجماعات والجبهات والتي كانت ركيزتها الأساسية الحكم بردة هذه المجموعات وتعطيلها لقيام دولة الخلافة.

أوضح المقال تقسيما للجماعات المسلحة في سوريا بين جماعات «تدين بدين

الديمقراطية» وجماعات «فاسدة العقيدة» وجماعات «ثابتة عمالتها للغرب» ومنها جماعات جهادية لكنها «تتولى المرتدين» وتتحالف معهم.

الفصائل المرتبطة بالقاعدة يسميها التنظيم بـ «الصحوات» في إشارة للصحوات التي تشكلت من قوات عشائرية عراقية وتعاونت مع القوات الأمريكية في التصدي للتيارات الجهادية آنذاك.

الوصف يحيل بالضرورة إلى إصدار حكم الردة والخروج من الإسلام حسب رؤيتهم للصراع الفكري وذلك لعلاقة بعضها بقوى وأنظمة سياسية معادية لتنظيم الدولة وأخرى يعتبرها التنظيم «كافرة» لأنها «عطلت الشرع مرتين»، مرة بعدم تطبيقه ومرة بقتال «الدولة الحاكمة بالشريعة».

المقال تبنى كذلك فكرة المؤامرة ضد التنظيم من طرف بقية الفصائل.

هذه الفصائل خصها المقال بتسميات خاصة به، فعند هجومها على جبهة النصرة نعتتها بـ «جبهة الجولاني» في إشارة إلى الخلاف الحاد بين البغدادي والجولاني.

نالت الجبهة من المجلة، أحكاما بالكفر والردة وهجوما خطابيا ناريا...

شأنها في ذلك فصيلي «أحرار الشام» و «جيش الإسلام» حيث عدتهما المجلة من «مرتدي الصحوات» وكذلك «الجبهة الإسلامية» وهي جبهة ضمت 3 فصائل إسلامية معارضة للنظام السوري الرسمي.

هي في خطاب المجلة من «الصحوات المرتدة» المتهمة بالعمالة والخيانة ومحاربة الشريعة في تماثل مع خطابات قادة التنظيم وخاصة «العدناني» الذي وصفها بـ «جبهة الضرار» و«جبهة آل سلول» في إشارة إلى ارتباطها بحكام السعودية.

كذلك تناولت المجلة «الجبهة الشامية» وهي جبهة أنشئت في ديسمبر 2014 وضمت كبار فصائل المعارضة السورية في حلب.

الجبهة الشامية تم التركيز عليها باعتبارها جبهة غير جهادية وتتبنى مشروع دولة وطنية تقاتل من أجله في سوريا.

استند المقال في هجومه إلى كلمة رئيس المكتب السياسي للجبهة «زكريا ملاحفجي» في «مؤتمر للقوى الثورية في حلب» الذي عقد في تركيا في 1 مارس 2015.

قال وقتها أن مشروعهم السياسي يسعى لتوحيد كل السوريين تحت راية مواطنية لا تميز بين أحد منهم وأنهم يعتبرون حكومات قطر وتركيا والسعودية أشقاء ويطالبهم بالدعم.

هذه العبارات عدها المقال «منحرفة» لأنها تشيد بالوطنية ، الجبهة الشامية قال عنها المقال أنها تقف تحت «راية الجاهلية القومية المنتصبة» وتحت «راية صليبيين اثنيين : سايكس وبيكو» لا من أجل «التوحيد والحق»

عموما، دائما ما يريد التنظيم تنقية نفسه من أي شبهة بالتعامل مع الغرب أو مع حكومات دول أخرى، فهو حسبه الاستثناء الوحيد في الساحة السياسية السورية وانتهى المقال باستشراف مصير جبهة النصرة : «جبهة الجولاني سوف تجد أن خيانتها للمجاهدين وأنصار الدولة الإسلامية، سوف تنتهي بخيانة الصحوات لها، وبعض من هذا بدأ بالفعل».

خاتمة الكتاب

إلى حدود كتابة هذه الأسطر، لم ينجح تنظيم «الدولة الإسلامية» في استرجاع عدة مناطق انتزعَت منه منذ إعلانه «الخلافة» في منتصف سنة 2014.

هذا التمدد «الامبراطوري» والانتشاء بالانجازات الميدانية التي حققها التنظيم في أكثر من مكان إلى درجة أنّها بات يتحدث عن «فتح روما وباريس وواشنطن» !!

وربما هذا التمدد هو الذي أخاف العالم من إمكانية التغوّل اللامتناهي للتنظيم في أكثر من دولة محاذية لسوريا والعراق، وهذا التمدد هو الذي ساهم في بداية «الأفول»...

حتى بتنا الآن نتحدث عن «خلافة افتراضية» عاصمتها «ولاية الانترنت»...

استراتيجيا ومع وعي قيادات التنظيم بأن معركتي العراق وسوريا هما خاسرتان لامحالة باعتبار تغيّر الأوضاع الجيوسياسية في المنطقة، اتجهوا نحو رصّ الصفوف ورفع وتيرة الاستقطاب بدول أخرى على غرار أفغانستان ونيجيريا التي حقق فيها التنظيم نجاحات نوعية مؤخرا.

في المستبقل القريب يصعب الاقرار بالانهيار التام للتنظيم.

أوّلا على المستوى البشري لا يزال التنظيم محافظا على تماسكه الهيكلي وحتى القيادات التي تم اغتيالها أو اعتقالها، نجح في تعويضها.

كذلك بالنسبة لعدد المقاتلين، وحتى نسق الاستقطاب لا يزال يتم بدرجة محترمة رغم التراجع النسبي.

ثانيا، قام التنظيم مؤخرا بتكثيف نشاطه الإعلامي على المستوى الكمي والنوعي.

فقد ظهرت عدة شبكات إعلامية مناصرة للتنظيم وتقدّم في مواد على درجة قياسية من الجودة وتستخدم تقنيات متطورة في المجال الرقمي التكنولوجي.

عند متابعتنا لهذا النشاط، من الصعب التصديق بأنّ هذا التنظيم فقد فعلا السيطرة على عدة مناطق.

حتى في الكلمة الصوتية الأخيرة للبغدادي التي نشرت في شهر سبتمبر 2018، دعا «الخليفة» الكادر البشري للتنظيم للصبر في المحن وعدم الاستسلام والثبات والتماسك.

وهو ما وجدنا له صدى في النشاط الإعلامي للتنظيم، تغريدات يومية على تويتر فيها نبرة من التحدي والصمود في وجه الخصوم، خطاب أكثر توحشا، إصدارات مرئية لم تنقطع، مجلات رسمية حافظت على نسق صدورها وكأنّ شيئا لم يحدث.

لهذا لا بد من الاعتراف من صعوبة مواجهة هؤلاء، وحتى الأداء الإعلامي في الدول التي تضررت من هجومات دموية (نسبها التنظيم لنفسه) وخاصة في الدول العربية يبدو قاصرا عن تقديم نموذج إعلامي بديل، بإمكانه مواجهة «الإعلام الجهادي» على مستوى المضمون والشكل.

ربما من الأجدى أن تغزو الشبكات الإعلامية فضاء الانترنت وخصوصا وسائل التواصل الاجتماعي التي تمثلت حلبة الصراع وساحة المعركة، هناك يقضي الشباب مساحة كبيرة من وقته...

وهو ما يفسّر اهتمام التنظيم بهذا المجال الافتراضي وتوظيفه لصالح «الجهاد الالكتروني»، لا سيما وأن الموارد البشرية للتنظيم قيادات وعناصر تتكون في نسبة تتجاوز التسعين بالمائة من الشباب.

هؤلاء يجدون في التنظيم، نموذجا أكثر جاذبية... نموذج يقوم على إحياء «أمجاد الإسلام» وفتوحاته وحروبه ضد «الكفار» و«الصليبيين» والهيمنة الأمريكية على المنطقة كما تقوم أدبياتها.

الشباب الإسلامي المحبط البائس والذي يبحث عن إطار يستوعبه ويشعره بقيمته ويعترف بقدراته ومهاراته، يواصل تدفقه إلى الأراضي التي يوجد فيها تنظيم الدولة... رغم الهزائم المتكررة...

نتحدث باسهاب عن الفئة الشبابية باعتبارها النواة الأهم في هيكل التنظيم وفكره ومستقبله، هذه الفئة تحتوى على كفاء ات في عدة مجالات لذلك وجب الاعتناء بها واعطائها القيمة العلمية التي تستحقها والاستفادة منها للدفع بالأوطان نحو الأمام.

«الجهاديين الجدد» يمثلون الخطر الأكبر على البلدان المستهدفة، فسيناريو الرعب الحقيقي يكمن في الأساليب الارهابية البديلة.

نتحدث أساسا عن «الذئاب المفردة» وهو تكتيك عسكري ثانوي لجأ إليه التنظيم مرحليا لتخفيف التنظيم عن معاقله الرئيسية واليوم ينظر إليه كخيار استراتيجي أساسي في سلوك التنظيم.

هذه الذئاب لم تعد في حاجة إلى مجموعة وقيادة تتحرك ضمنها، ما يحركها هو فكر التنظيم الجهادي.

نتحدث هنا عن فكر التنظيم الذي تطور كثيرا عن الفكر الجهادي السائد، وانفصل بذلك عن الفكر العام وأصبح فكرا مكتمل المعالم لا مجرد تجربة تاريخية ضمن المنهج السلفي الجهادي.

ومع تطور التكنولوجيا لم يعد هؤلاء على السفر وتلقي التدريبات في بلدان يوجد بها التنظيم ميدانيا، بعض الدقائق فقط تكفي للاطلاع عن كل الارشادات والتوجيهات المتعلقة بتنفيذ مثل هذه العمليات النوعية، كنّا اطلعنا على بعض منها في اصدارات التنظيم لكننا ارتأينا عدم عرضها.

«الذئاب المنفردة»، «الارهاب البيولوجي»، «الارهاب الكيميائي» هي توجهات استراتيجية من الممكن أن يتنهجها التنظيم مستقبلا حفاظا على وجوده وخلقا لأشكال حديثة من العنف ضد خصومه...

ختاما، نريد الإشارة إلى أننا لم نتمكن من عرض كل التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع نظرا لضيق مساحة الكتابة وأيضا للأحداث المتسارعة يوميا ومواكبة التنظيم الجهادي لكل التطورات التكنولوجية الحديثة، إضافة إلى تفادي الاشارة لعدد من المقاطع الصورية خشية من الوقوع في فخ الدعاية المجانية للتنظيم.

فما بين الدعاية والتحليل الموضوعي خيط رفيع...

المراجع

1. برتراند راسل، النظرة العلمية، تعريب عثمان نوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1956، ص : 251.
2. برتراند راسل، النظرة العلمية، تعريب عثمان نوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1956، ص : 247.
3. مقال علاقة الإنسان بالطبيعة : وجهة نظر فلسفية بقلم عبد الكبير الطالب، أستاذ الفلسفة بثانوية الحسن الثاني نشر بموقع ميلدت بريس بتاريخ
4. رونيه ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا، بيروت 1970، ص : 196.
5. محمد سبيلا، «الثورات العلمية التقنية الكبرى وتخومها الفلسفية والأخلاقية»، مدارات فلسفية عدد 16، 2008، ص : 51.
6. تقرير مؤسسة ايكو اكسبرتس بعنوان «الدولة الأكثر تلوثا في العالم» الصادر يوم 27 جانفي 2017، الرابط : https://blog.theecoexperts.co.uk/most-toxic-countries?__ga=1.9054387.702319549.1486161397
7. موقع جمعية الأمم المتحدة للبيئة
8. مقال ابراهيم نزار باحث مغربي، متخصِّص في الفلسفة. صدر في موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود بعنوان «العنف خاصية إنسانية».
9. [8 ـ 10] سفر التكوين العهد القديم.
10. المائدة، الآيات : 29، 28، 27، 30
11. إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، ص 19.

12. César Lombroso، L'homme criminel، Parisn Ancienne Librairie Germer Baillère، 1887، p. 270. Version électronique disponible en ligne : http://classiques.uqac.ca/classiques/lombroso__cesare/homme__criminel__1887/homme__criminel.pdf
13. عامر صالح، العنف: بين ماهيته السوسيولوجية وجذوره السيكولوجية والتربوية، موقع الحوار المتمدن العدد : 3647، صدر بتاريخ 23 فيفري 2012
14. قلق في الحضارة، فرويد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة.
15. دارات الحداثة، د. محمد علي سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر
16. الأنفال : 60
17. طوني نغري، حوار مع نغري، بيار اندري بوتونغ وآني شوفالاي، 2004.
18. فوكو، ميشال، المراقبة والعقاب، ترجمة علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990 م، ص 37.
19. دريدا، جاك، حوار مع صحيفة لوموند ديبلوماتيك في فيفري 2004 حول الإرهاب.
20. Max Weber : Le savant et la politique، Plon، Paris، page 113.
21. في العنف ، صفحة 73
22. الفيروزبادي (مجد الدين بن يعقوب) : القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1999، ص : 756. مادة عنف.
23. ضناوي، سعدي : أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993 ص 141.

24. خفاجي، د. محمد عبد المنعم : الشعر الجاهلي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973 ص 91 – 92.
25. خفاجي : الشعر الجاهلي، ص 90 – 92.
26. القيسي، نوري حمودي : الفروسية في الشعر الجاهلي، ط2، مكتبة النهضة العربية، 1984 ، ص 96.
27. أبو عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، ملتقطات من الكتب والمخطوطات، القسم الأول 10
دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية، عادل جاسم البياتي، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد العراق، د ط، 1976، ص 387 – 388.
28. راجع الزمخشري (جار الله محمود بن عمر) : أساس البلاغة، دار صادر بيروت لبنان، د 19 ط، 1979، ص : 437
29. محمد عزام : مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي، منشورات وزارة الثقافة السورية، 20 دمشق سورية، د ط، 1995، ص 195.
30. حنا الفاخوري : الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 05، د ت، ص : 06.
31. أبو عبيدة : المصدر نفسه، ص : 419.
32. (56) سورة الزخرف.
33. ابن منظور، لسان العرب 6 : 330 – 331، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988 م.
34. أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، المؤلف/مصطفى بن محمد بن مصطفى، مكتبة صيد الفوائد، 2003.
35. البخاري (2652)، ومسلم (2533) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود.
36. أحمد فريد السكندري، السلفية أصول وقواعد : 4 – 5.

37. حسن البنّا، مجموعة رسائل الامام الشهيد : 176، 191، 312، مؤسسة الرسالة، دون تاريخ.
38. مهدي عاكف، مقابلة في برنامج مراجعات؛ فرغ مضمونها موقع الإسلام أون لاين.
39. سيد قطب، معالم في الطريق : 4.
40. المصدر السابق : 3.
41. المصدر السابق : 4.
42. أكرم حجازي، مدخل إلى السلفية الجهادية ومشروعها الجهادي (نموذج العراق) : 6 – 7.
43. مدارج السالكين : (450/3).
44. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
45. د. عبيد خليفي، الجهاد لدى الحركات الإسلامية المعاصرة من جماعة الإخوان إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ص 246.
46. ابن بشر النجدي : عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبد الرحمان آل الشيخ، ط4 دار الملك عبد العزيز، الرياض ـ السعودية، سنة 1988، ص 41.
47. المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب : محمد سياق، دار القلم، الكويت، ط 5، 1971، ص 32.
48. المودودي، أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، دار الفكر الحديث، لبنان، ط2، 1967 م، ص 166.
49. سيد قطب : معالم في الطريق، ص 48
50. أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة، م س ، ص 120.
51. شريف يونس : سيد قطب والأصولية الإسلامية، القاهرة، دار طيبة، 1995، ص 210.

52. «صحيح البخاري».
53. «صحيح مسلم».
54. ابن منظور، لسان العرب، مادة الجهاد.
55. المصدر نفسه.
56. المصدر نفسه.
57. د.مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، طبعة السعودية، دار الندوة السعودية، ج 1، ص
58. الجزيرة، 10 سبتمبر 2015، برنامج الواقع العربي، من القاعدة لـ «الدولة» : هل تغيرت السلفية الجهادية ؟
59. ويليام مكانتس، «المؤمن : أبا بكر البغدادي زعيم الدولة الإسلامية»، موقع معهد بروكنجز، ترجمة : حمدي الكتوت، سبتمبر 2015.
60. ويليام مكانتس، المرجع السابق.
61. عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية الجذور، التوحش، المستقبل، دار الساقي، 2015، ط 2، ص 24.
62. هيثم مزاحم، «الخلاف بين الظواهري والبغدادي قد يؤدي إلى انشقاق القاعدة، موقع المونيتور، 11 نوفمبر 2013.
63. الظواهري يلغي تنظيم داعش... والبغدادي يرفض التنفيذ « ، موقع «العربية نت»، 2014/11/09 .
64. الإمام ابن باز : كلمة صوتية حول الجهاد في أفغانستان وضرورة دعمه بالنفس والمال، بتاريخ مارس 1980، الموقع الرسمي لابن باز.
65. بتاريخ 3 فيفري 2000، الملا وكيل أحمد.. طالبان وسنوات حكم أفغانستان، قناة الجزيرة.

66. برنامج لقاء اليوم، 2008/07/31، قناة الجزيرة.
67. أسامة بن لادن، من كلمة : بعد عام من الفشل الأمريكي في أفغانستان.
68. أيمن الظواهري، كلمة إلى رجال الإعلام الجهادي، مقتبسة من لقاء مؤسسة السحاب مع الظواهري، 2007/12/16
69. حسن أبو هنية، تنظيم القاعدة و«الجهاد» الإلكتروني، موقع الجزيرة نت، 19 سبتمبر 2010.
70. المنتديات الجهادية .. نافذة «القاعدة» وأنصارها عبر الفضاء الإلكتروني، السيد زايد، موقع إسلام أون لاين.نت.
71. JARRET BRACHMAN | JANUARY 22، 2010
72. قناة الجزيرة، برنامج الواقع العربي، حلقة «مسارات الإعلام الجهادي وتأثيراته»
73. الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي من كتاب «صهيل الجياد في شرح كتاب الجهاد».

قائمة الوثائق

تعريف العنف وأشكاله : مؤسسة مؤمنون بلا حدود

تعريف الإرهاب وأهدافه : مؤسسة مؤمنون بلا حدود

مفهوم الجهاد عند حسن البنّا : المصدر مؤسسة مؤمنون بلا حدود

أهم الفروق بين تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية حسب موقع الجزيرة.نت

تنظيم الدولة الإسلامية : البنية الفكرية وتعقيدات الواقع حسب موقع الجزيرة.نت

غلاف العدد الأول لمجلة الجهاد بتاريخ 28 ديسمبر 1984

غلاف العدد الأخير من مجلّة الجهاد (ديسمبر 1994 – جانفي 1995)

غلاف العدد الرابع لمجلة البنيان المرصوص (ديسمبر 1985)

صحف كويتية قامت بالدعاية الإعلامية للجهاد الأفغاني

رسالة من عبد رب الرسول سياف إلى الإعلامي الكويتي يوسف عبد الرحمان يطلب منه الدعم الإعلامي

غلاف إحدى المجلات الأفغانية الداعمة للجهاد الأفغاني

من منشورات الاتحاد الوطني لطلبة الكويت حين ذاك – فرع الكويت

مبنى وكالة البنيان التي تولّت نقل أخبار «الأفغان العرب»

استخدام اللاسلكي أثناء نقل أخبار جبهات الحرب

استخدام الهاتف لنقل أخبار المعارك

عدد من أعداد مجلة الصمود الإسلامية أحد الأذرع الإعلامية لحركة طالبان

صورة من أحد الإصدارات المرئية التي أنتجها الجهاز الإعلامي الرسمي لحركة طالبان

أبو مصعب الزرقاوي (في الوسط) أثناء أول عملية ذبح نقلت على الشاشة، للصحفي الأمريكي نيكولاس برغ

البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية حسب موقع الجزيرة للدراسات

هيكلة التنظيم نشرتها مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي (أحد أهم أذرعه الإعلامية)

وثيقة داخلية رسمية توضيحية حول المؤسسات الإعلامية لتنظيم الدولة

وثيقة رسمية داخلية بعنوان: التوجيهات و التعميمات العامّة

صورة من مقطع لاصدار مرئي لمؤسسة الفرقان بعنوان : «إعلان التشكيلة الوزارية لدولة العراق الإسلامية» ويظهر فيه «أبو محمد المشهداني» بصفته وزيرا للإعلام

صورة من مقطع لاصدار مرئي لمؤسسة الفرقان يظهر فيه محارب الجبوري معلنا قيام دولة العراق الإسلامية

صورة لإعلان لعبة صليل الصوارم

صورة من أحد حلقات سلسلة «نوافذ على أرض الملاحم»

مركز الحياة للاعلام يضطلع بالدور الأبرز في تأسيس خطاب عالمي لتنظيم أممي.

توثيق هذه الشهادات اشتغل عليه بشكل تقني مميز من خلال سلسلة «قصص من أرض الحياة» وظهرت أول حلقة في شهر مارس سنة 2015 وكان بطل الحلقة شيخا فرنسيا يدعى «أبو صهيب الفرنسي».

الإسلام دين السيف لا دين السلام : أحد المقالات التحريضية بمجلة دابق

عملة الخلافة الذهبية كما وردت في أحد مجلات دابق

مقال حول الرعاية الصحية جاء في عدد من مجلة دابق

صورة دعائية لقتلى التنظيم بمجلة دابق

الفهرس

مقدمة لا بدّ منها 5

الفصل الأول : العنف والعنف المقدّس 11

المبحث الأوّل : العنف خاصيّة إنسانيّة ؟ 13

المبحث الثاني : العنف في الثقافة العربية قبل الإسلام 33

الفصل الثاني : الحركات الجهادية المنظمة 41

المبحث الأول : الخصائص الفكريّة 43

المبحث الثاني : أهم الحركات الجهاديّة 75

1. جماعة الجهاد المصرية 75
2. جماعة الدعوة والهجرة 78
3. تنظيم القاعدة 80
4. تنظيم الدولة الإسلامية 89

الفصل الثالث : مسارات الإعلام الجهادي 97

المبحث الاول : مرحلة الافغان العرب وعولمة الجهاد 99

المبحث الثاني : مرحلة توسع حركة طالبان وإعلام الإمارة 116

المبحث الثالث : مرحلة قاعدة الجهاد والنقلة النوعيّة 123

المبحث الرابع : مرحلة تنظيم الدولة وإعلام التوحش 139

الفصل الرابع : الاستراتيجيا الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية 143

المبحث الأوّل : الأهداف والوسائل 145

المبحث الثاني : المؤسسات الإعلامية الرئيسية (الرسمية والمناصرة) 157

1. مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي 158

2. مؤسسة الإعتصام للإنتاج الإعلامي 165
3. مركز الحياة للإعلام 167
4. المكاتب الإعلامية للولايات 178
5. إذاعة البيان 182
6. وكالة أعماق 184
7. مؤسسات مناصرة غير رسمية 185
المبحث الثالث : تكنولوجيا التطوّر والدعاية : القنوات والوسائط.... 186
المبحث الرابع : كتائب الجهاد الألكتروني 197
الفصل الخامس : ايديولوجيا الخطاب الجهادي لتنظيم الدولة : قراءة في نماذج من مواده الإعلامية 201
المبحث الأول : الخطاب الإعلامي المرئي 203
«تحليل نماذج من الإصدارات المرئية»
المبحث الثاني : الخطاب الإعلامي الصوتي : 212
تحليل نموذج من الإصدارات الصوتية
المبحث الثالث : الأناشيد الجهادية وتأثيراتها 215
المبحث الرابع : الخطاب الإعلامي العالمي : مجلة دابق نموذجا ... 220
خاتمة 223
المراجع 227
قائمة الوثائق 233
الفهرس 235

جمعيّة تونس الفتاة

تونس الفتاة هو إسم أطلق على حركة وطنية في أوائل القرن العشرين، عرفت كذلك بإسم حركة الشباب التونسي، وكان من زعمائها عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حانبة وغيرهم.

تأسست الجمعية يوم 5 ماي 2012، وهي ذات أبعاد ثقافية وتربوية.

أهداف الجمعيّة

- تحفيز الشباب على المشاركة الفعالة في الحياة العامة وعلى كافة أشكال الإبداع.
- الدعوة إلى مجتمع تعدّدي يقبل بمختلف الآراء شرط أن لا تدعو إلى العنف.
- الدعوة إلى قيم المواطنة والحداثة مع التمسّك بالهويّة العربية الإسلاميّة.

الهاتف : 732 528 58 (216+)
الموقع : www.tounesaf.org
البريد الالكتروني : taf@tounesaf.org
الصفحة على فايسبوك : www.facebook.com/tounesalfatet
الصفحة على تويتر : www.twitter.com/tounesalfatet

لقد ظلت مؤسسة كونراد أديناور، منذ ما يربو عن الثلاثين سنة تنفذ أنشطتها في منطقة الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط، تحدوها في ذلك رغبة في دعم الديمقراطيّة والحريّة والعدالة. وتسعى المؤسسة، وهي إحدى أبرز المؤسسات السياسيّة في ألمانيا، من ناحية، إلى تحقيق أهداف ذات صلة بالسياسة الاجتماعيّة والاقتصاديّة بغية المساهمة في تحقيق اندماج أفضل وإنشاء شبكات لتوثيق الروابط فيما بين ألمانيا وبلدان الشرق الأدنى، ومن ناحية أخرى، إلى النهوض بالحوار الأوربي العربي. وفي نطاق وفائها الذي تعتز به للمبادئ التي دافع عنها المستشار الأول لألمانيا ما بعد الحرب، ألا وهو كنراد أديناور (1876–1967)، فإن مؤسسة كونراد أديناور تعمل في تعاون وثيق مع شركائها المحليين على دعم :

- الديموقراطيّة ودولة القانون والمؤسسات،
- تنمية اقتصاد السوق الحر ذي البعد الاجتماعي،
- الحوار الأورو متوسطي،
- الحوار بين الثقافات والديانات.

إنّ عالمنا اليوم يشهد تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية تتجاوز الحدود الوطنية وتمتد تأثيراتها لتشمل المستوى الوطني والإقليمي والدولي. ووعيا منه بهذه الحقيقة واستكمالا لأنشطة مكاتبه الوطنية، فإن برنامج مؤسسة كونراد أديناور الإقليمي للشرق الأدنى والأوسط يولي، بالتعاون مع شركائه، أولوية بالغة لمتابعة التعاون الإقليمي والوطني في مجال التنمية وتشخيص هذا التعاون والنهوض به. ومن خلال عرض المشاريع الوطنية والممارسات الجيدة التي يمكن أن تمثل نماذج للمنطقة بأسرها، ونشر هذه المشاريع والممارسات، فإن المؤسسة تجشع التبادل الإقليمي اعتمادا على المقولة التالية : «أن نفكر عالميا وأن نتحرك محليا». وتحقيقا لهذا الهدف، فإن مؤسسة كونراد أديناور تقوم بتنظيم ندوات ولقاءات وورش عمل وأعمال بحث وبرامج إعلامية في ألمانيا وفي أوروبا. كما تقدم المؤسسة دعما للطلبة الواعدين من خلال توفير منح دراسية. وتعتمد مؤسسة كونراد أديناور في كافة أنشطتها مبدأ الشراكة، وذلك في كنف احترام مبادئها الأخلاقية والسياسية ومن خلال قناعتها بأن الإصلاحات المبتكرة والأفكار الجديدة لا يمكن أن تتطور بشكل مستديم ما لم تكن قد وقعت بلورتها وتنفيذها من طرف صناع القرار والموطنين المعنيين. وهكذا، وفي توافق مع مبادئها، فإن مؤسسة كونراد أديناور قد تخيرت أن تجعل من شركائها قوام أنشطتها. وهي تقوم، بالتعاون مع شركائها، الذين يشملون الوزارات والبرلمانات والجامعات ومجموعات التفكير والمنظمات غير الحكومية واتحادات الصناعة والتجارة ووسائل الإعلام والأحزاب السياسية، بتصور البرامج التي تزمع تنفيذها في المنطقة وصياغتها وإنجازها وتقييمها.

مؤسسة كونراد أديناور
مكتب تونس
27، **نهج جزيرة زمبرة – ضفاف البحيرة II**
تونس / الجمهوريّة التونسيّة
الهاتف : 080 018 71 (216)
الفاكس : 089 018 71 (216)
Info.Tunis@kas.de / www.kas.de

إنجاز وطبع : سنباكت – تونس

ISBN :